

الارمين

مجله‌ای تخصصی در زمینه تاریخ و فرهنگ ارمنی



الاربعين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعييشة البحوث والدراسات في العالم الاسلامي



تصدر عن

الامانة العامة للبحوث والدراسات الاسلامية

مركز بلاء الدراسات والبحوث

المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، رمضان ١٤٤٧ هـ ، اذار ٢٠٢٦ م ، الملحق (٤)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي التاسع لزيارة الاربعين

الاربعين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تعنى بنشر البحوث والدراسات
في العلوم الإنسانية



المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، الملحق (٤)
رمضان ١٤٤٧هـ ، اذار ٢٠٢٦ م



جمهورية العراق - محافظة كربلاء المقدسة
العتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية
بغداد (٢٦١٠) لسنة ٢٠٢٣م



المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:
مجلة الاربعين - مركز كربلاء للدراسات والبحوث



E-mail: arbnj.k.center@gmail.com



ص. ب (٤٢٨) كربلاء



الهاتف:

٠٠٩٦٤٧٧٥٣٣٢٠٦٦





رئيس التحرير: أ.د. نذير جبار حسين الهنداوي

المعاون العلمي في مركز كربلاء للدراسات والبحوث

مدير التحرير: أ.م.د. ثامر مكي علي الشمري

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

مكان العمل	هيئة التحرير
(كلية التربية/ جامعة واسط/ العراق)	أ.د. حسين سيد نور الاعرجي
(كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل/ العراق)	أ.د. برزان ميسر حامد
(كلية الآداب/ جامعة بغداد/ العراق)	أ.د. اياد محمد علي الارناؤوطي
(كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ العراق)	أ.د. طلال خليفة سلمان
(كلية العلوم السياحية / جامعة كربلاء/ العراق)	أ.د. عبد علي كاظم الفتلاوي
(كلية الآداب/ جامعة الكوفة / العراق)	أ.د. وجدان صالح عباس محمد
(كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الكوفة/ العراق)	أ.د. فاضل مدب المسعودي
(المعهد العالي للحضارة الإسلامية/ جامعة الزيتونة/ تونس)	أ.د. صلاح الدين العامري
(كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر/ الجزائر)	أ.د. نور الدين أبو لحية
(كلية الأثار/ جامعة القاهرة / مصر)	أ.د. عادل محمد زيادة
(كلية الدراسات الشرق أوسطية/ جامعة سليمان الدولية/ لبنان)	أ.د. حنا جميل إسكندر
(مكتبة تاريخ الإسلام وإيران التخصصية/ إيران)	أ.د. رسول جعفریان
(البحث العلمي للدراسات الدولية/ جامعة شانغهاي / الصين)	أ.د. وانغ يو يونغ
(معهد دراسة الثقافة والدين الإسلامي/ جامعة جوتنه/ ألمانيا)	أ.د. رنا سعد الصويحي
(كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية/ العراق)	أ.م.د. غصون مزهر حسين
(كلية التربية الأساسية/ جامعة ميسان/ العراق)	أ.م.د. كامل جاسم دهش
(كلية الآداب/ جامعة اهل البيت/ العراق)	أ.م.د. جعفر علي عاشور
(الكلية التربوية المفتوحة/ وزارة التربية/ العراق)	أ.م.د. مؤيد ناجي أحمد
(مركز كربلاء للدراسات والبحوث/ العراق)	أ.م.د. علاء عبد الهادي المالكي
(كلية العلوم السياحية/ جامعة اهل البيت/ العراق)	أ.م.د. محمد جمال الطيف
(كلية العلوم الاجتماعية للإعلام والوسائط/ إيران)	أ.م.د. محمد رضا النواب

المراجعة اللغوية

اللغة العربية

(جامعة بغداد)

أ.د. أياد محمد علي الارناؤوطي

(جامعة أهل البيت)

أ.م.د جعفر علي عاشور

اللغة الانكليزية

(الكلية التربوية المفتوحة-بغداد)

أ.م.د. مؤيد ناجي أحمد

اللغة الفارسية

(جامعة كربلاء)

أ.د. عبد علي كاظم الفتلاوي

(جامعة وارث الأنبياء)

م.د. محمد جمال الطيف

الاجراج الفني

عماد محمد البيرماني

نبأ حيدر الشمري

بيداء غالب الموسوي

أهداف المجلة :

١. حفظ زيارة الأربعين وتوثيقها كشعيرة دينية- اجتماعية بأحدث طرق التوثيق والعرض الحديثة ورصد تأثيراتها على الفرد والمجتمع.
٢. الوقوف على المتطلبات الأساسية لزيارة الأربعين وتأمين احتياجاتها في مختلف المجالات والابعاد.
٣. استلهام الدروس والعبر من ثورة الأمام الحسين عليه السلام في تعزيز مفاهيم الوحدة والسلام ومواجهة حرب الأفكار الناعمة.
٤. ربط المفاهيم القرآنية والدينية والعقدية بالموروث الحسيني وزيارة الأربعين لزيادة الثقافة والوعي لدى الأسرة والشباب.
٥. رصد التحديات التي تواجه الزائرين في القطاعات الخدمية كافة، وتقديم سبل معالجتها ووضع الحلول لها علمياً وعملياً
٦. رفد الباحثين والقراء والمهتمين بالبحوث والدراسات التخصصية في زيارة الأربعين.
٧. السعي الى تعريف المجتمع الدولي بأهمية الزيارة ومجتمعها المليوني؛ كونها تمثل تراثاً ثقافياً وإنسانياً للمجتمع العراقي خاصة، ومحبي أهل البيت عليهم السلام عامة، كما يمكن ان تكون مخزوناً علمياً للمهتمين بزيارة الأربعين وعاملاً مهماً من إجراءات الصون للملف توفير الخدمة والضيافة في زيارة الأربعين بعد أن تم تسجيله رسمياً في منظمة التربية والعلم والثقافة اليونسكو (UNESCO) عام ٢٠١٩م من قبل المركز بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة والآثار .

رؤية المجلة :

تسعى مجلة الأربعين العلمية المحكمة الى أن تكون منصة علمية، لنشر البحوث والدراسات الخاصة بزيارة الأربعين؛ لتحقيق أضافة علمية للمهتمين بهذه الشعيرة المباركة.

سياسة الخصوصية :

تتسم مجلة الأربعين العلمية المحكمة بالدقة والرصانة والسرية في العمل، بحيث تحافظ على سلامة الأبحاث الواردة إليها، وتلتزم بخصوصية البيانات والمعلومات التي يرسلها المستخدم، دون الإفصاح بها لأية جهة.

سياسة النشر في المجلة :

تُرَحَّب مجلة الأربعين العلمية المحكمة بنتائج السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الاختصاصات الإنسانية والعلمية والتطبيقية المختلفة باللغتين العربية والانجليزية، أبرزها: (الدراسات الاجتماعية والانتروبولوجيا، الدراسات الثقافية والفكرية والعقائدية، الدراسات التاريخية والتراث، الدراسات الجغرافية والمكانية، الدراسات الاقتصادية والسياحية، الدراسات القانونية والتنظيمية، وفقاً للقواعد الآتية:

١. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط منهج البحث العلمي المعتمدة.

٢. ألا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق أو خارجه، أو مقتبساً من كتاب، أو منقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على أن يقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث، ويعاد البحث للباحث إذا كانت درجة كشف إستلاله أكثر من ٢٠٪.

٣. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة الدقة في الأسلوب بشكل صحيح.

٤. يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب والتنظيم.

٥. مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسَلَّم البحث إلى هيئة التحرير مطبوعاً على نظام (word) ورق (A4) مع قرص مدمج (CD) يتضمن مادة البحث ونمط الخط (Times new roman) وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و (١٢) للغة الانكليزية على أن لا تزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة وما زاد على ذلك يتحمل الباحث دفع مستحقاته المالية، ولا تقل عن (١٠) صفحات.

٧. يجب وضع المصادر في نهاية البحث حسب ترتيب الحروف الأبجدية وعلى أن يُتبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية كالآتي: اللقب ، اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المحقق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨. تنسيق الهوامش حسب النظام الضمني (APA) وفق المعايير المعتمدة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

٩. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، اذا كان يتعامل مع المجلة لأول مرة.

١٠. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية: عنوان الباحث واسمه، وجهة عمله، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث أو أي إشارة الى ذلك باللغتين العربية والانكليزية كما في القالب الخاص بالمجلة.

١١. إن البحوث كلها تخضع للتقويم العلمي السري من قبل هيئة التحرير وجمع كبير من الأساتيد في مختلف الاختصاصات العلمية، لبيان صلاحية نشرها، ولاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وفق الآلية الآتية:

- يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسله للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلم.
- يخطر أصحاب الابحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها.
- الأبحاث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها، تعاد الى أصحابها مع الملاحظات المحددة لإجراء التعديلات النهائية عليها.
- الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه إلكترونياً او ورقياً.
- ١٢. يخضع ترتيب الابحاث المنشورة لموجبات فنية، ويراعى في أسبقية النشر ما يأتي:

- تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

- تاريخ تقديم الابحاث التي يتم تعديلها.

- اللقب العلمي للباحث.

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسليم بحثه.

١٤. تلتزم مجلة الأربعين العلمية المحكمة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين.

١٥. إن يعطي المؤلف حقوقاً حصرياً للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني
والخزن واعادة الاستخدام للبحث.

١٦. تُرسل البحوث على البريد الالكتروني لمجلة الأربعين الدولية العلمية المحكمة :

arbnj.k.center@gmail.com

وللاستفسار الاتصال على الهاتف:

00964775332066

عنوان المجلة

العراق - كربلاء المقدسة - باب بغداد- شارع السيدة زينب الكبرى ؑ

مركز كربلاء للدراسات والبحوث- شعبة زيارة الأربعين.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها وليس بالضرورة

أن تعكس وجهة نظر المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.:

Date:

الرقم: ٥٦٢٥/٤٥٥
التاريخ: ٢٠٢٣/٧/٤

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م/ مجلة الاربعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم م/٤٨١ بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٨ ، والمتضمن استحداث واعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٢١ على اعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد الاول - العدد الصفري - آذار- لسنة ٢٠٢٣ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً أساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

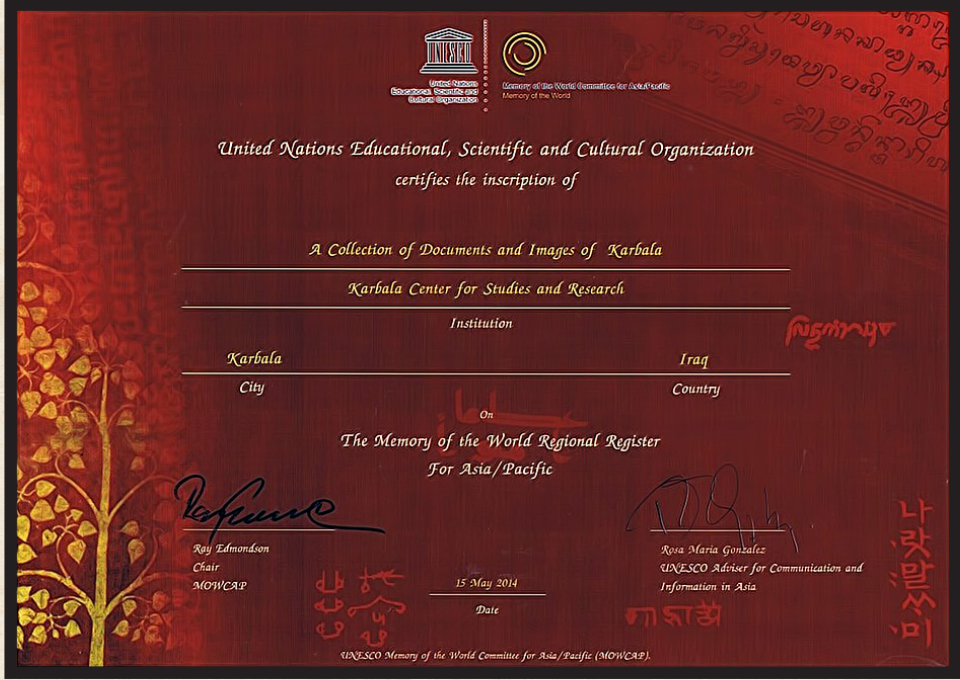
...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٣/٧ /٤

نسخة منه الي:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته المذكورة اعلاه والمثبتة على اصل مذكرتنا المرقمة ب ت م ٥٠٩١/٤ في ٢٠٢٣/٦/٢١
- قسم الشؤون العلمية/شعبة التأليف والترجمة والنشر.... مع الاوليات
- الصادر

مهند ابراهيم
٧/٣ - ٦/٢٦



شهادة الاعتماد الدولي
لمركز كربلاء للدراسات والبحوث
من منظمة اليونسكو (برنامج الذاكرة العالمية)
تاريخ الاعتماد: ٢٨ / ١٠ / ٢٠١٤م



Convention for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage

The Intergovernmental Committee for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage
has inscribed

*Provision of services and hospitality during the
Arba'in visitation*

on the Representative List of the Intangible Cultural Heritage of Humanity
upon the proposal of Iraq

*Inscription on this List contributes to ensuring better visibility of intangible cultural heritage
and awareness of its significance, and to encouraging dialogue that respects cultural diversity*

Date of inscription

12 December 2019

Director-General of UNESCO

Audrey Azoulay

شهادة تسجيل ملف

(توفير الخدمة والضيافة في زيارة الاربعة)

المسجل من قبل مركز كربلاء للدراسات والبحوث

بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة والاثار في

منظمة التربية والعلم والثقافة (اليونسكو)

بتاريخ ١٤-١٦ كانون الاول ٢٠١٩

المحتويات

الفن والطقس في خدمة الوجدان الجمعي الزيارة الربيعية نموذجاً... ٢١
م.م. وسام هويدي الشامي

المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الربيعية ٨١
م.م. زهراء سالم صبري

الوعي الصحي لزوار أربيعينة الإمام الحسين عليه السلام ١٢٣
م.م. معن طالب بديوي العليايوي , م.م. زهراء فرحان عباس الكفاني

رؤية جغرافية لإمكانية تطبيق خدمات النقل الذكية في زيارة الأربيعين
(واقع وتحديات) ١٤٣
م.م. شيباء محمد خليل محياوي , م.م. عذراء محمد عبد حمود

زيارة الأربيعين وتحديات الحرب الناعمة الآليات وسبل المواجهة ١٧٥
م.م. خديجة (ندا) شاه محمدي , م.م. أقسام شاكر ناصر

الزيارة الربيعية في الأثر المادي واللامادي ١٩٩
م.م. شروق لطيف عبد السادة , م.م. أحمد يوسف مهدي الغالبي

دور رؤساء الأقسام الأكاديميين في تعزيز جودة التعليم..... ٢٤٣
م.م نبأ عبد اللطيف عباس , م.م سمية عبد الله الموسوي

دور زيارة الاربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي:

منظور تنموي ٢٧٥
م.م رانية مبدر مالح محمد القرةغولي , م.م اية فاهم ريس اشكح المعموري

مسيرة زيارة الاربعين في القرآن الكريم ٣١٥
الاستاذ الحافظ ضرار مجيد عبد مهدي التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التحية والتسليم على النبي الهادي الأمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين...
تعد زيارة الأربعين من المناسبات الدينية، والاجتماعية، التي تُمارس طقوسها في العشرين من شهر صفر الخير من كل عام هجري، ونظراً لما تمتاز به هذه التظاهرة المليونية من مضامين إنسانية واجتماعية وتربوية واخلاقية فضلاً عن أنها هوية ثقافية وحضارية لمحبي أهل البيت (عليهم السلام)، أولى مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة اهتماماً بالغاً بهذه الشعيرة المباركة ومن جوانبها المختلفة، ولاجل حفظ تراث زيارة الأربعين وبيان متغيراتها، جاءت فكرة استحداث هذه المجلة العلمية والتي تمثل باكورة الإهتمام بقضايا الاربعين على المستوى العلمي والأكاديمي والذي لمسنا آثاره الجليلة خلال إقامة المركز للمؤتمر العلمي الدولي لزيارة الاربعين بنسخه التسعة والتي شهدت مشاركة واسعة من قبل المختصين في مختلف المجالات والعلوم عن طريق الابحاث والدراسات العلمية الدقيقة التي شملت محاور عدة لزيارة الاربعين المباركة وقد جاء (الملحق الرابع من المجلد الرابع/ السنة الرابعة) من مجلة الاربعين ليركز بصورة إجمالية على ترسيخ المقاربات العلمية المتعددة التخصصات في دراسة زيارة الأربعين، بوصفها ظاهرة إنسانية كبرى تتقاطع فيها الأبعاد الدينية والاجتماعية والإعلامية والأمنية والتنمية. إذ يعالج العدد قضايا الخطاب والتواصل والتأثير، ويهتم بتنظيم الحشود وإدارة التدفقات البشرية وفق

أسس علمية، ويبرز أهمية الأمن الشامل والرقمي في دعم الاستقرار، فضلاً عن تسليط الضوء على الاستدامة الحضرية والسياحية لمدينة كربلاء، مع التأكيد على توظيف التقنيات الحديثة والابتكار في خدمة الإنسان والمدينة والحدث، بما يعزّز الفهم العميق لزيارة الأربعين ويقدم رؤية علمية داعمة للتخطيط واتخاذ القرار. والتي نأمل من الله عزّ وجلّ أن تنال رضا القارئ الكريم كما وتشكل إضافة نوعية لمكتبتنا العربية والاسلامية.

ومن الله التوفيق والسداد

مدير التحرير

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الفن والطقس في خدمة الوجدان الجمعي
الزيارة الاربعية نموذجاً

م.م. وسام هويدي الشامي
محاضر في مركز مشورة للدراسات والتنمية
wessam077192747871981@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع تمثيلات الوجدان الجماعي في الفنون الطقسية لزيارة الأربعين بوصفها أحد أكثر الشعائر الدينية كثافة في العالم من حيث المشاركة والتعبير الجمعي. وقد سعى البحث إلى استكشاف الأبعاد الجمالية الرمزية والمفاهيمية التي تُصاغ من خلالها هوية جماعية شيعية عبر الفن، الطقس والمكان وذلك بالاستناد إلى مرجعيات فلسفية وأثروبولوجية حديثة.

أنطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن الفنون الطقسية المرتبطة بزيارة الأربعين ليست مجرد أدوات للتعبير العاطفي أو الزينة الشعائرية بل تمثل منظومة دلالية معقدة تؤدي وظائف متعددة: استرجاع الذاكرة، إنتاج المعنى، تكريس الهوية وتجديد التفاعل الجماعي مع الرموز التأسيسية. وقد تمّ تحليل هذه التمثيلات من خلال خمسة فصول مركزية.

في الفصل الأول تناول البحث دور الصورة الفوتوغرافية والسينمائية في تجسيد الألم والصدق والتعب وربطت هذا التمثيل بنظرية «الهالة» عند (والتر بنيامين) حيث يُعاد إنتاج اللحظة الطقسية كحدث وجداني دائم الحضور.



المصدر معرض الصور التابع للعتبة الحسينية

أما الفصل الثاني فخصص لفن النحت والتشكيل البصري حيث تمت دراسة كيفية تحول واقعة الطف إلى ذاكرة بصرية عبر الخيال المادي كما نظر له (غاستون باشلار) مع تحليل الجداريات والمنحوتات بوصفها أدوات أسطرة جماعية تمتح من الرموز الشيعية وتعيد صياغتها بوسائط ملموسة.



المصدر معرض الصور التابع للعبة الحسينية.

في الفصل الثالث ركز البحث على الخط العربي والزخرفة باعتبارهما تجلياً لقداسة اللغة وتجسيداً لجمال الطقس وتمت مناقشة دلالاتها الجمالية والفلسفية في ضوء تصورات (مارتن هايدغر) حول العلاقة بين اللغة والسكن الوجودي مما يضيء كيف تُمارس الكتابة الطقسية دوراً في بناء الانتماء الجماعي.



أما الفصل الرابع فقد درس فنون الأداء الجسدي من لطم ومسرحيات رمزية في ضوء نظرية الدراماتورجيا الطقسية (لفيكتور ترنر) حيث يتحول الجسد إلى أداة رمزية للتعبير عن المأساة والولاء ويصبح الأداء ذاته شكلاً من أشكال إعادة سرد الحدث الحسيني بطريقة وجدانية جماعية.



المصدر معرض الصور التابع للعبة الحسينية.

وفي الفصل الخامس والأخير تطرق البحث إلى تصميم الفضاء (المواكب والعمارة المؤقتة) من خلال تحليل الطريق إلى كربلاء كمساحة شعائرية/اجتماعية/ وجدانية، وقراءة مظاهر الكرم، التنظيم الشعبي والهياكل المؤقتة بوصفها تجسيدا لفضاء الذاكرة والعبور وفق مفاهيم (دوركايم ونورا).



المصدر معرض الصور التابع للعبة الحسينية

وقد توصل البحث إلى أن الفنون الطقسية في زيارة الأربعين تُشكّل بنيات رمزية وجمالية تُمكن الجماعة من سرد هويتها بشكل تفاعلي متجدد كما أنها تخلق ذاكرة جمعية حية تنبع من الجسد والمكان والرمز وتوصي الدراسة بضرورة توثيق هذه الفنون ودعم الدراسات متعددة التخصصات لفهمها والتفكير الجاد في الحفاظ على أصالتها دون إغفال قابليتها للتجدد.



المصدر معرض الصور التابع للعتبة الحسينية

الكلمات المفتاحية: تجلي المطلق - الوجدان الجمعي - الدراماتورجيا الطقسية -

بيت الكينونة - الرمزية الجمالية

Aesthetics of Expressing Grief and Hope in the Arba'een Pilgrimage in Visual and Communal Arts

Asst. Lecturer. Wissam Huwaidi Al-Shami

Lecturer at Mashoura Center for Studies and Development

abstract:

This research addresses the representations of collective emotion in the ritual arts of the Arba'een visitation, as one of the world's most intense religious rituals in terms of participation and collective expression. The study sought to explore the symbolic and conceptual aesthetic dimensions through which a Shiite collective identity is formulated via art, ritual, and space, drawing on modern philosophical and anthropological references. The research started from a central hypothesis that the ritual arts associated with the Arba'een visitation are not merely tools for emotional expression or ritual decoration but represent a complex semantic system serving multiple functions: memory retrieval, meaning production, identity reinforcement, and renewal of collective interaction with foundational symbols. These representations were analyzed through five central chapters.

Keywords: Collective emotion, ritual arts, Arba'een visitation, collective identity, symbolism and aesthetics.

المقدمة

تُعدّ الزيارة الأربعينية للإمام الحسين (عليه السلام) إحدى أبرز الظواهر الدينية الثقافية في العالم الإسلامي المعاصر لما تتضمنه من أبعاد روحية وجمالية وإنسانية عميقة. فهي لا تقتصر على كونها ممارسة شعائرية دينية، بل تمثل أيضًا حدثًا جماهيريًا واسع النطاق تتجلى فيه طاقات التعبير الرمزي، ويتحوّل فيه الجسد واللغة والصورة إلى وسائط لإنتاج معنى يتجاوز الزمان والمكان.

في قلب هذه التجربة الإنسانية المركّبة يتقاطع الحزن بوصفه استدعاءً لذاكرة الألم مع الأمل يشكل فعلاً مستقبليًا للخلاص ليشكل معًا بنية شعورية يتم تمثيلها في الفن والممارسة المجتمعية بأشكال متعددة.

ولتأمل الأبعاد التعبيرية لهذه الشعيرة، لا بدّ من التوقف عند أثر الخيال في إعادة إنتاج التجربة التاريخية بصريًا. فكما يرى (غاستون باشلار، ١٩٨٤: ٣٢) «ليست الصورة استنساخًا للواقع بل هي إعادة خلق له من خلال خيال المادة». ما يعني أن الفن في السياقات الطقسية لا ينقل الحدث كما وقع، بل يعيد تأويله عبر وسائط الخيال والرمز، فيتحوّل بذلك إلى ذاكرة مرئية تتجدد مع كل ممارسة جماعية.

وينسجم هذا التصور مع فهم (والتر بنيامين، ١٩٩١: ١٢٠) للصورة حين يؤكد أن «اللحظة التي تنفصل فيها الصورة عن دورها التوثيقي تصبح أداة لاستحضار ما هو غائب». وهو ما يمنح التصوير الفوتوغرافي والسينمائي في مراسم الزيارة وظيفة جمالية مزدوجة: التوثيق من جهة، واستعادة المعنى الروحي من جهة أخرى.

ومن جانب آخر لا يمكن إغفال مركزية الأداء الطقسي بوصفه فعلاً جمالياً جماعياً يعبرُ الجسد من خلاله إلى حيز الرمزي. فكما يذهب (فيكتور ترنر، ٢٠٠٥: ٧٨) «الطقوس ليست محض تكرار ماضٍ، بل هي فضاء تحولي يُتيح للذات والمجتمع إعادة إنتاج المعنى عبر الأداء». وهذا ما يتحقق بوضوح في طقوس المواكب والمسرحيات الرمزية والتفاعلات الحركية التي يشارك فيها الزائرون حيث يتحوّل الفعل الطقسي إلى دراما جماعية تصنع حضوراً كثيفاً للذاكرة.

وفي موازاة الأداء الجسدي، تُسهم اللغة ولا سيما الخط العربي في توطين المقدّس داخل المجال العام من خلال حضورها البصري في الرايات واللافتات. فوفقاً لما يؤكده (مارتن هايدغر، ٢٠٠٦: ٥٦) «اللغة هي بيت الكينونة وفيها يسكن الإنسان». ما يجعل من الخط العربي أداةً تعبيرية لا تُمارَس بوصفها تزييناً، بل وسيلة لتجسيد الوجدان الجمعي، وإيواء المعنى في الفضاء المشترك.

من هنا، فإنّ الزيارة الأربعينية بما تحويه من طقوس وصور وأداءات، لا تمثل فقط امتداداً لتقاليد دينية، بل تشكّل أيضاً نظاماً تعبيرياً وجمالياً متكاملًا، يجعل من الحزن والأمل طاقتين متبادلتين تتجليان في الفنون البصرية والمجتمعية المعاصرة، وتحفّزان على إعادة تشكيل الوعي والهوية. وهذا ما تسعى هذه الدراسة إلى استكشافه تحت عنوان: الرمزية الجمالية للزيارة الأربعينية: بين الفنون البصرية والممارسات الشعائرية.

أهمية البحث

إنّ تناول الزيارة الأربعينية بوصفها ظاهرة اجتماعية دينية مكتنزة بالدلالات الرمزية والجمالية لا ينطلق من فرضية تقديس الطقس بوصفه فعلاً شعائرياً فقط، وإنما من ضرورة تحليل هذا الحدث بما هو بناء ثقافي متعدد المستويات تتداخل فيه مكونات الوجدان الجمعي، والتمثيل البصري، والمخيل الديني، والبعد الاجتماعي. هذه الضرورة لا تمليها

فقط كثافة الحضور البشري الذي يتجدد سنويًا في كربلاء، والذي يُعدّ ظاهرة لا نظير لها في العالم من حيث الامتداد المكاني والتعبئة المعنوية، بل تفرضها كذلك التحولات العميقة في كيفية تمثّل المقدّس من خلال أدوات الفن، والتعبير، والأداء، واللغة، والصورة.

من هنا، فإن هذه الدراسة تطرح نفسها استجابة لفراغ معرفي قائم في البحوث الجمالية والاجتماعية العربية، وتطمح إلى سدّ هذا الفراغ بتحليل ظاهرة دينية مركّبة، لا بوصفها قضية طقسية فقط، بل باعتبارها حقلًا تعبيريًا حيًّا يُعيد تشكيل الرموز والهوية والذاكرة عبر وسائط الفن والممارسة المجتمعية.

لقد أشار المفكر الفرنسي (غاستون باشلار) إلى أنّ «الخيال المادي يعيد تشكيل التجربة لا من خلال المحاكاة المباشرة، بل عبر ترسيب أثرها في الصورة»، وهو ما يجعل من الطقس الديني - ومنه الزيارة الأربعينية - ليس مجرد استعادة للحظة ماضية، بل تأسيسًا لخيال مشترك يستعيد التاريخ ضمن قالب بصري وجسدي وشعوري حيّ (باشلار، ١٩٨٤: ٣٢). هذه الاستعادة لا تتخذ طابعًا تاريخيًا، بل تتحول إلى ممارسة فنية وتشكيلية معاصرة، يتم من خلالها تحويل واقعة الطف من حدث تاريخي إلى سردية رمزية، يتم التعبير عنها في الرايات، والجداريات، والأداءات الجسدية، والنحت، وحتى تصميم الطرق والمواكب.

إنّ أهمية هذا البحث تنبع أيضًا من الحاجة إلى تجاوز النظرة التقليدية التي تتعامل مع الشعائر الدينية بوصفها أفعالًا ساكنة أو تكرارية، لصالح تحليلها بوصفها بنيات رمزية منتجة للمعنى. وفي هذا السياق، فإن (فيكتور ترنر) في دراسته للطقوس المجتمعية، يرى أنّ «الطقس ليس تكرارًا، بل إعادة تأسيس للمعنى الجماعي من خلال التوتر بين البنية وضد البنية» (ترنر، ٢٠٠٥، ص ٧٨). هذا التوتر هو ما

يسمح بظهور الهامش، وبروز التعبير العفوي، وتشكل الأبعاد الجمالية التي لا تُصاغ بالأدوات الدينية التقليدية، بل بأدوات الفن والممارسة الاجتماعية. ولذلك، فإن دراسة الزيارة الأربعينية من خلال منظور جمالي-فلسفي، تبني مقاربات الأداء والمخيال الجماعي، وتفتح مجالاً لتحليل أكثر دقة للدين الشعبي وممارساته التعبيرية.

إلى جانب ذلك، فإن السياق المكاني الذي تحتله كربلاء كمركز إشعاع رمزي وثقافي، يُضفي بعداً مكانياً على الطقس ذاته. وهنا يُستأنس بمفهوم «المكان المقدس»، كما عبّر عنه (ميرسيا إلياد)، الذي رأى أن «المكان المقدس هو انفجار في النسيج المتجانس للعالم، وهو الموضع الذي يتبدى فيه العلوي في السفلي، والمطلق في المحسوس» (إلياد، ٢٠٠٢: ٢٦). وهذا ما يتحقق في كربلاء، حيث تتحول المسافة الفاصلة بين المدن العراقية وساحة الحرم إلى بنية جغرافية رمزية، تؤدي وظيفة تمهيد الوجدان، وإعداد الجسد للانخراط في طقس كليّ، ينتج داخله الأفراد أنفسهم بوصفهم ممثلين للمعنى.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الحاجة إلى مقارنة الفنون الأربعينية كجزء من هذه البنية الرمزية تتعزز أكثر، خصوصاً في ضوء الاتساع الهائل لتجليات الفن الجماعي، من تصوير فوتوغرافي، ورسم، وخط، ومسرح، ونحت، وتصميم معماري. لقد رأى (والتر بنيامين) أن «الصورة التي تُنتج في عصر إعادة الإنتاج الآلي لا تكتفي بالتوثيق، بل تؤسس لنظام بصري جديد يعيد تشكيل الإدراك والذاكرة»، وهذه المقولة تتجسد بوضوح في آلاف الصور والمقاطع المصورة التي تنقل الحدث الأربعيني سنوياً، والتي لا تكتفي بوصفها وسائط توثيق، بل تساهم في إنتاج جماليات جديدة تُعيد تشكيل الذاكرة الجماعية للحدث (بنيامين، ١٩٩١: ١٢٠).

ولعلّ ما يُضفي ضرورة قصوى على البحث هو طبيعة الجمهور المتفاعل مع هذه التعبيرات. فليست هناك نخبة محددة أو جمهور نوعي معزول يتلقّى هذه الإنتاجات،

بل جمهور شعبي واسع، عابر للطبقات والحدود الجغرافية. وهنا يستحضر (إميل دوركايم) فكرة «الوجدان الجمعي»، الذي يتجلى في الطقوس بوصفها لحظة تكثف رمزي تتجاوز فيها الذات الفردية حدودها، لتندمج في كلية اجتماعية مشحونة بالمعنى (دوركايم، ١٩٩٠: ١١٢). إنّ فنون الأربعين هي واحدة من أهم تمثيلات هذا الوجدان، فهي لا تُنتج فقط لتعرض، بل لتُمارس، وتُداول، وتُشارك، مما يجعلها مادة بحثية لا غنى عنها لفهم كيفية اشتغال الرمزي داخل الشعبي، والجمالي داخل الديني.

ولا تقل اللغة، بوصفها فناً تعبيرياً، عن بقية الوسائط. فالخط العربي، تحديداً، يلعب دوراً محورياً في صياغة المعنى، وإنتاج قداسة بصرية داخل الفضاء العام. ويعزز هذا الفهم ما ذهب إليه (مارتن هايدغر) حين قال: «اللغة هي بيت الكينونة، وفيها يسكن الإنسان»، ما يعني أن التعبير اللغوي ليس مجرد وسيط تواصل، بل هو شكل من أشكال إسكان المقدّس داخل التجربة البشرية (هايدغر، ٢٠٠٦: ٥٦). وفي هذا السياق، فإنّ الكلمات المنقوشة على اللافتات والرايات ليست مجرد شعارات، بل ممارسات جمالية مشحونة بالرمز والمعنى.

ومما يزيد من أهمية هذا البحث أيضاً، هو فقر الحقول الأكاديمية العربية - ولا سيما في علوم الجماليات والدراسات البصرية - في معالجة موضوعات ترتبط بالممارسة الدينية الشعبية من منظور جمالي فلسفي. فغالبية الدراسات تتجه إما إلى تحليل الطقس من الزاوية التاريخية أو الفقهية، أو إلى تجاهله ضمن الأطر الجمالية بسبب طبيعته الدينية. وهذا الانقسام يُبقي هذه الظواهر معلقة بين الهامش الفقهي والتجاهل الثقافي، مما يجعل من البحث الحالي مساهمة نوعية في بناء جسر بين الحقول النظرية، وتجسير الهوة بين الدين والفن من منظور تأويلي شمولي.

كما أن السياق السياسي والاجتماعي الذي تُقام فيه هذه الشعائر، يعزز من ضرورتها البحثية. إذ تتحول ممارسة الطقس إلى شكل من أشكال التعبير عن المقاومة، والانتماء، والهوية، وتُعاد من خلالها صياغة العلاقة بين الفرد والسلطة، بين الهامش والمركز، بين النص والممارسة. وفي هذا المجال، تُظهر الفنون الأربعينية قدرة مذهلة على التعبئة الرمزية والسياسية، ما يجعلها مجالاً خصباً لفهم «المخيال السياسي الجمالي»، الذي بدأ يتشكل في العالم الشيعي المعاصر، ويعبر عن ذاته في مناسبات دينية ذات طابع كوني كالأربعين.

كل ما سبق يبيّن أن دراسة جماليات التعبير في الزيارة الأربعينية ليست ترفاً فكرياً أو انزياحاً عن صلب الظاهرة الدينية، بل هي مقارنة ضرورية لفهم كيف تتحول الطقوس إلى وسائط للمعنى، وكيف يتجسد الإيمان في الأداء، وكيف يُعاد تشكيل المقدّس داخل الذاكرة الجمعية من خلال أدوات الفن والممارسة المجتمعية. وهي بهذا المعنى، دعوة لقراءة الشعائر لا كأنظمة مغلقة على ذاتها، بل كُبنى مفتوحة على التأويل، قابلة للقراءة داخل حقول معرفية متعددة، أهمها: علم الجمال، فلسفة الدين، سوسيولوجيا الطقس، ودراسات الأداء.

مشكلة البحث:

على الرغم من الحضور الكثيف والمركّب للفنون البصرية والمجتمعية في طقوس زيارة الأربعين لا تزال الدراسات الأكاديمية العربية - ولا سيما في حقول علم الجمال، الأنثروبولوجيا ودراسات الطقوس - تُعاني من نقص واضح في مقارنة هذه الظواهر من منظور تأويلي-جمالي يتجاوز الفهم التقليدي للطقس بوصفه مجرد ممارسة شعائرية إذ تُغيب أغلب البحوث البعد التعبيري للفن الشعبي وتفتقر إلى تحليل منهجي لطبيعة تمثيلات الحزن والأمل في الممارسات الرمزية التي ينهض بها الزائرون، الفنانون الشعبيون والمجتمع المحلي في سياق هذه المناسبة.

وتكمن المشكلة الجوهرية في أن الفنون الطقسية المرتبطة بالأربعين غالباً ما تُعامل إما بوصفها عناصر فولكلورية أو كأدوات خدمية دون النظر إليها كبنى رمزية تعبّر عن الوجدان الجمعي وتُسهّم في تشكيل الهوية وإنتاج الذاكرة الجماعية وهذا ما أدى إلى فجوة معرفية بين ما يُمارس ميدانياً من أشكال تعبير فني وشعوري غني وما يُتناول نظرياً في الحقول المعرفية المعاصرة.

من هنا تتمحور مشكلة البحث حول السؤال الآتي: كيف تُمارس الفنون البصرية والمجتمعية المرتبطة بزيارة الأربعين وظيفَةً جماليةً ورمزيةً تُجسّد ثنائية الحزن والأمل في الوجدان الشيعي وما الأطر النظرية التي يمكن من خلالها مقارنة هذه الممارسات بوصفها أنظمة تعبيرية حيّة تُعيد إنتاج الهوية الجماعية؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف الأبعاد الجمالية والرمزية لتجربة الزيارة الأربعينية بوصفها ظاهرة دينية-مجتمعية تتجاوز الممارسات الطقسية التقليدية لتشكّل بنية تعبيرية مركبة تنعكس في أنماط الفن البصري والمشاركة الجماعية وإنتاج المعنى الرمزي ومن خلال مقارنة متعددة التخصصات تجمع بين علم الجمال فلسفة الطقس وسوسيولوجيا الأداء ويسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحليل تمثلات الوجدان الجماعي في التصوير الفوتوغرافي والسينمائي خلال زيارة الأربعين من خلال دراسة الأبعاد الجمالية والانفعالية للصورة وتفسيرها في ضوء نظرية «استحضار اللحظة» عند والتر بنيامين بهدف الكشف عن الدور التعبيري والتوثيقي للصورة في إعادة إنتاج الذاكرة الطقسية.
٢. استكشاف كيفية تشكّل أسطرة واقعة الطف في الفن التشكيلي والنحت عبر تتبع العلاقة بين الخيال المادي (بحسب تصور غاستون باشلار) والرمز الحسيني ودراسة النُصَب الجداريات والمنحوتات بوصفها أدوات لإعادة إنتاج المأساة بصرياً وتجسيد الوجدان الحسيني في الفضاء العام.
٣. تفسير حضور الخط العربي والزخرفة في الفضاء الطقسي بوصفها وسيلتين لتكريس قداسة اللغة وإنتاج الجماليات التعبديّة من خلال تحليل الرموز اللغوية والرايات في ضوء مفاهيم مارتن هايدغر عن «السكن في اللغة» وإبراز دلالة الزخارف في تعزيز الهوية الجماعية عبر الكتابة البصرية.
٤. تحليل فنون الأداء الطقسي في مواكب الأربعين بوصفها تجليات لدراما الذاكرة والمشاركة الجسدية مع التركيز على أشكال اللطم التمثيل الرمزي والإنشاد وتفسيرها في إطار الدراماتورجيا الطقسية عند فيكتور ترنر للكشف عن الكيفية التي يتحول فيها الجسد إلى وسيط تعبيري للهوية الجماعية.
٥. دراسة تشكيل الفضاء في زيارة الأربعين كجغرافيا رمزية وزمن شعائري وذلك من خلال تحليل البنى المؤقتة التنظيم الشعبي وأفعال الكرم الجماعي لفهم كيف يتحول المكان إلى سرد حيّ للوجدان الجماعي وتفسيره ضمن مفاهيم إميل دوركايم حول التضامن الميكانيكي وبيير نورا حول «أماكن الذاكرة».

الإطار النظري

يقوم هذا البحث على مقارنة متعددة التخصصات (Interdisciplinary Approach) تمزج بين علم الجمال، وفلسفة الدين، وسوسولوجيا الطقس، ودراسات الفنون البصرية والمجتمعية، بهدف تحليل تجربة الزيارة الأربعينية كظاهرة رمزية شعورية مركبة تتقاطع فيها أبعاد الحزن والأمل، وتتجسد من خلال وسائط الفن والتعبير الجمعي. ومن أجل بناء أساس نظري صلب، تسعى الدراسة إلى تحديد وتعريف المفاهيم المركزية التي تشكل بنيتها التحليلية.

يُعدّ مفهوم «الجماليات» (Aesthetics) حجر الزاوية في هذا البحث. وقد نشأ كمصطلح فلسفي منذ القرن الثامن عشر مع (ألكسندر بومغارتن)، غير أنّه تطوّر لاحقاً ليشمل أبعاداً غير حسية تتصل بالمعنى والرمز والانفعال الأخلاقي. فالجمال، وفق التصورات الحديثة، لم يعد محصوراً في التناسق الشكلي، بل أصبح يتسع ليشمل «جماليات المعاناة» أو ما يمكن تسميته بـ«الجمال الأخلاقي»، الذي يتجلى في الصدق، والألم، والتضامن، والكرامة. وبهذا الفهم، فإن ما يتم إنتاجه في سياق الزيارة الأربعينية يُعد شكلاً من أشكال التعبير الجمالي الذي لا يستهدف اللذة البصرية، بقدر ما يهدف إلى تمثيل تجربة شعورية كثيفة تنقل المعاناة وتستبطن الأمل.

أما الحزن، بوصفه أحد قطبي العنوان، فلا يُفهم هنا كعاطفة فردية مغلقة، بل كبنية شعورية اجتماعية تُفعلّ جماعياً ضمن فضاء الطقس والرمز. وقد أشار (إميل دوركايم) إلى أن الطقوس الحزينة تُعيد تثبيت الجماعة وتفعيل وحدتها من خلال التشارك في الذاكرة والخسارة، مبيّناً أن الشعور الجمعي بالحزن يكون أحد أبرز مرتكزات «الوجدان الجمعي» (دوركايم، ١٩٩٠: ١٠١). وفي حين يرى (فرويد)

أن الحزن عملية داخلية لتجاوز الفقد، يذهب (بول ريكور) إلى اعتباره عملية سردية يعيد الإنسان من خلالها بناء المعنى عبر التذكر، ما يجعل من الحزن في السياق الأربعيني طقسًا حيًّا لتجديد الهوية وتعميق الذاكرة الجمعية.

في مقابل ذلك، يُعدّ الأمل عنصرًا تكوينيًا في الشعيرة، ليس بوصفه انتظارًا سلبياً للخلاص، بل باعتباره فعلاً مستقبلياً يُنتج المعنى. يرى الفيلسوف (إرنست بلوخ) أن الأمل هو «الوعي المتجه إلى الممكن»، وأنه يشكل طاقة تأسيسية للانتماء والعمل والتحوّل، لا مجرد حالة وجدانية (بلوخ، ١٩٨٦) ومن هذا المنظور، يتجلى الأمل في الطقس الأربعيني، لا كمجرد رجاء، بل كممارسة رمزية: المشي، الخدمة، التعب، الأداء، كلها تعبيرات عن رغبة مستمرة في بناء معنى يتجاوز الألم.

أما الزيارة الأربعينية، فهي الشعيرة المركزية التي يدور حولها البحث، وهي ممارسة دينية كبرى يقصد فيها ملايين الزائرين مدينة كربلاء في العشرين من صفر، لإحياء ذكرى مرور أربعين يومًا على استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام). ولكن في سياق هذه الدراسة، تُفهم الزيارة الأربعينية لا فقط كممارسة شعائرية، بل كظاهرة رمزية/ اجتماعية تتكثف فيها مستويات من التعبير الجمعي، وتُعاد من خلالها صياغة العلاقة بين الذات والمقدس، وبين التاريخ والمعاصرة. ويستفيد هذا التصور من نظرية (فيكتور ترنر) في «دراماتورجيا الطقوس»، حيث يرى أن الطقس لحظة عبور وإعادة إنتاج للمعنى، وأن الجماعة من خلاله تعيد تأكيد انتمائها وتخلق «كوميونيتاس» مؤقتة تتجاوز البنية الاجتماعية اليومية (ترنر، ٢٠٠٥: ٧٨).

في هذا الإطار، تلعب الفنون البصرية دورًا محوريًا في تشكيل التمثيلات الرمزية للشعيرة، وتشمل هذه الفنون: التصوير الفوتوغرافي، الفيديو، الجداريات، النحت، الخط العربي، التصميم المعماري المؤقت. ويُعدّ تحليل هذه الوسائط ضروريًا لفهم كيفية تشكّل الذاكرة الجماعية وصناعة الرمز. وقد أشار (والتر بنيامين) في نصه الشهير «عمل الفن في عصر إعادة الإنتاج الآلي»، إلى أنّ الصورة في السياقات الحديثة لم تعد أداة لتوثيق الواقع، بل أصبحت أداة لاستعادة المعنى المغيّب وبناء نظام جديد للإدراك (بنيامين، ١٩٩١: ١٢٠). وفي الشعيرة الأربعية، تُمثّل الصورة الفوتوغرافية - مثلاً - وسيلة لاستحضار الحضور الغائب، واستعادة واقعة الطف بوصفها ذاكرة حية في الجسد والمجال العام.

إلى جانب الفنون البصرية، تحتل الفنون المجتمعية (Community Arts) موقعًا مركزيًا في البحث. وهي الفنون التي تُنتج داخل الجماعة، من قبلها، ولأجلها، وتشمل: الرايات المكتوبة، الزخارف اليدوية، المسرح الشارعي، المواكب الرمزية، توزيع الطعام، والهيكل الخدمية المؤقتة. ووفقًا لما طرحه (نيكولا بوريو)، فإن هذه الفنون تندرج ضمن ما يسميه «الجماليات التشاركية»، حيث يُصبح الفن فعلًا اجتماعيًا لا فرديًا، ويُنتج ضمن سياقات جماهيرية تتجاوز الحدود المؤسسية للنظام الفني (بوريو، ٢٠٠٢). وفي الأربعين، نجد هذه الجماليات متجسدة في آلاف التفاصيل اليومية التي تؤديها الجماعة بوصفها شعيرة وفنًا وتعبيرًا عن الأمل.

ولا يمكن الحديث عن الطقس دون الحديث عن المكان المقدس. فكما يرى (ميرسيا إلياد)، فإنّ المكان المقدس هو نقطة «تجلّي المطلق»، وهو ليس مكانًا عاديًا، بل تمفصل رمزي يُعيد تشكيل العلاقة بين العلوي والسفلي، وبين الزمني والسرمدى (إلياد، ٢٠٠٢: ٢٦). ومن هذا المنظور، يصبح الطريق إلى كربلاء - كما الحرم نفسه -

فضاءً لإعادة التقديس، حيث يُعاد تمثيل واقعة الطف في المشي، ويُبنى الزمن المقدس عبر الحركة الجسدية المرافقة للرمز.

وأخيراً، يسند البحث دلالاته اللغوية-البصرية إلى مفهوم اللغة، بوصفها بيتاً للكينونة، كما عبّر عنها (مارتن هايدغر). حيث يرى أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي حقل للوجود، ومسكن للمعنى. فالحروف المكتوبة على الرايات في الزيارة، والخط العربي المستخدم في تزيين الطرق والموكب، لا يُفهم بوصفه مجرد شكل بصري، بل هو تمثيل رمزي لكينونة جماعية تعبّر عن حضورها وتعيد تثبيت ذاكرتها من خلال اللغة (هايدغر، ٢٠٠٦: ٥٦).

بناءً على كل ما تقدم، فإن الإطار النظري لهذا البحث يتأسس على تكامل مفاهيمي بين الجمال، والحزن، والأمل، والمقدس، والجسد، والصورة، واللغة، بحيث تُفهم الشعيرة الأربعينية لا فقط بوصفها حدثاً دينياً، بل بوصفها مشهداً

المنهجية:

يعتمد هذا البحث على المنهج التأويلي التحليلي (Hermeneutic-Analytical Method)، بوصفه المنهج الأكثر ملاءمة لاستكشاف الأبعاد الرمزية والجمالية للزيارة الأربعينية في الفنون والممارسات الشعائرية. فهذا المنهج يعمل في دائرة الفهم والتأويل، مستنداً إلى تحليل النصوص البصرية واللغوية والطقسية باعتبارها أنساقاً دلالية مشبعة بالرموز والوظائف الاجتماعية. وقد تم توظيف هذا المنهج ضمن الإطار النظري للفلسفة الظاهرية والتأويلية، التي يمثلها مفكرون أمثال (غاستون باشلار) و(مارتن هايدغر) و(فيكتور ترنر) و(ميرسيا إلياد)، حيث يتم النظر إلى الطقس والفن واللغة كوسائط تعبير عن الوجدان الجمعي وبنى المعنى الجماعية.

كما تم الاستعانة بـ تحليل كيفي متعدد الوسائط (Multimodal Qualitative Analysis) يشمل قراءة معمقة للصور الفوتوغرافية، والمقاطع السينمائية، وأداءات المواكب، ونصوص الرايات واللافتات. وتم الربط بين هذه العناصر ومفاهيم فلسفية وجمالية من أجل فهم البنية العاطفية للحدث، وكيفية تشكّله كظاهرة بصرية وجسدية ولغوية تؤسس لهوية جماعية.

ويعتمد هذا النهج على تتبّع مظهرات الحزن والأمل في الأنماط التعبيرية المختلفة، من خلال الربط بين التجربة الشعائرية كواقع معاش والنص البصري والرمزي كتمثل ثقافي، في ضوء أدوات التحليل الجمالي والأنثروبولوجي، بما يتيح استنتاج طبيعة العلاقة بين الفن والطقس ضمن السياق الحسيني المعاصر.

الفصل الأول

التصوير الفوتوغرافي والسينمائي

وتمثيل الوجدان الجماعي في الزيارة الأربعينية

شهدت العقود الأخيرة تحولاً لافتاً في فهم الفنون البصرية، حيث تجاوز التصوير الفوتوغرافي والسينمائي وظيفتها التوثيقية الصرفة ليصبحا من أبرز وسائط التعبير الجمالي والاجتماعي. وقد تزايدت أهمية هذه الوسائط حين اقترنت بالطقوس الدينية، خاصة في سياقات مثل الزيارة الأربعينية، التي تمثل إحدى أكبر الشعائر الدينية الجماهيرية في العالم الإسلامي، إذ تتحول فيها الصورة من مجرد انعكاس للحظة إلى وسيط يعيد إنتاج المعنى ويشكل الوجدان الجماعي، ويؤطر الرموز والشعور الجمعي ضمن إطار بصري حي.

يسعى هذا البحث إلى تحليل وظيفة الصورة الفوتوغرافية والسينمائية في سياق الزيارة الأربعينية، من خلال فهم كيفية تمثيلها لثنائية الحزن والأمل بوصفها بنيتين شعوريتين مركزيتين في الشعيرة. كما يهدف إلى كشف آليات التمثيل البصري للزائرين: للجسد المرهق، للدمة، للراية، للطريق، للمشاركة، ولطقوس الخدمة، بما يجعل من كل مشهد وحدة دلالية تمارس وظيفة رمزية جمالية تتجاوز محيطها الظاهري.

لطالما ارتبطت الطقوس الدينية بالتجليات البصرية، سواء من خلال الأداء الجسدي، أو الرموز، أو اللباس، أو المعمار. غير أن دخول التصوير إلى المجال الشعائري شكّل تحولاً نوعياً في كيفية حفظ الشعيرة وتمثيلها وإعادة إنتاجها. في الزيارة الأربعينية، تحوّلت العدسة إلى أداة دينية ثقافية، تتقاطع فيها نية التوثيق مع الرغبة في خلق تمثيل جمالي للكرامة، والتضحية، والمعاناة.

وبخلاف السياقات الرسمية أو النخبوية، فإن التصوير في الشعائر الأربعينية

يتم غالباً بوسائط شعبية (كاميرات هواتف، آلات بسيطة، تسجيلات حرة)، مما يمنحه طابعاً ديمقراطياً وتشاركياً. وهو ما يُكسب الصورة خصوصية رمزية ترتبط بالشعور الجمعي أكثر من الجمالية التقنية.

١- التآطير الفلسفي للصورة في الفكر الحديث:

شكل التصوير الفوتوغرافي، منذ نشأته في القرن التاسع عشر، ثورة في تمثيل الواقع والذاكرة، لكنه مع تطور المفاهيم الفلسفية والجمالية، تحوّل من مجرد أداة تقنية لتجميد اللحظة، إلى وسيط رمزي تأويلي يُعيد تشكيل العالم وينتج معناه.

ومع دخول التصوير إلى الحقول الطقسية، لا سيما في ظواهر شعائرية مثل الزيارة الأربعينية، أصبح من الضروري إعادة النظر في وظيفة الصورة، والانتقال من التحليل التقني إلى التحليل التأويلي، ومن التوثيق إلى الفهم الجمالي للتمثيل.

يقدم هذا الفصل قراءة فلسفية للصورة من خلال نماذج نظرية أساسية تمثل تحولات المقاربة الغربية الحديثة للصورة: والتر بنيامين (٢٠٠٦)، رولان بارت (٢٠٠٠)، وسوزان سونتاج (٢٠٠٣؛ ٢٠٠٦). وسيتم ربط هذه الرؤى بالخصوصية الطقسية للشعائر الأربعينية، وما تتيحه من طاقة تعبيرية مزدوجة: الحضور الغائب، والرمز الحي.

في نصه المؤسس "عمل الفن في عصر إعادة الإنتاج الآلي"، أكد والتر بنيامين (٢٠٠٦) أن الصورة الحديثة فقدت «هالتها» الأصلية، أي ذلك البعد القدسي الفني المرتبط بالندرة والتميز. لكنها في المقابل اكتسبت قدرة جديدة على التداول والتكرار، مما منحها وظائف اجتماعية ورمزية جديدة. يقول بنيامين: "كلما زادت قدرة العمل الفني على إعادة الإنتاج، قلّ حضوره الطقسي، وزادت قيمته الاستعراضية".

لكن ما يبدو فقداناً للهالة في السياقات الفنية التقليدية، يتحوّل إلى شكل جديد من الهالة في السياق الطقسي، كما في التصوير الأربعيني، حيث تُنتج الصور لا عرضها في صالات الفن، بل لتداول اجتماعياً وتؤدي وظيفة استعادة وتاريخ حيّ للمقدّس. هكذا، تُصبح الصورة الأربعينية - بما تحمله من رموز كدموع الزائرين والرايات والوجوه - «صورة متعددة الأصل»، لكنها «موحّدة الذاكرة»، تُسهم في بناء سردية جماعية للحدث وتعيد استحضار الطفّ في نسق بصري معاصر.

في «الكاميرا لوسيدا»، يقدّم رولان بارت (٢٠٠٠) قراءة للصورة بوصفها كائنًا يحمل في داخله حضورًا وموتًا في آنٍ واحد، فالصورة تُظهر ما كان موجودًا وتُعلن زواله ضمناً. وهو ما يُفسّر شدة الأثر العاطفي الذي تتركه في المتلقي قسّم بارت بنية الصورة إلى عنصرين:

- Studium: البعد الثقافي العام (الخلفية، المعلومة، السياق).

- Punctum: التفصيل الجراح غير المتوقع الذي يخترق المتلقي عاطفياً.

في سياق زيارة الأربعين، يكون ال-Studium هو الحشود والرايات والمواكب، بينما يكون ال-Punctum دمة على خد طفل، قدم حافية على التراب، أو امرأة تتأمل في صمت؛ وهي تفاصيل غير مخطّط لها لكنها تُحدث الأثر العاطفي الأكبر.

أما سوزان سونتاغ (٢٠٠٣) فقد رأت في كتابها «حول التصوير الفوتوغرافي» أن الصورة ليست بريئة أو محايدة، بل خطاب ثقافي وأخلاقي يجب تحليله سياسياً. وكتبت تقول: «تكرار مشاهدة المعاناة لا يولد دائماً التعاطف، بل قد يخلق البلادة أو التباعد».

لكنها عدّلت لاحقاً هذا الطرح في كتابها "الآخرون يعيشون الألم" (سونتاج، ٢٠٠٦)، مشيرةً إلى أن الصورة الصادرة من «الداخل»، أي من الجماعة ذاتها، لا تحوّل الألم إلى مادة استهلاكية، بل إلى خطاب رمزي يزيد من شعور الانتفاء والكرامة. وبما أن أغلب صور الأربعين تُنتج ذاتياً من الزائرين، فإن الألم فيها لا يُستهلك بل يُعاد إنتاجه رمزياً وبوجدانية عالية.

هكذا تُصبح الصورة الأربعينية مرآةً جمعية تُكرّس الحضور وتعيد إنتاج الشعور بالكرامة، ويغدو «التصوير الشعبي» نوعاً من التأريخ المعنوي الذي لا يحتاج إلى حيل بصرية، بل إلى صدق وجداني نابع من داخل التجربة.

عند الربط بين أطروحات والتر بنيامين (٢٠٠٦)، ورولان بارت (٢٠٠٠)، وسوزان سونتاج (٢٠٠٣؛ ٢٠٠٦)، يتبين أن الصورة ليست أداة صامتة، بل فاعلة في إنتاج الرموز. وهي في زيارة الأربعين أداة:

- لاستحضار الماضي (وفق بنيامين)،
 - لتحفيز الشعور (وفق بارت)،
 - ولتأكيد الحضور الجماعي الرمزي (وفق سونتاج).
- تُظهر هذه التصورات أن الصورة الطقسية - رغم بساطتها أحياناً - تحمل قوة تأويلية كثيفة، تستمدّها من السياق المقدّس الذي تُنتج فيه، ومن علاقتها بالجسد والانفعال والرمز.

٢- تمثيل الحزن في الصورة الأربيعينية: الجسد، الدمع، التعب والانفعال:

يشكّل الحزن أحد الأعمدة الشعورية المركزية في الزيارة الأربيعينية، ليس بوصفه انفعالاً فردياً عابراً بل باعتباره بنية وجدانية طقسية تُستدعى وتُجسّد وتُؤدّى ضمن شبكة من الرموز والأداءات والممارسات الجسدية. ففي هذا السياق لا يُحتزل الحزن في كونه حالة داخلية بل يتحوّل إلى مضمون مرئي يمكن التقاطه بلغة الجسد والوجه والحركة وهكذا تكتسب الصورة الفوتوغرافية والسينمائية وظيفة جمالية رمزية تتمثل في توثيق الحزن وتمثيله وتأويله.

يحاول هذا الفصل تحليل الكيفية التي يُمثّل بها الحزن داخل الصورة الأربيعينية، من خلال قراءة رمزية لتمثالات الجسد، والدمع، والتعب، وتعبيرات الوجه، وذلك في ضوء الأطر النظرية التي سبق عرضها.

في السياق الطقسي، لا يُمارَس الجسد بوصفه كياناً بيولوجياً فحسب، بل يُعاد تشكيله باعتباره وسيطاً رمزياً لإعادة تمثيل واقعة الطف ويتجلّى هذا المعنى من خلال المشي الحافي أو حمل النعوش الرمزية أو التطبير أو حتى في هيئات الإنهاك الظاهرة على الزائرين. هذه الأجساد المنحنية، المتعبة التي تسير لمسافات طويلة، تعبّر من خلال الصورة عن فعل طقسي ذي طاقة رمزية مزدوجة: استذكار الفقد، واستمرار الولاة. إن تصوير الإرهاق الجسدي العرق، الانحناء، التعب، لا يُقصد به التوثيق فقط بل يرمز إلى انصهار الزائر في الذاكرة الجمعية لواقعة كربلاء.

في هذا الإطار، تبرز مقولة (فيكتور ترنر، ٢٠٠٥: ٧٨) «الطقس هو دراما للجسد تُمارَس فيها الهوية، لا بالقول، بل بالحركة، والانحناء، والإرهاق، والرمز».

تشكّل الدموع في الصورة الأربيعينية نقطة ارتكاز رمزية ليست تعبيراً عن الضعف بل عن التحسس الأخلاقي. فوفقاً لـ (رولان بارت، ٤٩)، فإن Punctum

هو تلك النقطة التي تلامس المتلقي عاطفياً في الصورة، وغالباً ما تكون دمعة غير متوقعة، أو عيناً محمرة، أو وجهاً مشدوداً بالبكاء الصامت». هذه اللقطات العابرة والتي كثيراً ما يلتقطها المصور العفوي أكثر من المحترف - تؤدي وظيفة تمثيل وجداني مباشر، يتجاوز أي تعليق لغوي. فالصورة التي تُظهر دمعة على خد عجوز، أو عيناً دامعة خلف النقاب، تجسّد بعمق العلاقة بين الحزن المقدّس والانتفاء.

وقد وصفت (سوزان سونتاج، ٢٠٠٣: ٨٥) هذا النوع من الصور بأنها «الصور التي لا تُشاهد بعين المحلل بل تُرتجف لها العين الأخلاقية».

يُعدّ التعب الجسدي والزمني من أبرز تمثيلات الحزن في المسير الأربعيني. إذ يلتقط الزائر في لحظات استراحة عابرة، وقد أسند رأسه إلى عمود، أو جلس على الأرض متعرقاً، أو تمدد في سكون مثقل بين المواكب. هذه المشاهد التي تحوّلت إلى نوع من اللغة البصرية الشعبية تجسّد الحزن لا بوصفه انفعالاً درامياً بل سلوكاً يومياً خافتاً، يشير إلى مدى الانخراط الرمزي في الشعيرة فكما يعيد الطقس تمثيل الفاجعة، تعيد الصورة تمثيل التعب كجمال أخلاقي، يندمج فيه الزمن الحاضر بزمن الطف.

أما الوجه في الصورة الأربعينية، فلا يظهر باعتباره واجهة للهوية فحسب، بل يُمارس وظيفة تأويلية. فهذه الوجوه العابرة أمام العدسة - التي قد تغيب عنها عناصر التركيب الفني، لكنها مشحونة بالصدق - تجسّد لحظة شعورية قصوى، لا تحتاج إلى تعليق. التحديق، الشرود، الصمت، العيون المشدودة إلى الأفق، الفم المفتوح بالبكاء الصامت، جميعها علامات تُنقل دون صوت، لكنها محمّلة بالدلالة.

في فكر (بارت، ١٩٨٠: ٦٢)، «الوجه الإنساني في الصورة هو المكان الذي تنفجر فيه اللغة دون كلمات». وهنا يكون تمثيل الحزن أشدّ تعبيراً، حين يلتقط في لحظة ما قبل أو بعد الانفعال الظاهري.

في بعض الصور الأربعينية، تتحوّل المجموعة البشرية إلى مشهد تأبيني مفتوح؛ حيث يصطف الزوار في مواكب مرتبة، أو يحملون مجسمات رمزية مثل النعوش، الرايات والرؤوس الرمزية، مما يجعل الصورة تُحاكي لوحة جنائزية تمثل الحزن بصيغته الجمعية. فالصورة هنا لا تُؤطر فرداً، بل جماعة في فعل حداد جماعي حيّ.

وهنا تتقاطع الصورة مع مفهوم التمثيل الرمزي لدى (ميرسيا إلياد، ٩٤: ١٩٨٧) الذي يرى أن «الطقس لا يُعبّر عن الرموز فقط، بل يُجسّدُها جسدياً». ومن ثم، فإن الصورة ليست تسجيلاً لما حدث، بل جزءٌ مما يحدث في إنتاج الرمز نفسه.

٣- الأمل عبر العدسة: مشاهد الكرم، التضامن، والمشاركة الرمزية:

في مقابل تمثيل الحزن بوصفه استدعاءً للذاكرة والفقْد، تبرز في الصورة الأربعينية تجليات جمالية موازية تُعبّر عن الأمل، لا كعنصر نقيض، بل كقوة مضادة تُوازن الوجدان الطقسي وتُنعشه. فالأمل في هذا السياق ليس نفيًا للحزن، بل تحويلاً له إلى فعل إيجابي يتجلى في المشي، في الخدمة، في الضيافة، في المساعدة، وفي إعادة تأكيد الانتفاء. وهنا تلعب العدسة البصرية دوراً أساسياً في التقاط هذه الطاقات الإيجابية، وفي تحويل الطقس من سردية حزن إلى مشهد تفاعلي مفتوح على المستقبل.

تتكرر في كل موسم أربعيني صور لمواكب الخدمة، وهي تقدّم الطعام، الماء، المبيت، والتدليك للزائرين. لا تُعدّ هذه الصور تقارير إخبارية، بل لقطات رمزية مكثفة تُورشف فعل العطاء وتحوّله إلى سردية طقسية حيّة. الوجوه المبتسمة خلف قدور الطبخ، الأيدي الممتدة بأكواب الشاي، الأطفال الذين يقدمون الخبز على الطرقات... كلها لحظات اختزلتها العدسة لتكون تجسيداً بصرياً لـ «أمل مُعاش» لا «أمل مؤجل».

إن هذه الصور لا تكتفي بتمثيل الفعل، بل تمنحه بعداً قدسياً، حيث يتحول الكرم من سلوك اجتماعي إلى رمز يُجسد فكرة «المؤاخاة الحسينية»، ويتحول العطاء العفوي إلى فعل مقاومة للنسيان، وصيغة لصيانة المعنى. ويمكن قراءة هذه المشاهد في ضوء مفهوم «الأمل النشط» عند (إرنست بلوخ)، الذي يرى أن «الأمل الذي لا يُمارس يموت في الفكر، أما الأمل المُمارس فيُعيد صناعة الممكن» (بلوخ، ١٩٨٦).

ربما من أكثر الصور تعبيراً عن الأمل تلك التي تُظهر الزائرين وهم يتعاونون: شخص يحمل حقيبة شخص مسن، أطفال يرافقون ذويهم، مجموعة تؤدي طقساً موحداً كالمشي أو تنظيف الطريق. هذه الصور لا تمثل أشخاصاً، بل تُجسد «أفعالاً رمزية» ترتبط بفكرة الجماعة المتضامنة، حيث يُصبح الجسد الجماعي هو الموضوع المركزي للعدسة.

في فكر (إميل دوركايم)، تُعدّ مثل هذه اللحظات تجليات صافية لل«وجدان الجمعي»، حيث يختفي الفرد لصالح شعور موحد بالانتماء، ويصبح العمل الجماعي فعلاً جمالياً يخلق توازناً بين الذات والكلّ (دوركايم، ١٩٩٠: ١١٢). وفي هذه الصور نرى الأمل لا في البريق البصري، بل في الحميمية اليومية: في يد تمسك يداً، في عيون تنظر باتجاه واحد، في خطوات متوافقة نحو كربلاء.

تلعب الصور التي تُظهر الأطفال المشاركين في الشعيرة دوراً رمزياً كثيفاً، إذ يُمثّل الطفل كجسر بين الحاضر والمستقبل، وبين المعاناة والبراءة، وبين الطقس والمقدّس. وتُظهر هذه الصور الأطفال وهم يوزعون الماء، ينظفون الطريق، أو يرتدون زياً طقسياً. هذه المشاهد تُعبّر عن أمل الجماعة في الاستمرارية، وعن نقل الرموز من جيل إلى آخر.

يرى (رولان بارت) أن «الطفل في الصورة لا يعني المستقبل فقط، بل يدلّ على الهشاشة والممكن في آن واحد»، ومن هنا فإن صور الأطفال في الأربعين لا تُحرّك فقط مشاعر الحنان، بل تُجسّد ما أسماه (والتر بنيامين) «الطليلة الرمزية للذاكرة»، أي أولئك الذين سيحملون الشعيرة إلى ما بعد زمننا.

من أبرز ثيمات الأمل في الصور الأربعينية هي الحركة نفسها، وتحديدًا مشاهد المشي الجماعي على الطرقات المؤدية إلى كربلاء. فهذه الصور لا تُمثّل حدثًا مكانيًا فقط، بل تشير إلى فعل رمزي متكرر سنويًا يحمل في طياته نوعاً من الرجاء الوجودي. ويكمن جمال هذه الصور لا في تفاصيلها الفنية فقط، بل في الإيقاع البصري الذي يخلقه تكرار الأرجل، الظلال، الرايات، والانحناءات باتجاه واحد.

إنّ العدسة التي تلتقط هذا التدفق الحركي لا توثق المسير، بل تُمثّله بوصفه إصرارًا رمزيًا على المعنى. وكما عبّر (مارتن هايدغر) عن «اللغة بوصفها بيت الكينونة»، فإن المشي هنا يصبح «مسيرًا إلى المعنى» توظفه الصورة لتنتج خطابًا جماعيًا لا يتكلم، بل يمشي.

في السياقات التي تشهد قمعًا سياسيًا أو أزمات اجتماعية، تُمارس الصورة الأربعينية نوعاً من المقاومة الرمزية، حيث تتحول مشاهد الحشود، الخدمة، التآخي، والصبر إلى رسائل مفتوحة موجهة إلى الخارج. هذه الصور، رغم بساطتها، تحمل مضمونًا قيمياً مكثفًا: لا تزال الجماعة متماسكة، ولا يزال المعنى يُمارس، ولا يزال الطقس يجري رغم الظروف.

في هذا الصدد، تقارب الصورة مفهوم «البلاغة الرمزية» كما طرحه (بيير نورا)، إذ يرى أن الذاكرة تُنتج رموزها من خلال تمثيلات قابلة للتداول الجماعي، تعمل على صيانة الهوية وتحدي محو التاريخ.

الفصل الثاني

الفن التشكيلي والنحت - أسطورة الطف وتحويلها إلى ذاكرة بصرية

في سياق الشعائر الحسينية لا يقتصر التعبير الرمزي على الحضور الجسدي أو السرد اللفظي بل يمتد إلى المجال البصري والفني ليتجسد في اللوحات التشكيلية الأعمال النحتية الجداريات والمنحوتات الطقسية التي تتوزع في الطرقات الحسينيات والساحات العامة. هذه الأعمال لا تؤدي دور التزيين فحسب بل تُشكّل ما يمكن وصفه بـ «أسطورة الطف» أي تحويل واقعة كربلاء من حدث تاريخي إلى رمز بصري دائم يعيش في الخيال الجمعي ويتجدد بصرياً كل عام.

١- الخيال المادي وتشكيل الصورة: من النص إلى الرمز

يُعدّ (غاستون باشلار) من أبرز المفكرين الذين تناولوا العلاقة بين المادة والخيال في البنية الجمالية للصورة الفنية، حيث اعتبر أن الخيال لا يُبنى في الفراغ المجرد، بل يتشكّل دائماً ضمن علاقة حيوية مع «المادة الشعرية» للعالم. في كتابه الهواء والأحلام، وكتبه الأخرى التي تشكل ما يُعرف بـ «رباعية العناصر»، يشدد (باشلار) على أن كل عنصر مادي (النار، الماء، التراب، الهواء) يحمل في طياته قدرة رمزية كامنة يُحرّرها الخيال عندما يتعامل معها فنياً. ولذا فإن العمل الفني من منظوره ليس مجرد تعبير عن فكرة داخلية، بل هو تشكيل شعري للمادة يجعل من التراب، والجسد، والخشب، والنار رموزاً للذاكرة والهوية والعاطفة.

وعندما ننقل هذا التصور إلى السياق الحسيني، وتحديدًا إلى الأعمال التشكيلية والنحتية التي تتناول واقعة الطف، نجد أن الفن هنا لا يعتمد على الإحالة المباشرة إلى النص التاريخي، بل يقوم على عملية تحويل مادي-رمزي للحدث. الطين، الخشب، البرونز، القماش، وحتى الألوان الداكنة والحمراء والذهبية، لا تُستخدم بوصفها مواد حيادية، بل باعتبارها حوامل لوجدان خاص وتراكم رمزي كثيف ارتبط بتجربة كربلاء عبر قرون.

الفنان الذي يرسم الحسين، أو يصوّر العباس، أو ينحت مشهد وداع زينب، لا يسعى إلى تقديم مشهد واقعي دقيق، بل إلى إنتاج «تجلّ شعري للمأساة». وبهذا المعنى، لا تكون الصورة محاكاة، بل ولادة ثانية للحظة الطف ضمن شروط جديدة من التلقي. هنا تدخل رموز مثل السيف المكسور، القربة الفارغة، الطفل الملقى على الرمال، الخيمة المحترقة، الحصان الملطخ بالدم، ضمن بنية «رمزية مفهومية»، حيث لا تُفهم هذه العناصر بصفاتها أشياء في ذاتها، بل بصفاتها شفرات دلالية تستحضر منظومة من القيم: الشهادة، الفقد، العطش، الأمل، والرفض البطولي.

ويُعزّز هذا النمط من التمثيل ما يُعرف في علم الجمال الحديث بـ «الرمزية الجماعية»، وهي عملية تحويل الفردي إلى جمعي من خلال الصورة، وتحويل المادة إلى ذكرى مشتركة من خلال العمل الفني. فكما أشار (باشلار)، فإن المادة حين تمر عبر الخيال تصبح شعرية، أي قادرة على إحداث الانفعال والتأمل، وليس فقط الإدراك البصري. والطف - بوصفه لحظة مأساوية مشبعة بالمعنى - يُعدُّ حقلاً خصباً لتحقيق هذا التفاعل.

إن الفن الحسيني بهذا المعنى لا يسعى إلى إعادة تمثيل النص، بل إلى إعادة تأويله وتفجيرها داخل الذاكرة المعاصرة. إنه يحوّل الحدث إلى «نص بصري»، والمأساة إلى «رمز مادي»، والذكرى إلى «صورة خيالية قادرة على الحياة في الزمن الجديد». وبهذا يتحول الفنان إلى مشارك طقسي، لا مجرد مبدع فردي، وتتحوّل مادته الفنية إلى لغة طقسية تُجدد معنى الحسين في كل عمل، وفي كل لحظة تأمل.

٢- جداريات الذاكرة: الحسين في فضاء المدينة

في مدن مثل كربلاء والنجف والبصرة لا يمكن للزائر أن يخطو خطواته الأولى دون أن تستقبله الجدران بالكلمات والرسوم والرموز المرتبطة بالواقعة الحسينية. لا تنتمي هذه الجداريات إلى نمط «الفن العام» بمعناه الغربي فحسب، بل تنبع من أعماق الذاكرة

الشيعة التي تعيد إنتاج ذاتها بصرياً في كل موسم من مواسم الحزن والولاء. فهي ليست مجرد رسومات تزيّن جداراً، بل ممارسات بصرية تُنشّط الذاكرة الجماعية وتستدعي الرموز الكبرى للحدث الحسيني، مما يجعل من المدينة فضاء مشبعاً بالانفعال الديني والتاريخي.

أشار المفكر الفرنسي (بيير نورا، 1997) في نظريته عن «أماكن الذاكرة» (Les lieux de mémoire) إلى أن المجتمعات التي تواجه خطر النسيان تميل إلى خلق علامات مادية ومكانية تعوّض بها الذاكرة الحية وتثبت من خلالها الانتفاء والهوية. وفي السياق الأربعيني، يمكن النظر إلى هذه الجداريات بوصفها أماكن للذاكرة المرئية، لا تُخلد فيها فقط شخصيات كربلاء من الحسين وأخيه العباس وأصحابه، بل يُستحضر عبرها أيضاً معنى الفداء والصمود والمظلومية كقيم وجودية يعاد تشكيلها في حياة الفرد والجماعة. بذلك تصبح الجدارية الحسينية حارساً للهوية لا يقل أهمية عن النصوص المنقوشة أو المدونة في كتب التراث.

هذه الجداريات في كثير من الحالات لا تُنفذ بأيدي فنية محترفة فقط، بل تُرسم ضمن مبادرات جماعية: طلاب، معلمون، أصحاب مواكب، أو حتى أطفال الحسينيات. هذا الطابع الجمعي يضيف على الفعل الفني بعداً شعائرياً، فيغدو الرسم على الجدران فعلاً تعبدياً لا يقل رمزية عن المشي إلى كربلاء أو الطبخ في الموكب. هنا يتحول الجدار ذاته إلى امتداد لجسد الجماعة، وسطح مفتوح للروح والانتفاء. يصبح الجدار شاهداً صامتاً يخاطب كل من يمر، ويعيد عليه سرد الحكاية ذاتها كل عام: «هيئات منا الذلة».

وما يضيفي طاقة خاصة على هذه الجداريات هو تنوع أشكالها وتفاوتها الجمالي. منها ما يُصمّم باحترافية تشكيلية، ومنها ما يُرسم بالأيدي المرتجفة للمشاركين في المواكب، بألوان بسيطة وتعابير مباشرة. ومع ذلك، فإن هذه الجداريات، بغض النظر عن «جودتها» الفنية، تحمل طابعاً رمزياً عالياً. فهي تخاطب العين والقلب معاً،

وتؤسس شبكة بصرية كثيفة من الرموز: السيف، الدمعة، القربة، الخيمة، القبة، النخلة، والرأس المرفوع على الرمح.

بل يمكن القول إن المدينة العراقية في موسم الأربعين تتحول بأكملها إلى «لوحة طقسية كبرى» يلتقي فيها المقدس بالعادي، وتذوب فيها الحدود بين الفضاء الديني والفضاء المدني، وبين الخاص والعام. فالمدرسة تتحول إلى مزار مصوّر، والمستشفى إلى موضع دعاء، والجدران إلى منابر صامته تروي الحكاية ذاتها بآلاف الأساليب والألوان.

وهكذا تسهم الجداريات الحسينية في تجذير الذاكرة الجماعية، وتحويل المشهد الحضري إلى أرشيف حيّ للوجدان الجمعي، حيث لا تُشاهد الصورة فقط، بل تُستعاد ويُتفاعل معها، وتؤسس من خلالها علاقة بين الحاضر والتاريخ، بين الجدار والروح، بين المدينة والحسين.

٣- النحت الحسيني: الجسد بوصفه مرآة للشهادة:

في التقاليد البصرية المرتبطة بالشعائر الحسينية يحتلّ النحت مكانة فريدة لا تقتصر على استحضار الرموز بل تسعى إلى تجسيدها مادياً في بُعد ثلاثي يعمّق العلاقة بين المتلقي والذاكرة الشعائرية. فالنحت الحسيني لا يقدم تمثيلات رمزية سطحية بل ينحت الوجدان الشيعي في المادة ليولد تماثيل تتكلم وتنزف وتروي دون الحاجة إلى الكلمة. وهنا تصبح الهيئة المنحوتة مرآة للحدث تُعيد بناء اللحظة الكربلائية كمشهد دائم حاضر في الزمان والمكان.

غالبًا ما تتركز الموضوعات النحتية حول لحظات حساسة من واقعة الطف: لحظة السقوط البطولي للحسين على رمضاء كربلاء، وداع العباس وهو ذاهب إلى نهر العلقمي، صرخة الرضيع عبد الله حين أصابه السهم، أو احتضان السيدة زينب لجثمان أخيها. هذه المشاهد حين تتحول إلى منحوتات لا تُنقل حرفياً من النص

التاريخي بل تُعاد صياغتها بمنطق درامي تعبيرِي يُكثف العاطفة في تفاصيل الجسد، في انحناء الرقبة، نظرة العين، ارتعاشة اليد، تقوُّس الظهر، تقطيب الجبين.

وتجد مقولة (هيجل، 1835) معناها الأقصى في هذا السياق، حين قال: «النحت هو فن تجسيد الروح من خلال الحركة الكامنة في المادة». فالنحت الحسيني ليس عملاً ساكناً أو مجرد تمثيل تشرحي بل محاولة لتكثيف اللحظة الشعورية التي سبقت أو أعقبت الفاجعة. إنه يحول المأساة إلى صمت ناطق يستدرج المتلقي إلى عالم داخلي يتقاطع فيه الخيال بالألم والانفعال بالتأمل. فعندما يقف المرء أمام تمثال العباس ممدداً على الأرض محاطاً بالسهام لا يرى هيئة جامدة بل فعلاً شعائرياً بصرياً حياً يحقِّز داخله التماهي والانتفاء.

ولا يمكن إغفال البعد المسرحي الكامن في هذه الأعمال. فالنحت الحسيني يوظف أدوات المسرح الطقسي من الإضاءة والحركة والزوايا وحتى الصوت (عند عرضه ضمن مواكب أو فضاءات مفتوحة) ليجعل من المنحوتة عنصراً درامياً ضمن منظومة شعائرية أشمل. فهو لا يُعرض في المتاحف أو المزارات فقط، بل يُنصب في الساحات العامة ومداخل الحسينيات، ليكون جزءاً حياً من التجربة الجماعية.

تكتسب المادة في النحت الحسيني بدورها قيمة رمزية. فالحديد يحيل إلى القوة، الخشب إلى التواضع، الطين إلى الأصل، والبرونز إلى الخلود. اختيار المادة ليس إجراءً تقنياً بل فعل رمزي يضفي على العمل طبقة معنوية تربط المادة بالروح، والأرض بالسما. ولا يغيب الطابع الجماعي عن إنتاج هذه المنحوتات. فهي ليست حكراً على

النحاتين الأكاديميين، بل يشارك في إنجازها شباب متطوعون ونحاتون شعبيون وورش عمل تنشط خلال المواسم، خاصة الأربعين. بذلك تتحول هذه المنحوتات إلى منابر صامته تتلو خطابها في كل موسم وتعيد استدعاء رموز الشهادة والثبات.

إن النحت في الوجدان الأربعيني ليس احتفاءً بالشكل بل دعوة للتأمل، واستعادة لواقعة الطف ليس من باب السرد، بل من باب الجسد المحفور في الحجر، النظرة الغائرة في البرونز، والدمعة المجسدة في خشب زيتوني يهمس بالحقيقة ويوقظ الأسي من سباته.

٤- تحولات الصورة من الأيقونة إلى اللوحة الرمزية

تعدّ اللوحة التشكيلية الحسينية امتداداً حديثاً لصورة «الأيقونة» في الوجدان الشيعي، لكنها تنفصل عنها من حيث الوظيفة والأسلوب، لتقدّم مستوى جديداً من التعبير البصري يقوم على التأويل والانفعال بدلاً من التقديس المباشر. فبينما كانت الأيقونة تُعرض بوصفها صورة مقدسة تمثل حقيقة ثابتة، فإن اللوحة الحسينية اليوم تعيد بناء اللحظة الطقسية كفضاء مفتوح للانفعال، حيث تُمزج فيها عناصر اللون، والحركة، والإيحاء، والرمز، لإنتاج تجربة تأملية متجددة.

من أبرز خصائص هذه اللوحات أن الفنان لا يرسم الحسين بصفته بورتريهياً تاريخياً، بل يجسده كرمز متحوّل يستدعي آلام الماضي ويُسقطها على الحاضر. الوجه غالباً ما يظهر مغموراً بالضوء، أو نصف مرئي، أو مستتراً خلف الهالة، ليس فقط بسبب الموانع الفقهية، بل نتيجة رغبة جمالية في تحرير الرمز من التحديد الواقعي ومنحه بعداً فوق شخصي يذوب فيه الفردي بالجماعي والتاريخي بالميتافيزيقي.

تُبرز هذه اللوحات توظيفاً لافتاً للتقنيات التعبيرية، من ضربات الفرشاة الحادة، إلى الخلفيات المعتمة أو المشعة، إلى الألوان الحارة مثل الأحمر رمزاً للدم، الأسود للحزن، والذهبي للقداسة. وبعض الفنانين باتوا يدمجون مواد غير تقليدية مثل رماد المواكب، أو قماش من رايات المسير، أو تراب مأخوذ من طريق النجف - كربلاء، ما يضفي على العمل بعداً شعائرياً ملموساً يحوّل اللوحة إلى مستودع للحسّ لا للبصر وحده.

تأرجح هذه اللوحات بين الواقعية والتجريد. تارةً تجسّد مشاهد مباشرة: طفل رضيع يحتضر، فارس يسقط، امرأة تحدّق في الأفق، وتارةً تغوص في الرمز: نهر يتحول إلى دم، نخلة يتدلّى منها وشاح، عين دامعة تشبه الهلال. هذا الانتقال بين المستويين يعيد صياغة واقعة الطف كرمز مفتوح للتأويل المستمر.

ومن حيث الوظيفة لم تعد اللوحة تُعلّق داخل قاعات العرض، بل تُعرض في المواكب، والساحات، والمدارس، بل وتُحمل في المسيرات على شكل رايات. إنها تخرج من الجاليري التقليدي لتدخل ضمن طقس حي، ما يمنحها طاقة إضافية، حيث يعاد إنتاجها في الذاكرة الجمعية كل مرة تُشاهد فيها.

ما يميز هذا النمط أنه يُمارس أيضًا خارج أطر الاحتراف. فالفنانون الشباب، والمتطوعون، ومشاركو الورش الشعبية، ينتجون آلاف اللوحات في موسم الأربعين، تُستخدم في مسيرات العزاء والمواكب، وتُعاد رسمها مرارًا. وهكذا يصبح الفن فعلاً جمعياً يُضخّ في الفضاء العام كطاقة وجدانية.

إن تحوّل الصورة من الأيقونة الثابتة إلى اللوحة الرمزية المتحرّكة يعكس تحوّلاً أعمق في الطقس الشيعي نفسه، من شعيرة مغلقة إلى تجربة جمالية مفتوحة للتأويل. فبهذا المعنى، تغدو اللوحة الحسينية ليست تسجيلاً للمأساة بل إعادة خلق لها، بأزمة متعددة، وبألوان لا تنفذ.

الفن التشكيلي، كما النحت، في السياق الأربعيني يعيدان إنتاج كربلاء لا كحدث تاريخي بل كذاكرة بصرية ووجدان حي. الفنان يستعير من خيال (باشلار) مادته، ومن دراما الطقس محتواها، ومن الذاكرة الجماعية رموزها، ليصوغ عملاً يُعيد كتابة الطف داخل عين كل من يراه. وهكذا، تصبح اللوحة والنُصب وجوهًا أخرى للحسين، تتحدث بلغة اللون والمادة، وتنحت الوجدان كما يُنحت الحجر.

الفصل الثالث

الخط العربي والزخرفة - قداسة اللغة وجمال الطقس

منذ بدايات الحضارة الإسلامية ارتبط الخط العربي بقداسة النص، وبخاصة النص القرآني، حتى أصبح حامله الأسمى ودليل روحه. ومع تطوره عبر العصور لم يبق مجرد وسيلة للتعبير اللغوي، بل غدا شكلاً من أشكال العبادة البصرية. في السياق الشيعي تتضاعف هذه الرمزية حين يُستخدم الخط في تجسيد الشعائر، خصوصاً في عاشوراء والأربعين، حيث تظهر اللغة المكتوبة كطقس تعبدي يجمع بين المعنى اللفظي والتمثيل الروحي.

يتقاطع هذا المعنى مع تأملات (مارتن هايدغر) حول العلاقة بين اللغة والوجود، إذ يرى أن اللغة ليست أداة للتواصل فحسب، بل هي بيت الكينونة الذي يسكن فيه الإنسان العالم. وبالاستناد إلى هذا التصور يمكن فهم الخط العربي في شعارات المواكب الأربعينية ليس فقط كتعبير عن الحزن أو الولاء، بل كأداة لإعادة تشكيل العالم ضمن رؤية وجدانية مشبعة بالمقدس. فالكتابة هنا تسكن الفضاء العام وتسكنه بالمقابل.

عبارات مثل: «يا حسين»، «هيئات منّا الذلة»، «السلام عليك يا أبا عبد الله»، حين تُحطّ بأنامل خطاطين على رايات سوداء أو قمماش أحمر، تتحول من مجرد كلمات إلى رموز طقسية، تُحيل كل ركن من أركان الطقس إلى موضع للانتماء. فالراية ليست قممًا، بل وعاء للمعنى، وشاهد على الهوية، وجسر بين الذاكرة والممارسة.

أما الزخرفة فتمثّل بعداً مكماً لروح الخط. لا تُستخدم كعنصر تزييني فحسب، بل تندمج في الإحساس الجمالي الأخلاقي للشعيرة، عبر الألوان والأشكال الهندسية والنباتية. الأسود يدل على الحزن، الأخضر على القداسة، الأحمر على الشهادة،

والذهبي على النور والخلود. ومن خلال هذا التفاعل بين الخط والزخرفة تتكوّن «لغة صامتة» تخاطب العين والقلب في آن.

ما يميّز حضور الخط العربي في المشهد الأربعيني أنه يتجاوز البُعد الجمالي ليصبح عنصراً وظيفياً داخل الطقس. تُستخدم الكتابات لتوجيه الزائرين وتذكيرهم بالنية والهدف، مما يجعل الفضاء العام بمثابة «نصّ مفتوح»، تتحرك الأجساد ضمنه على إيقاع الكلمات.

التكرار لا يُنتج الملل بل يعمّق الرمزية. الخط هنا ليس حاملاً للمعنى فحسب، بل مُنتج له، ووسيط في تشكيل «وجدان جمعي مكتوب»، يُعيد تركيب العالم بالحرف واللون والصوت الداخلي للكلمة.

في موسم الأربعين يصبح الخط العربي طقساً بصرياً متحرّكاً، لا يقتصر على الرايات واللافتات، بل يمتد إلى كل تفاصيل الفضاء، من بطاقات الخدمة إلى أكواب الشاي، بل وحتى الوشوم المؤقتة على أذرع الزائرين. هذه الكثافة الحروفية تُنشئ ما يمكن وصفه بـ«الغابة الحروفية» التي تُحاصر الزائر بالكلمات من كل الجهات، لتدخله في تجربة جمالية لا تنفصل عن بعدها الروحي.

ما يضيفي خصوصية على هذه التجربة هو تراوج الجمال الحروفي بالانفعال الطقسي. الكلمات لا تُرسم فحسب، بل تُشحن بالعاطفة، ليصبح كل حرف فعل مشاركة وتذكّر. الخط هنا وسيلة للتهاهي مع الطقس والسكن في الفضاء الروحي للأربعين، بما ينسجم مع تصور (غاستون باشلار) لـ«التخييل المادي»، حيث ينبثق الجمال من الإحساس بالمكان.

الخطاط الأربعيني، سواء أكان محترفاً أم هاوياً، لا يكتب على سطح محامد، بل على حامل رمزي مشحون: راية، جدار، قماش موكب. «السلام على الحسين» فوق باب موكب ليس للزينة بل للاستحضار، إذ يُستدعى الحسين لا كاسم فقط، بل كطاقة تؤطر المكان.

تتنوع الأساليب الخطية بين النسخ والثلث والديواني والكوفي، ولكل منها وظيفة: الثلث يُستخدم للعبارات المركزية، لما يحمل من هبة، والكوفي للفواصل لما فيه من صرامة. هذا التنوع يعكس ثراء معرفياً يتوارثه الخطاطون في الشعيرة، ويمثل نظاماً جمالياً غير مكتوب لكنه فعّال ومتكرر.

ومن الظواهر اللافتة تزايد حضور «الزخرفة الحروفية» أو (Calligrams)، حيث تُشكّل الكلمات وفق رموز بصرية كيد العباس، قبة الحسين، دمعة. تُخاطب هذه الأعمال المتلقي بمستويين: نص يُقرأ، وصورة تُرى، في تجسيد لمفهوم «النص البصري» الذي تتداخل فيه الدلالة والمعنى.

هذا الطوفان الحروفي لا يشتغل على المستوى الفردي فقط، بل يُنتج وعياً جمعياً بالمقدّس، يتكرر ويتجدد، ويكوّن مشهداً بصرياً فريداً. كل زاوية على طريق كربلاء تصبح شاهداً مكتوباً على الولاء واستمرار الذاكرة.

الخط العربي في هذا الفضاء لا يظهر كفنٍ جامد بل كفعل يومي حي يُمارس ويُعاد رسمه وتوزيعه. إنها «لغة مؤقتة»، تتحوّل مع الزمان، وتحفظ بجوهرها الرمزي. تُكتب لُرى وتُمارَس جماعياً، لتكتسب شرعيتها من حرارة المشاركة.

اللافت أن الكثير من المواكب تصر على حمل رايات مكتوبة بخط اليد، رغم وجود مطابع متخصصة. فالكتابة هنا ليست نقص إمكانات، بل فعل نذر ومشاركة. «يا حسين» تُكتب باليد، لكنها تُعبّر عن القلب. الحرف هنا جهد من الجسد، طقس بحد ذاته.

وتصل هذه التفاعلية ذروتها حين تصبح الراية موضع تأمل وممارسة: تُلمس، تُصوّر، يُتبرّك بها. الخط لم يعد دالاً فقط، بل صار أداة طقس، ونصاً رمزياً يربط الحاضر بالماضي، ويُعيد إنتاج الزمان الحسيني.

بعض العبارات أصبحت «كودات وجدانية»، تُختصر فيها كثافة وجدانية في كلمات قليلة. «لييك يا حسين» لا تُقرأ بل تُسمع وتُردّد وتُكتب كهوية. هنا يتقاطع النص مع مقولة (بول ريكور) عن «تعدد المعاني في الرمز الواحد»، فلا معنى للنص خارج سياق تلقيه، ولا للحرف خارج تجربته.

الخط العربي في الزيارة الأربعينية ليس عنصراً جمالياً فحسب، بل بنية طقسية حية. يُجرّك، يُذكر، يُجرّض، يُؤسس هوية بصرية للحدث. إنه نص حي، يُستعاد كل عام، لا ليستنزف المعنى بل ليُرسّخه ويمرّره للأجيال كعلامة حيّة على قداسة الطقس.

الفصل الرابع

فن الأداء - دراما الذاكرة والمشاركة الجسدية

١- التأسيس النظري لفن الأداء من منظور فيكتور ترنر:

إنّ دراسة فنون الأداء في الفضاءات الدينية لا يمكن أن تُغفل التحليل الطقسي الذي قدّمه الأنثروبولوجي (فيكتور ترنر)، والذي يُعدّ من أبرز من اشتغل على مفهوم «دراما الشعائر». ففي كتابه المعنون «الرمز والطقس والدراما الاجتماعية» (ترنر، ١٩٦٩)، يقترح (ترنر) أن الطقس هو فعل اجتماعي مركّب يتضمن سلسلة من التحويلات الرمزية يُعاد فيها بناء الجماعة وتُحدّد هويتها من خلال الأداء الجسدي والرمزي. الطقس لا يكرّس البنية الاجتماعية وحسب بل يخلخلها أيضًا ويمنح الأفراد فرصة للانتقال من موقع إلى آخر عبر ما يُعرف بالمرحلة الانتقالية أو «اللامكان».

ينطبق هذا التصور بدقة على الطقوس الأربعينية، إذ يتحول الزائر أو المؤدي إلى عنصر حيّ في نصّ طقسي يبدأ من نية الزيارة ويستمر عبر مسيرة المشي والمشاركة في اللطم والانخراط في المواكب والتمثيل الرمزي وارتداء الأزياء الخاصة. جميع هذه الممارسات تجعل من الزيارة فعلاً أدائياً مركّباً لا يُستوعب إلا من خلال تحليل رموزه وتجلياته الجسدية والزمانية.

٢- مفهوم الطقس كدراما اجتماعية - الزائر كمؤدّ:

يرى (فيكتور ترنر) أن الطقوس ليست مجرد تقاليد متوارثة بل «بنى درامية» يُعاد عبرها تمثيل القيم الجمعية وتأكيد الانتماء من خلال الجسد والرمز. وفي السياق الشيعي ولا سيما في زيارة الأربعين يغدو كل زائر مشاركاً فاعلاً في هذه الدراما الطقسية التي لا تقتصر على تأدية دور المشاهد أو المتلقي بل تُحوّله إلى مؤدّ يحمل على جسده وفي صوته وأدائه كل معاني الانتماء إلى القضية الحسينية.

فالزائر ليس عابراً أو محايِداً بل يدخل الفضاء الطقسي بإرادة تامة ويخضع لمسار من التحوّل الرمزي كما يصنّفه (ترنر). هذا المسار يبدأ من التجرد من الحياة اليومية والانفصال عن الزمان المدني والدخول في فضاء شعائري يتوسّط بين المقدّس والتاريخي. وهنا تبدأ مرحلة «اللامكان الطقسي» حيث لا يعود الفرد مقيّداً بهويته الفردية بل ينصهر في جماعة طقسية جماعية تعيد تشكيل العالم من خلال الحزن والحضور الجسدي والمشاركة الوجدانية.

يتخذ هذا التفاعل أبعاداً معقدة. فالمشي ليس مجرد عبور بل عبادة حركية واللطم ليس فقط ضرباً للإيقاع بل استحضر للجرح والمسرحيات ليست عروضاً بل ماتم بصرية تُستعاد بها وقائع كربلاء بصورة محسوسة قد تتجاوز في تأثيرها أحياناً الخطابة أو المدونات النصية.

كما أن الزائر يمرّ عبر مراحل نفسية متعددة أثناء طقوس الأربعين. التوق والإجهاد والتطهير والتفكير والانكسار ثم إعادة التكوين. وهذه العملية التي يُعيد فيها الجسد إنتاج المعنى تُشكّل ما يسميه (ترنر) بالاندماج الكوميونالي أي الانصهار بين الفردي والجماعي حيث تختفي الحدود بين الذات والآخر ليُولد شعور عميق بالتماهي والانتماء. وهنا يتحول الزائر إلى شاهد ومشارك وراوٍ في آنٍ واحد لا بالكلمات بل بالحضور.

وبهذا المعنى يُمكن اعتبار الزائر الأربعيني ليس فقط شخصاً يتحرك في الجغرافيا بل نصّاً أدائياً حياً يتحرك في التاريخ حاملاً معه جراح الماضي وتطلّعات الحاضر ووعود المستقبل في فعل شعائري يتجدد كل عام ويُعيد كتابة الحكاية في الأجساد والطرق.

٣- المشي الأربعيني - الأداء الجسدي كحج رمزي :

يُعد المشي إلى كربلاء في زيارة الأربعين من أبرز أشكال الأداء الجسدي في العالم الشيعي المعاصر بل ومن أكبر التجمعات البشرية الدينية على وجه الأرض. غير أن أهميته لا تتأتى من حجمه العددي أو لوجستياته بل من كونه فعلاً طقسياً مركباً يجمع بين الجسد والوجدان والرمز ويعبر عن التزام جماعي بفكرة الولاء والتضحية والخلود.

فمنذ اللحظة التي يقرر فيها الفرد أن يمشي يتخلى عن الزمن المدني ويخضع لشروط زمن كربلائي خاص. وهذا القرار بحد ذاته هو عملية انتقال من حالة الاستقرار إلى حالة المسير من الزمان اليومي إلى الزمان الطقسي. المشي ليس فقط وسيلة للوصول بل وسيلة للاندماج والانصهار في تجربة حسينية خالصة. وكما يشير بعض الباحثين في دراسات الأداء الجسدي فإن الطريق يُشكّل الجسد كما يُشكّله الجسد وهو ما يبدو جلياً في المسيرة الأربعينية حيث تتحول الأرصفة إلى أمكنة عبور نفسي لا مجرد حركة جغرافية.

وليس غريباً أن يصف كثير من الزائرين هذا المسير بالحج الثاني لأنه يستوفي شروط الطقس من حيث النية والتطهر والاندماج وتغيير الهيئة الخارجية والداخلية. إن الزائر يمشي وهو يردد اللطمية ويأكل من يد الغرباء ويبيت على الطرقات ويكسر الروتين الجسدي ليكتشف الذات الجمعية داخل جسده الفردي. وكأن كل خطوة تُعيد كتابة الطف لا باعتباره ماضياً مأساوياً بل حاضرًا متجددًا من التضحية والوفاء.

وقد أصبحت الاستجابة الشعبية لهذا الأداء علامة على أن الجسد المؤمن يمكنه أن يُشارك في صناعة المعنى لا فقط عبر الصمت أو الصلاة بل عبر الجهد والألم والعرق. فكل نفس يُبذل في الطريق هو نوع من الدموع الجسدية التي لا تسيل من العين فقط بل من الأقدام المتشققة والركب المنهكة والوجوه التي لفتحها شمس الجنوب.

وقد سجّل العديد من الرحالة والمستشرقين ممن حضروا الزيارة شهادات تشير إلى قوة هذا الأداء الرمزي حيث لاحظوا أن المشي ليس عشوائياً بل محكوم بإيقاع داخلي تحدّده مواكب الخدمة ومحطات الاستراحة وطقوس الشاي والضيافة وأهازيج الترحيب حتى أصبح الطريق ذاته مجالاً أدائياً عامّاً تشارك فيه آلاف الأجساد بوصفها أدوات لذكرى لا تنضب.

بل يمكن القول إن الطريق إلى كربلاء ليس مساراً جغرافياً بل نصّاً أدائياً طويلاً تُدوّن فيه الجماعة الشيعية المعاصرة ذاكرتها سنوياً وتُجدد ولاءها لا بالكلام بل بالمشير.

٤- طقس اللطم:

يُعدّ اللطم من أكثر أشكال فن الأداء الجماهيري حضوراً في الفضاء الطقسي الشيعي، خاصة في مواسم عاشوراء والأربعين، حيث يتحول من فعل فردي إلى أداء جماعي إيقاعي يجمع بين الجسد والصوت والذاكرة والانتماء. وقد رأى بعض الباحثين في دراسات الطقوس أن اللطم يُشبه إلى حدّ كبير أوركسترا جماعية، إذ يُعيد الإيقاع ترتيب الأجساد في وحدة عضوية تنبض بإيقاع واحد وكأنها جسدٌ جمعي يُعيد تمثيل الألم في حضرة المقدّس.

فاللطم لا يُحتزل في كونه ضرباً على الصدر بل هو في جوهره نحتٌ إيقاعي للذاكرة يبدأ بإعلان اسم الإمام أو أحد شهداء الطف ويتصاعد تدريجياً نحو القمّة الشعورية حيث تُدمج الكلمات بالإيقاع والحزن بالحركة لتنشأ جوقة وجدانية تُجسّد عبر الجسد معنى الولاء والانكسار. وترافق اللطحات عادة لطميات شعرية تنتمي إلى تقاليد فنية تمتد لقرون وتتضمن صوراً قوية ورموزاً محمّلة بالتاريخ العاطفي للمأساة.

وقد اعتبر (ميرسيا إلياد) أن الطقس يُعيد الزمن المقدس ويُفعّل حضور الإلهي في الزمن الأرضي، وهو ما ينطبق تمامًا على اللطم، حيث تُصبح كل صفقة على الصدر فعل استدعاء لكربلاء، وكل حركة تُجسّد سقوط شهيد أو صرخة يتيم أو انحناء خيمة. وهكذا لا يعود الأداء فعلًا تذكاريًا فقط بل يُصبح تجربة حسية متكررة تعيد ترسيخ الهوية الطقسية في الوعي والبدن معًا.

ومن اللافت أن طقس اللطم يُمارَس من قبل مختلف الفئات: الأطفال، الشباب، الشيوخ، وحتى الزوار الأجانب الذين لا يتقنون اللغة العربية، لكنهم يتفاعلون مع الإيقاع بما يشبه العدوى العاطفية على حد تعبير (فيكتور ترنر). فالإيقاع هنا ليس وسيلة للتنعيم فقط بل هو وسيط عابر للهويات واللغات يُترجم الحزن الجمعي إلى لغة جسدية مفهومة عالميًا.

وقد تطوّر اللطم عبر السنين من مجموعات صغيرة تؤدي الطقس في الحسينيات إلى مواكب ضخمة تتحرك في شوارع المدن تحمل معها أدوات موسيقية شعبية كالطبل والصنّج وتخضع لتنظيم داخلي صارم. بل وأصبحت بعض المواكب تتدرّب مسبقًا وتؤلف لطميات خاصة بها وتُخرج أداؤها وفق رؤية فنية متكاملة تُوظّف الصوت والحركة وحتى الإنارة لخلق مشهد طقسي تام. كل ذلك يؤكد أن هذا الأداء لا يهدف إلى العرض أو التسلية بل إلى الاندماج الوجداني حيث يُصبح كل من يشارك فيه جزءًا من ذاكرة الطف وجزءًا من مجتمع الحزن الذي يعيد تاريخه من خلال الأداء، لتتحول الهوية الشيعية من فكرة إلى ممارسة ومن سردية إلى جسد نابض بالحركة والإيقاع.

٥- المسرح الطقسي والذاكرة المجسدة - التشابيه وتمثيل الحسينيات :

تمثّل المسرحيات الرمزية أو «التشابيه» أحد أبرز أشكال فن الأداء الحسيني حيث تتجلى كربلاء على الخشبة لا بوصفها ماضي مأساوي بل باعتبارها نصًا حيًا يُعاد أدائه سنويًا لتجسيد المظلومية واستحضار القيم. نشأ هذا النوع من الأداء في المدن الشيعية الكبرى ثم انتقل إلى الأرياف والضواحي ليصبح مع مرور الزمن جزءاً من التقاليد العاشورائية يتوارثه الكبار والصغار. لا يقوم التشبيه على التمثيل بالمعنى المسرحي الغربي بل على استدعاء روعي للحدث حيث لا يُمثّل الحسين بقدر ما يُستحضر على الخشبة ويتحول النص إلى طقس والممثل إلى وسيط بين الذكرى والمشاهد.

ويعود هذا التداخل بين الطقس والمسرح إلى ما لاحظته (فيكتور ترنر) عند حديثه عن «الدراما الطقسية» والتي فيها تتحول الذكرى إلى تجربة جماعية مجسدة تمكّن الجماعة من إعادة سرد ذاتها من خلال أداء جسدي ورمزي (ترنر، ١١٢: ١٩٦٩).

في التشابيه يتواشج النص المنقول مع الأداء الحي وتنشأ حالة من الانصهار الوجداني بين الجمهور والممثلين تُعرف في الثقافة الشعبية بالبكاء الجماعي أو التفاعل الحي ويُعد ذلك ذروة التأثير. تتداخل في هذه العروض اللغة والحركة واللباس في توليد دلالات تتجاوز ظاهر الحدث. فملابس الطفل الرضيع أو صوت زينب أو انحناء العباس تتحول إلى علامات ثقافية محمّلة بوجدان عميق. تُنتج هذه العروض في الحسينيات أو الساحات وغالبًا ما تُنفذ من قبل شباب متطوعين مع تحضير دقيق للنص والديكور ما يجعل منها فنًا مركّبًا يجمع الطقس بالمسرح والشعر الشعبي.

تتطور هذه المسرحيات من عام إلى آخر سواء من حيث السينوغرافيا أو التفاعل مع الجمهور وفي بعض المدن أُسست مدارس متخصصة لهذا الفن ما يدل على تحوُّله إلى تقليد ثقافي مُأسس دون أن يفقد عفويته الوجدانية. وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن التشابيه تُعيد تثقيف الجماعة الشيعية كل عام من خلال تكرار السرد الكربلائي بلغة حيَّة وجسد نابض (ترنر، ١٩٦٩: ١١٨).

أما في زيارة الأربعين فتتخذ هذه العروض أحياناً شكل أداءات مفاجئة في الطريق حيث يصادف الزائر مشاهد حية لطفلة تنادي أبها أو فارس يحمل رأس الحسين أو جندي يمثل القسوة وكلها مشاهد تُحدث صدمة شعورية توقظ الوجدان.

يتضح من ذلك أن فن الأداء الحسيني - من المشي إلى اللطم والمسرح واللباس ليس تظهراً خارجياً للحزن بل جهاز رمزي وجسدي لإعادة إنتاج الهوية. فالجسد لا يروي الذكرى بل يُصبح الذكرى والحركة لا تحاكي الألم بل تصنعه وتقدِّمه من جديد بوصفه رسالة وزمناً حياً وصيحة ضد النسيان.

١- الطريق إلى كربلاء: الجغرافيا الرمزية للعبور والتحول:

إنَّ المسير إلى كربلاء في زيارة الأربعين لا يُحتزل في كونه فعلاً عبادياً أو تجوَّالاً جسدياً، بل هو طقس مكاني وزماني مرَّكَّب تتفاعل فيه الجغرافيا مع الرمزية، ويغدو فيه المكان حاملاً للمعنى والزمان مُحَمَّلاً بكثافة الشعور والانتماء. فالمسافة الممتدة عبر مدن العراق وقراه لا تُقطع بهدف الوصول فقط، بل يُعاد خلالها تشكيل الوعي ويُستعاد التاريخ في الجسد والذاكرة.

وقد لاحظ (ميرسيا إلياد) أن «كل عبور مكاني نحو مركز مقدَّس هو في جوهره خروج من الفوضى نحو النظام، ومن الدنيوي إلى المطلق» (إلياد، ١٩٥٩: ٢٧). ومن هذا المنظور، يغدو طريق كربلاء طريقاً رمزياً للخلاص والتطهَّر حيث يُصبح الجسد أداة للارتقاء والذهن مساحة لتأمل قيم الفداء والعدل والشهادة.

يتميّز هذا المسير بأنه تنظيم شعبي لا مركزي، ينبع من إيمان الجماعة والتزامها، ما يجعل منه جغرافيا طقسية حيَّة تكتب نفسها سنوياً عبر ممارسات الزائرين. تُقام على جانبي الطريق هياكل مؤقتة من مواكب الخدمة وأماكن الاستراحة، تُشكِّل معماراً شعائرياً لا يخضع لخرائط هندسية بل لمنطق الطقس واحتياجاته من حيث الاتجاه والتفاعل والتعبير الجماعي.

الطريق ذاته يتحوَّل إلى مسار طقسِي حي، إذ تتداخل فيه العناصر الحسية كالتراب والعرق والتعب، مع الرموز الطقسِيَّة من رايات ولافتات وصور الشهداء. فكل خطوة تُصبح شهادة وكل استراحة محطة تأمل وكل فعل إثارة طقساً صغيراً يُعيد ترسيخ المعنى. يتكوَّن بذلك نسيج رمزي جامع يُدمج فيه الزمان بالمكان بالذاكرة الجمعية في بنية أدائية متجددة.

وما يميّز هذا الفضاء أنه لا يُبنى وفق منطق الإنتاج أو الحداثة بل وفق منطق الطقس والانتفاء. إنه فضاء يُعاد إنتاجه كل عام لا بالخرائط بل بالأجساد، لا بالمخططات بل بالنذور والنيات. فالزائر حين يمشي، لا يقطع مسافة فحسب، بل يُعيد تشكيل المكان من جديد عبر الطقس ويمنحه قدسيته من خلال مشاركته فيه.

بهذا المعنى يتحوّل الطريق إلى نصّ طقسي مفتوح يُقرأ بالحواس ويتكرّر أداءه سنويًا، حيث تتجدد الرموز وتتكّرس المشاعر ويتعمّق الوجدان. لذلك لا يُعدّ الإصرار على المسير رغبة في المشقّة بل تعبيرًا عن حاجة روحية تجمع الجسد بالمكان بالإيمان في تجربة لا تُعوّضها أية وسيلة رمزية أخرى.

٢- الفوضى المنظمة وجماليات التنظيم الشعبي:

واحدة من أبرز السمات التي تُميّز زيارة الأربعين وتجعل منها ظاهرة اجتماعية فريدة هي ما يمكن تسميته بـ«الفوضى المنظمة». فعلى الرغم من العدد الهائل للمشاركين والذي يتجاوز في بعض التقديرات عشرين مليون زائر لا تُسجّل مظاهر فوضى أو اختلال كبير بل يسود نوع من الانضباط التلقائي والتنظيم العفوي الذي لا ينبع من مؤسسات مركزية بل من روح الطقس ذاته ومن شعور جمعي بالانتفاء.

هذا التنظيم اللاهومي يجد تفسيره في المفاهيم الأنثروبولوجية الحديثة حيث يرى (فيكتور ترنر) أن الطقوس الجماعية تنتج ما يسميه بـ«الكمونيتة» أي تلك الحالة من التلاحم والتساوي التي تذوب فيها الفوارق الاجتماعية ويتحوّل فيها الجمع إلى وحدة وجدانية واحدة (ترنر، ١٩٦٩: ١٣٢). وهذا ما يتحقق في الأربعين بوضوح. فالفرد لا يبقى وحده بل ينخرط لا شعوريًا في شبكة تفاعلية غير مرئية يقدم فيها الطعام ويُقدّم له، يُخدّم ويُخدّم دون ترتيب مسبق أو أدوار مهنية واضحة.

تُشكّل المواكب الحسينية نواة هذا التنظيم الشعبي . وهي تُدار في الغالب من قِبَل الأهالي أو المتطوعين الذين يُعيدون إنتاج النظام الطقسي كل عام بناءً على التقاليد المتوارثة . تتوزّع الخيم والمضافات بعفوية دقيقة وتتناغم المهام دون توجيه سلطوي . هذا التنسيق يتم غالبًا بلا خرائط مكتوبة بل عبر خبرة جمعية متراكمة وإحساس وجداني متين بالواجب الحسيني .

وليس الجانب العملي وحده ما يثير الانتباه، فحتى البنية البصرية لهذا التنظيم تنطوي على جماليات خاصة . تتكرّر الرموز، وتتناسق الألوان، وتتوحد الأزياء، وتُقدّم الأطعمة بطرق تعبّر عن الكرم والانضباط . تُزيّن الخيم برايات وصور وعبارات مأخوذة من الوجدان الطقسي . هذا التداخل البصري - رغم عشوائيته الظاهرية - يُنتج صورة مركّبة تشبه الكولاج الرمزي، لا تفرض نظامًا هندسيًا صارمًا بل تخلق تناغمًا وجدانيًا متجددًا كل عام .

بهذا المعنى تُقدّم الأربعين نموذجًا فريدًا لما يمكن تسميته «إدارة الحشود من الأسفل» . لا مركزية ولا توجيه فوقي بل تفاعل أفقي يخلق نظامًا شعبيًا بديلاً . إنه شكل خاص من التنظيم يستمد قواعده من القيم لا من القوانين، من التاريخ لا من السلطة، ومن الحنين والولاء أكثر مما يستند إلى البنية البيروقراطية الجامدة .

وما يميّز هذا التنظيم أنه يعيد تشكيل المكان بوصفه فضاءً طقسيًا ووجدانيًا يتساوى فيه الجميع . تُذوّب الفوارق وتحوّل الفوضى إلى نظام حيّ . وتستبدل السيطرة بالتشارك والانتفاء، فتغدو تفاصيل الحياة اليومية - من تقديم الماء إلى ترتيب الرايات - أفعالاً رمزية تُعيد إنتاج الهوية الطقسية في أبسط مظاهرها .

٣- الزمن الطقسي - التكرار، التقديس والانتظار:

إذا كانت زيارة الأربعين تُعيد تشكيل الفضاء عبر الرموز والتنظيم الشعبي، فإنّها، بالمثل، تُعيد بناء الزمن ذاته وتُعيد ترميزه وفق منطق طقسي خاص. هنا لا يُنظر إلى الزمن بوصفه مجرد تسلسل كرونولوجي، بل يُفهم على أنه «زمن مقدّس» مشحون بالإشارات، والانتظارات، والتكرارات ذات المعنى، كما صاغه (ميرسيا إلياد) حين رأى أن الطقس يعيد الجماعة إلى «الزمن الأول»؛ زمن الحدث المؤسس، حيث لا يُستذكر الماضي بل يُستعاد أداءً ووجداناً (إلياد، ١٩٨٧، ص. ٥٤).

وهكذا، لا يبدأ الطقس في يوم الزيارة فحسب، بل يمتد إلى الأسابيع وربما الأشهر التي تسبقه، حيث تبدأ «الزمنية الطقسية» بعدّ عكسيّ: تجهيز المواكب، طباعة الرايات، التنسيق مع الزائرين، وتأجيل شؤون الحياة اليومية. يتحوّل الزمن اليومي إلى زمن معلق - لا فراغ فيه - بل امتلاء بالمعنى والاستعداد، انتظار مفعم بالشوق والترقّب، حيث تُشحن الأذهان والجوارح برغبة اللقاء، لا بالحدث فقط، بل بالحسين ذاته كرمز ومعنى.

ثم تأتي لحظة الانطلاق، حيث تبدأ الساعات والدقائق بالتحوّل إلى وحدات شعورية. المشي، السكون، التعب، الأذان، ضوء الشمس، رائحة الحساء، كلّها تتحول إلى علامات زمن داخلي لا تُقاس بعقارب الساعة بل بحالة القلب وتردّد الأنفاس. وهو زمن لا ينتمي لمنطق الإنتاجية أو السوق، بل يُنظّم من خلال الإيقاع الجمعي والتفاعل الطقسي. ولهذا يشعر كثير من الزائرين بأن «الطريق ينتهي بسرعة» أو أن «كل يوم في المسير له نكهة فريدة»، وكأن الزمن ذاته يتشكّل من جديد.

الأهم أن هذا الزمن الطقسي يتميز بالقدرة على التكرار الخلاق؛ فهو لا يُستهلك، بل يُعاد إنتاجه سنويًا دون أن يبهت أو يُبتذل. ففي كل عام تُستعاد سرديّة الطف، تُعاد لقطات الاستشهاد، يُعاد بكاء الطفل، وتُعاد لحظة الكرم في المضافة، دون أن يشعر المشاركون بالرتابة. وهنا نجد ما عبّر عنه (بول ريكور) بمفهوم «الزمن السردى»؛ حيث تتحول الذاكرة إلى تقويم حيّ يتجدّد من خلال الطقس لا عبر النصوص وحدها (ريكور، ١٩٩٠: ٧٧).

وما يُميّز هذه الزمنية أنها لا تتوقّف بانتهاء الأربعين، بل تترك أثرًا متوالدًا في الوعي والسلوك، حيث يعود الزائر إلى حياته اليومية وهو محمّل بطاقة رمزية وروحية جديدة. ولهذا يُلاحظ أن قيمًا مثل الكرم، التواضع، التكافل، الصبر، والانتفاء، ترسّب في سلوك الأفراد وتُمارَس بعد انتهاء الطقس، وكأن الزمن الحسيني يتجاوز مناسبة معينة ليصبح نمط حياة.

إنّ الزمن في الأربعين لا يُعدّ مجرد خلفية للأداء، بل هو وسيط للمعنى، وأداة للشعور الجمعي، وفضاء للتأمل والتربية الوجدانية. هو زمن يتحوّل فيه اليومي إلى رمزي، والعادي إلى استثنائي، والانتظار إلى فعل طقسي يُعيد بناء الذات الفردية والجماعية في آنٍ واحد. بهذا المعنى، فإنّ الزمن نفسه يُصبح أحد أدوات الشعيرة، لا يُقاس بالساعات، بل بنبض الولاء ودفء الانتفاء.

٤- الكرم والتكافل كمعمار وجداني للفضاء الأربعيني:

من أبرز الخصائص التي تميّز الفضاء الأربعيني في العراق وتجعله ظاهرة ثقافية وروحية متفرّدة، هو منطق «الكرم المطلق» والتكافل التلقائي، الذي لا تحكمه مؤسسات مركزية أو دوافع اقتصادية، بل ينبع من إيمان جمعي عميق بأن خدمة زائر

الحسين تمثل قمة العبادة وتجسيداً للقيم الأخلاقية العليا. بهذا المعنى، لا يُبنى الفضاء الأربعيني فقط من خلال المعمار المادي، بل يتكوّن عبر شبكة شعورية وسلوكية تتجسّد في أفعال الخدمة، فيكون الكرم أحد مكونات هوية المكان وزمان الشعيرة.

عند تحليل هذا النوع من التكافل، يمكن استحضار مفهوم (إميل دوركايم) حول «التضامن الميكانيكي» الذي يتأسس على التماثل الشعوري والتقارب القيمي، لا على التقسيم الوظيفي أو المؤسساتي (دوركايم، ١٨٩٣، ص. ٧٠). فالمسير إلى كربلاء هو تجربة جماعية يذوب فيها الفرد في جماعة تتشابه في الهدف، في الألم، وفي تمثّل الحسين رمزاً للعدالة والتضحية. ومن هذا التماثل تنبثق حالة من العطاء العفوي، حيث يُقدّم الطعام، وتُفتح البيوت، وتُنصب المواكب، وتُقدّم الخدمات الطبية والنفسية دون مقابل أو انتظار.

المواكب الحسينية، التي تُشكّل البنية الأساسية لهذا النظام الرمزي، لا تؤدي وظيفة ضيافة تقليدية، بل تتحوّل إلى نقاط تفاعل وجداني وروحي. فيها يلّمع المتطوع أحذية الزائرين، ويطبخ آخرون محطات تدليك أو أماكن للاستراحة والقراءة، ويقف الأطفال لتوزيع الماء والتمر، وكلّها أفعال صغيرة تتجاوز حجمها الظاهري لتشكّل نسيجاً رمزياً من الكرم غير النمطي، كرم لا يُقاس بالكميات بل بشحنة المعنى. فهو مستمد من الحسين ذاته بوصفه مركزاً للرحمة والشجاعة والعطاء.

ويتجذّر هذا الكرم في بنية المجتمع، لا كممارسة ظرفية بل كطقس اجتماعي يُربّي عليه الأبناء، وتتناقله الأجيال، وتُنسج حوله السرديات العائلية والمجتمعية. فكل من خدم في الأربعين يروي تجربته بفخر، وكل من شارك في الموكب يشعر بأنه ساهم في بناء هوية جماعية منفتحة على التضحية والانتفاء. وهذا ما يجعل من الفضاء الأربعيني «مدرسة طقسية» تُعيد إنتاج الإنسان المؤمن بقيمة الخدمة.

ولا يقتصر هذا التكافل على الزوار العراقيين، بل يمتد ليشمل الزوار القادمين من عشرات الدول، فيتشكّل فضاء عابر للحدود والقوميات، يذوب فيه الفارق بين الخادم والمخدوم، ويجتمع الجميع على نية الحسين، في أداء جماعي مفتوح يشبه الطقس الكوني. هنا يُعاد تعريف العلاقة بين الجسد والمكان: فالمكان لا يُستهلك بل يُكرّم، والجسد لا يُرهق بل يُطهّر، والخدمة ليست تنازلاً بل شرفاً.

إنّ كل نقطة خدمة، من خيمة أو مضافة أو موكب، تُشكّل «حجرًا في معمار الطقس»، تبني الفضاء لا بالحجر بل بأفعال الكرم المتكرّرة التي تملأ الطرقات بالحياة وتمنح النفس شعورًا عميقًا بالكرامة. وهكذا يتحقّق في كربلاء نموذج بديل من الاقتصاد، لا يقوم على السوق، بل على القيمة الرمزية. اقتصاد روحي يُقاس فيه العطاء بميزان الوجدان، وتُحتسب فيه الأفعال للحسين لا للربح أو الماكنة.

بذلك، يُصبح الكرم في الفضاء الأربعيني ليس مجرد خصلة فردية أو سلوك عابر، بل بنية وجدانية واجتماعية تُعيد تشكيل المكان، وتحرّر الإنسان من منطق الاستهلاك والمنفعة إلى منطق التضحية والإيثار والانتفاء إلى الجماعة الروحية.

٥- الفضاء كراوية جماعية - كربلاء كمدينة رمزية :

في المحصّلة يتحول الفضاء الحسيني خلال زيارة الأربعين إلى ما يمكن وصفه بـ«رواية جمعية» تتقاطع فيها الجغرافيا مع الذاكرة والمادة مع الوجدان والطقس مع السرد. فمدينة كربلاء لا تُدرّك بوصفها نقطة على خارطة بل باعتبارها فضاء متخيّل ومُعاش في آنٍ واحد يُعاد تشكيله سنويًا عبر حركة الجموع وتفاعلات الشعيرة. إنّ كل خطوة في الطريق وكل مضافة على جانبيه وكل راية ترفرف في الريح ليست مجرد تفاصيل بل عناصر في نصّ حيّ يعيد سرد قصة الحسين لا بالكلمات بل بالحضور الجسدي وبالرمز المتحرّك وبالزمن الطقسي الذي يُعيد تشكيل العالم.

هذه الرواية لا تستند إلى سردية مكتوبة بقدر ما تُنسج في الفعل وتُحفر في الذاكرة الجمعية عبر ما يُمكن تسميته بـ«ذاكرة المكان» وهي الذاكرة التي كما يصفها (بيير نورا) لا تعود فقط إلى الماضي بل تُنتج في الحاضر وتتجدد بفعل الممارسة. كربلاء إذاً لا تُزار بل تُستعاد وكل زيارة هي إعادة تأليف للنصّ الكربلائي بصيغة معاصرة تُعيد فيه الجماعة تعريف ذاتها وحدودها وانتهاءها من خلال الأداء الطقسي الجمعي.

الرايات والرموز البصرية هنا تؤدي وظيفة السرد المكتوم، فهي ليست زينة عابرة بل أدوات لاستحضار الحكاية وتكثيف المعنى. من «يا لثارات الحسين» إلى «لبيك يا حسين» ومن صور الرضيع إلى شعارات المقاومة تتكوّن فسيفساء لغوية وبصرية تُعيد ترميز الفضاء وتحوّله من شارع إلى نصّ ومن موكب إلى فصل ومن زائر إلى راوٍ. ولا يعود الطريق مجرد ممر بل يصبح فضاء سردياً يُكتب بالحركة ويُقرأ بالدموع ويُستعاد في الخيال الجمعي بوصفه شهادة مستمرة.

الفضاء الأربعيني ليس مكاناً يُشاهد بل تجربة تُعاش، تتشكّل بالجسد وتتفعّل بالطقس وتُروى بالمشاركة، وهو لذلك فضاء سائل لا تثبته خرائط ولا تحده أسماء بل تصنعه خطوات الزائرين وتتسع مع اتساع المحبة والانتماء. إنه مدينة تنمو في الشوارع وتبنى بالحناجر والدموع والأقدام وتُصبح فيه كربلاء فكرةً وجسداً ونداءً دائماً للحقيقة والوفاء. ففي هذا الامتزاج العجيب بين الرمز والمادة بين المفرد والجماعة بين الأرض والسماء يصبح الفضاء نفسه نصّاً مفتوحاً ومسرّحاً روحياً لا تُروى فيه القصة بل تُجسّد وتُعاش.

وهكذا تثبت زيارة الأربعين أنّ الإنسان لا يحتاج إلى قلم ليكتب التاريخ بل إلى وجدان يتحرّك وقدم تسير وقلب يتذكّر، وأنّ الفضاء حين تمتلئ جنباته بالكرامة والعزاء والرجاء يمكنه أن يتحول إلى قصيدة صامتة تُروى بلا كلمات وتُحفظ في القلب لا في الكتب وتُكتب كربلاء من جديد في الشوارع لا في السطور.

نتائج البحث ومناقشتها

يكشف هذا البحث التحليلي عن الطابع المركب والعميق لتمثيلات الوجدان الجمعي في الفنون الطقسية الخاصة بزيارة الأربعين، حيث يتداخل البعد الرمزي مع التعبير الجمالي والمشاركة الجسدية، لتتكوّن شعيرة شعبية لا تقتصر على استذكار المساة بل تُعيد عبر الأداء والرمز والفضاء صياغة الهوية الشيعية على مستويات متعددة: روحية وجمالية واجتماعية.

١. بيّنت الدراسة أن الصورة الفوتوغرافية والسينمائية لا تؤدي وظيفة توثيقية فقط، بل تعمل كوسائط وجدانية تُعيد تفعيل اللحظة الحسينية في الحاضر. هذا الحضور البصري يرتبط بما طرحه (والتر بنيامين) حول «الهالة» و«الآن وهنا»، إذ تسهم هذه الصور في ترسيخ لحظات الألم والكرامة كذاكرة جمعية معيشة ومتحرّكة.

٢. أظهرت نتائج التحليل أن الفن التشكيلي والنحت يستندان إلى «الخيال المادي» كما تصوّره (غاستون باشلار)، ليُعيد تشكيل كربلاء بأسطورة بصرية نابضة، حيث تصبح التماثيل والجداريات أدوات لخلق «أمكنة ذاكرة» تؤدي وظيفة تربوية/جمالية داخل الشعيرة.

٣. في محور الخط العربي والزخرفة، اتضح أن اللغة تتحوّل إلى وسيط قدسي، وأن النصوص تُمارس للقراءة فقط، بل للمُشاهدة والتفاعل الطقسي، ما يجعل من الجمال البصري للخط عنصراً فاعلاً في بناء هوية شعائرية تنطق بجمالية الحزن وقداسة القضية.

٤. كشفت دراسة فنون الأداء - خصوصاً اللطم والمسرحيات الرمزية (التشابهية) - أن الجسد يُصبح مسرحاً حياً للتمثيل الشعوري، حيث تتداخل الحركة والصوت والانفعال في مشهد وجداني تتجلّى فيه مفاهيم «الكمونيته» و«الدراما الطقسية» كما نظر لها (فيكتور ترنر).

٥. أما في محور تصميم الفضاء، فقد أظهرت الدراسة كيف يتحوّل طريق المشي إلى كربلاء إلى جغرافيا رمزية، تُعيد تشكيل المكان وفق منطلق طقسي/ اجتماعي يتجاوز المفاهيم التقليدية للبنية التحتية، ويمنح الفضاء بُعدًا وجدانيًا قابلاً للتكرار والتمدد الشعائري.

وإذا كانت هذه النتائج تسلط الضوء على الأبعاد المتشابكة للفنون الطقسية الأربعية، فإنها تُفضي إلى مجموعة من الاستنتاجات النظرية والتطبيقية، التي تُبين كيف تتحول الشعيرة إلى جهاز تعبيرى مركّب يعيد إنتاج الهوية والذاكرة والتجربة الجمعية، وذلك على النحو الآتي:

١. الفنون البصرية والمجتمعية المرتبطة بزيارة الأربعين لا تؤدي وظيفة زخرفية أو توثيقية فقط، بل تُمارس كوسائط رمزية تُعيد حضور كربلاء في الوجدان المعاصر.

٢. الشعيرة الأربعية تجسّد توترًا وجدانيًا متبادلًا بين الحزن والأمل، تتجلّى فيه صور التعب والدموع، مقابل صور الكرم والخدمة والرجاء.

٣. الزائر لا يُعد متلقياً سلبيًا، بل يُسهم بجسده وممارساته في إنتاج المعنى الطقسي، ويُحوّل مشاركته إلى عنصر عضوي من عناصر المشهد.

٤. المكان في زيارة الأربعين يتجاوز الجغرافيا ليُصبح بنية ذاكرية طقسية، تُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والمقدس من خلال رموز وفضاءات معيشة.

٥. الصورة الطقسية تُنتج جمالاً أخلاقياً صادقاً، لا جمالياً شكلياً فنياً، مما يُرسخ «هوية بصرية جمعية» مشحونة بالوجدان والانتفاء.

٦. الرموز والتمثيلات البصرية تُعيد سرد واقعة كربلاء بلغة العصر، دون أن تفقدها رمزيتها، ما يجعل الفن الحسيني ذاكرة مرئية متجددة.

٧. تُظهر النتائج ضرورة إعادة دمج الفنون الطقسية في دراسات الجماليات والدين والأنثروبولوجيا، لفهمها كجهاز تعبيرى ومعرفى حيّ يُجسّد الوجدان ويُنتج الهوية.

الاقتراحات

بناءً على ما سبق من نتائج تقترح الدراسة عددًا من التوصيات التي يمكن أن تُسهم في تطوير البحث والتوثيق والنقاش حول تمثيلات الوجدان الجماعي في الشعائر الأربعينية:

١. تشجيع الأبحاث متعددة التخصصات (الفن الأنثروبولوجيا الدراسات الدينية الفلسفة) التي تدمج بين التحليل الجمالي والتحليل الرمزي للطقوس بما يفتح آفاقًا أوسع لفهم التعقيد الثقافي والروحي للشعائر.
٢. إنشاء أرشيف بصري ومكتوب للأعمال الفنية المرتبطة بالأربعين خاصة الجداريات المسرحيات الشعبية والتصوير الطقسي لتوثيق التحولات الجمالية والاجتماعية عبر الزمن.
٣. دعم المبادرات المحلية الفنية التي تسهم في تأطير الممارسة الطقسية بصيغ فنية معاصرة دون المساس بروحها الجمعية مما يُعزز من حضور الطقس في السياق الثقافي الحديث.
٤. إدماج الفنون الطقسية في المناهج التربوية والثقافية بهدف «تلقين العقائد» وكذلك لفهم البعد الرمزي والاجتماعي للفن كأداة للتعبير عن الهوية والانتماء والذاكرة.
٥. تشجيع الحوارات الفكرية داخل المجتمع الشيعي حول كيفية الحفاظ على الطقس في صيغته الأصيلة مع الانفتاح على التجديد الفني والتقني بما يوازن بين الوفاء للرمز والتعبير المعاصر عنه.
٦. إجراء دراسات مقارنة بين الطقوس المشابهة في الثقافات الأخرى (مثل مواكب العزاء في أميركا اللاتينية أو الطقوس الجنائزية البوذية) لتحديد الخصوصية والتقاطعات بما يثري الفهم النظري للطقوس الجماعية.

١. باشلار، غ. (٢٠٠٠). الخيال المادي (ترجمة: جورج سعد). بيروت: دار دمشق.
٢. بنيامين، و. (٢٠٠٦). أعمال مختارة: الصورة والوعي التاريخي (ترجمة: فواز طرابلسي). بيروت: دار الساقى.
٣. ترنر، ف. (٢٠١١). الطقوس والرموز: دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية (ترجمة: نهاد خياطة). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
٤. دوركايم، إ. (٢٠٠٣). الأشكال الأولية للحياة الدينية (ترجمة: عز الدين الخطابي). الدار البيضاء: دار توبقال.
٥. ريكور، ب. (١٩٩٩). الذاكرة، التاريخ، النسيان (ترجمة: جورج زيناتي). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
٦. فان غينيب، أ. (٢٠١٠). طقوس العبور (ترجمة: كمال بومير). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
٧. كريم، هـ. (١٩٩٣). جماليات الطقوس الدينية (ترجمة: نجيب ميقاتي). القاهرة: مكتبة مدبولي.
٨. هايدغر، م. (٢٠١٠). هولدرن وماهية الشعر (ترجمة: فتحي المسكيني). بيروت: دار جداول للنشر والتوزيع.
٩. إلياد، م. (٢٠٠٦). المقدس والمدنس (ترجمة: فريد الزاهي). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
١٠. نورا، ب. (١٩٩٩). أمكنة الذاكرة. في: ريكور، ب. (تحرير). الذاكرة والتاريخ (ترجمة: فواز طرابلسي). بيروت: دار الساقى.

١١. ياسين، هـ. (٢٠٢٠). الزيارة الأربعينية وتمثلات الطقس في الفضاء العام. مجلة دراسات إنسانية معاصرة، ٦(٢).
١٢. القزويني، ع. غ. (٢٠٢٢). جماليات الخط العربي في الرايات الحسينية. مجلة فنون الشعائر الإسلامية، العدد ٨.
١٣. النجفي، م. (٢٠١٩). النحت والشهادة: قراءة في المنحوتات الحسينية. مجلة الفنون البصرية المعاصرة، العدد ١٢.
١٤. علوي، ف. (٢٠٢١). الدراما الدينية والذاكرة الجمعية في المسرح الطقسي. مجلة النقد الثقافي المعاصر، العدد ١٥.
١٥. الحسيني، م. ر. (٢٠١٨). الهياكل المؤقتة وسوسيولوجيا الضيافة في زيارة الأربعين. مجلة أنثروبولوجيا الدين والمجتمع، العدد ٥.

المسؤولية المدنية الناجمة
عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية

م. م زهراء سالم صبري
جامعة بغداد / مركز التخطيط الحضري والإقليمي
zahraa.s@iurp.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

تغطي هذه الدراسة مسألة من اعقد المسائل لماثيره من إشكاليات على أرض الواقع، إذ إن للزيارة الأربعينية قدسية كبيرة لدى جميع المسلمين كونها تمثل الاستمرار والثبات على قضية الأمام الحسين (عليه السلام)، إذ تشهد زيادة في اعداد الزائرين سنوياً، مما يترتب عليها العديد من الأضرار التي قد تكون مادية أو جسدية أو معنوية، سواء تضر بالأفراد أو بالمتلكات العامة والخاصة، وعليه نسعى في تلك الدراسة إلى بيان مدى قابلية تعويض هذه الأضرار ضمن قواعد المسؤولية المدنية في القانون العراقي، كما تتضمن الجهات المحتملة لتحمل المسؤولية مستندين في ذلك الى النصوص القانونية، كما يجري البحث مقارنة مع تجارب بعض الدول التي تنظّم مناسبات دينية مشابهة بغية استلهاً نماذج قانونية فعالة، ويخلص البحث إلى ضرورة إقرار تشريع خاص ينظّم زيارة الأربعين، ويُفعّل آليات التعويض العادل للمتضررين، كإنشاء صندوق وطني للتعويض، وتنظيم عمل المواكب ضمن إطار قانوني واضح بما يحقق التوازن بين قدسية المناسبة وحماية الحقوق.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين-الحشود المليونية - خدمة الزائرين - اربعينية

الامام الحسين (عليه السلام) - الاضرار في الزيارة - المسؤولية المدنية

Civil Liability Arising from Damages during the Arbaeen Pilgrimage

Asst. Lecturer Zahraa Salem Sabri

University of Baghdad / Center for Urban and Regional Planning

Abstract:

This study addresses one of the most complex issues due to the legal and practical challenges it raises. The Arbaeen Pilgrimage holds profound sanctity for all Muslims, as it represents continuity and steadfastness in the cause of Imam al-Husayn (peace be upon him). Each year, the number of pilgrims increases, and with this growth come various types of damages—material, physical, or moral—that may affect individuals as well as public and private property. Accordingly, this research seeks to examine the extent to which such damages may be compensated under the rules of civil liability in Iraqi law, while also considering the potential parties who may bear such responsibility. The study draws upon relevant legal texts and makes a comparative analysis with the experiences of other countries that regulate similar religious events, in order to draw lessons from effective legal models. The research concludes with the need to enact specific legislation to regulate the Arbaeen Pilgrimage, activate mechanisms for fair compensation to those affected—such as establishing a national compensation fund—and organize the work of service groups (mawakeb) within a clear legal framework that balances the sanctity of the pilgrimage with the protection of rights.

Keywords: Civil Liability, Arbaeen Pilgrimage, Mass Gatherings, Pilgrims' Services, Arbaeen of Imam Hussein, Damages in the Pilgrimage

تعد المسؤولية المدنية من أهم أدوات القانون في حماية المجتمع من الأضرار التي قد تقع نتيجة أفعال الغير، سواء كانت عمداً أم نتيجة إهمال أو تقصير، وتزداد أهمية تلك الأداة في الحالات التي تتعلق بتجمعات ضخمة كالزيارة الأربعينية التي تقام سنوياً، إذ يحشد الزائرين في مسيرة إيمانية ضخمة تتطلب جهوداً تنظيمية كبيرة، ورغم تميز الزيارة بوجود الروح التضامنية والإنسانية، إلا أنها لا تخلو من وقوع أضرار متكررة الأمر الذي يثير لدينا تساؤل حول كيفية التعامل مع هذه الأضرار من حيث المسؤولية المدنية؟ وهل تُطبّق قواعد القانون المدني العراقي بصورتها العامة أم أن هناك حاجة لتشريعات خاصة تتناسب مع خصوصية المناسبة؟ ومن هو المسؤول قانوناً الزائر أم الموكب أم الدولة؟ من هذا المنطلق يسعى البحث إلى دراسة الإطار القانوني للمسؤولية المدنية عن الأضرار بالزيارة الأربعينية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع بما للزيارة الأربعينية من أهمية كبيرة لدى المسلمين في جميع انحاء العالم وما تتضمنه من عقائد دينية ادت بدورها إلى جذب ملايين الزائرين باختلاف فئاتهم العمرية ومستوياتهم الثقافية والاجتماعية، حتى اصبحت وكأنها من الفروض الواجبة التي لا يمكن تركها، إلا إن بسبب بعض السلوكيات التي قد تصدر من الزائرين أو من الجهات المسؤولة أدت إلى تشوية هذه المناسبة الدينية العظيمة مما أدى إلى انتقادها والأضرار بها.

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في عدم وجود تنظيم قانوني للزيارة الأربيعينية رغم اهميتها الكبيرة لدى المسلمين ورغم توافد الزائرين إليها من جميع انحاء العالم، ولهذا يمكن طرح الإشكالية بالتساؤلات الآتية:

- أ. هل ينظر المشرع العراقي إلى الزيارة الأربيعينية على انها حدث يتميز بالثبات والاستمرار مما يتوجب سن تنظيم قانوني لحمايته؟
- ب. مدى كفاية وفعالية النصوص المتفرقة في بعض التشريعات العراقية لمواجهة الأضرار بالزيارة الأربيعينية خاصة مع تعدد المسؤولين عنها؟
- ج. هل المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية تقوم على ركن الضرر أم على ركن الخطأ، إذ يصعب اثبات ركن الخطأ في بعض الأضرار؟
- د. ما هي الآثار القانونية المترتبة على المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التي تم طرحها، لتقديم مقترحات تفيد المشرع العراقي في تشريع قانون خاص لمواجهة الأضرار بالزيارة الأربيعينية وعلى النحو الآتي:

١. تحديد الإطار القانوني للمسؤولية المدنية في القانون العراقي، وبيان الأسس التي تقوم عليها في ضوء النصوص التشريعية.
٢. تحليل صور الأضرار التي قد تقع خلال زيارة الأربيعين، سواء كانت مادية أو جسدية أو بيئية أو مجتمعية، مع ربطها بمبدأ المسؤولية المدنية.

٣. توضيح الجهات المحتملة لتحمل المسؤولية (كالزائرين، المواكب، الدولة).
٤. دراسة تجارب دول أخرى تشهد مناسبات دينية جماهيرية مشابهة، لاستخلاص الدروس النافعة والآليات التنظيمية الفعّالة.
٥. اقتراح حلول قانونية يمكن الاستفادة منها في تنظيم الزيارة الأربعينية .

منهجية البحث :

لبلوغ أهداف الدراسة والإجابة على تساؤلاتها، اعتمدت في بحثي المنهج المقارن من خلال مقارنة التشريع المدني العراقي مع التشريعات العراقية الأخرى وتجارب الدول التي لديها مناسبات دينية مشابهة، كما اعتمدت المنهج التحليلي الفلسفي للنصوص القانونية الذي يقوم على أساس تحليل الفكرة وإسنادها الى النص التشريعي المعالج لها.

خطة البحث :

سنقسم بحثنا هذا على مبحثين وعلى النحو الآتي :

المبحث الأول : ماهية المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

المطلب الأول : تعريف المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

المطلب الثاني : اركان المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

المبحث الثاني : اثار المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

المطلب الأول: المسؤولون عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

المطلب الثاني : احكام المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

المبحث الأول

ماهية المسؤولية المدنية عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية

تعد المسؤولية المدنية المحور الاساس للمسائلة بالنسبة للقانون المدني ، وتعني مجموعة من القواعد القانونية التي تلزم كل من الحق ضرر بشخص ما بالتعويض عنه ولا تتحقق إلا بوجود خطأ ينجم عنه ضرر، إلا إن التطورات الحديثة أدت إلى صعوبة اثبات ركن الخطأ في احيانا كثيرة، أو قد يتضرر الأشخاص من فعل شخص رغم عدم ارتكاب الأخير فعل خاطئ ، وهذا ما يثير لدينا تساؤل حول امكانية حصول المتضرر على التعويض عما اصابه من ضرر في حال عدم تمكنه من اثبات الخطأ، فضلا عن امكانية حصوله على التعويض عن الاضرار التي نجمت عن افعال الآخرين رغم عدم ارتكابهم افعال خاطئة ، لأن التطور الذي واكب الحياة جعل من بعض تصرفات الإنسان وإن كانت غير خاطئة سبباً في إلحاق الضرر بالآخرين.

بناء على ما تقدم لابد لنا من تعريف المسؤولية المدنية وفقا لمفهومها التقليدي والحديث، وذلك لغرض الوصول إلى المسؤولية المدنية التي تنطبق على الأضرار بالزيارة الأربيعينية في مطلب أول، ومن ثم نبين أركانها وذلك في مطلب ثاني وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

تعريف المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية

إن المشرع العراقي لم يعرف المسؤولية المدنية تاركاً الأمر للفقهاء إذ عرفها وفقاً لمفهومها التقليدي بأنها "الحكم الذي يترتب على الشخص الذي ارتكب أمراً يوجب المؤاخذة" (مرقس، ١٩٩٢، ص. ٣٠٠)، ويؤخذ على هذا التعريف تركيزه على جانب الخطأ دون بيان ما هو الأثر الذي يترتب على هذا الخطأ، كما عرفت المسؤولية المدنية التقليدية بأنها "المسؤولية عن تعويض الضرر الناجم عن الأخلال بالتزام مقرر في ذمة المسؤول" (العراي، ٢٠١١، ص. ١٠)، تبين لنا من خلال التعريف بأن المسؤولية تنشأ لتعويض الضرر عن خطأ ارتكبه المسؤول وكان من الأجر إن يعرفها بشكل مباشر بأنها التعويض دون ذكر عبارة المسؤولية عن التعويض.

بناءً على ما تقدم من التعريفات نستنتج بأن المسؤولية المدنية وفقاً لمفهومها التقليدي تعالج امرين أولهما النتيجة المترتبة على تحقق المسؤولية، وثانيهما الركن المؤسس للمسؤولية المدنية والتي لا تقوم بدونه وهو ركن الخطأ كقيام أحد منظمي المواقب بنصب منشأة غير مؤمنة تؤدي فيما بعد إلى إصابة أحد الزوار، إلا إنه في بعض الأحيان يصعب اثبات خطأ الغير وهذا الأمر يفوت على المتضرر تعويض ضرره، وذلك بسبب الصعوبات التي تواجه اثبات ركن الضرر وإثبات العلاقة السببية بينهما والتي قد تجعل أثارهما تتراخى إلى المستقبل فتصبح غير واضحة وغير محددة في معالمها، لذا اجتهد الفقهاء في وضع مفهوم حديث للمسؤولية المدنية والتي تقوم على ركن الضرر وليس على ركن الخطأ، إذ عرفها بأنها "المسؤولية التي لا تستند إلى عنصر الخطأ في تقريرها بل تستند على موضوعها أو محلها أي إلى فكرة

الضرر“ (عفيفي، ٢٠١٣، ص. ٢٤)، كما عرفت بأنها ”مجموعة القواعد القانونية التي تلزم كل من سبب ضرراً للغير بجبر هذا الضرر، وذلك بتعويض المتضرر عما أصابه من ضرر“ (يونس صالح & جمعة، ٢٠١٧، ص. ١٧٧)، إن التعريفي أوضحنا بأن المسؤولية الحديثة تقوم على ركن الضرر وذلك ليس لانعدام ركن الخطأ وإنما لصعوبة اثباته، وعليه يثار لدينا تساؤل حول أي من قواعد المسؤولية المدنية التقصيرية التقليدية أم الحديثة يمكن تطبيقها على الأضرار بالزيارة الأربعينية؟

للإجابة على التساؤل اعلاه سنقارن بين المسؤولية التقصيرية بنوعها التقليدية والحديثة لمعرفة أيهما أكثر انطباقاً على المسؤول عن تعويض الأضرار بالزيارة الأربعينية، إن المسؤولية التقصيرية التقليدية تعتمد على إثبات أركانها الخطأ والضرر والعلاقة السببية بين الخطأ والضرر إذ لا تُحمّل شخصاً مسؤولية ما لم يثبت خطأه، إلا إن ما يؤخذ على هذه المسؤولية صعوبة تحديد من أخطأ فعلاً وسط ملايين الزوار، وعليه فإن الزائر المتضرر قد يعجز عن إثبات الخطأ بسبب تعقيد الظروف، فضلاً عن إن هذه المسؤولية بطيئة في إحقاق الحق خصوصاً في الأضرار الجماعية، إما المسؤولية التقصيرية الحديثة، فهي تعتمد على وجود ضرر وتحميل المسؤولية على من قام به أو استفاد منه حتى دون إثبات الخطأ، إذ تحقق نوعاً من العدالة الاجتماعية والمسؤولية التضامنية، لأننا أمام أحداث جماعية معقدة وصعب جداً على المتضرر إن يثبت خطأ شخص معين، فضلاً عن أن الضرر قد ينتج عن تنظيم غير كافٍ أو بيئة خطيرة بطبعها فيفضل تطبيق نظرية تحمل المخاطر، كما إن بعض الأضرار تحصل بسبب مواكب أو جهات تستفيد من المشاركة بالزيارة الأربعينية بأي طريقة كانت، وهنا تتحقق العدالة بأن تُحمّل هذه الجهات المسؤولية ولو لم ترتكب خطأً تقليدياً (هاشم، ٢٠٢٠، ص. ٢١٠)، فعلى سبيل المثال تعرض زائر للإصابة بسبب سقوط شيء من خيمة موكب، فإنه في المسؤولية

التقليدية عليه أن يثبت أن أصحاب الموكب أهملوا التثبيت، أما في المسؤولية الحديثة يكفي إثبات أن الضرر قد وقع في نطاق نشاط الموكب فيحتمل الموكب المسؤولية حتى لو لم يثبت اهمال الموكب، وهذا ما أدى إلى ظهور نظام استثنائي عن القواعد العامة بدافع إن الخطر الاستثنائي يجب أن تقابله مسؤولية استثنائية والتي تتجسد بالمسؤولية الحديثة، والتي تجعل ركن الخطأ بصعوبة إثباته خارج نطاق تطبيقها أي نشوء المسؤولية لمجرد تحقق الأضرار بالزيارة الأربعينية (عبد المقصود، ٢٠٢١، ص. ٩٢٦).

المطلب الثاني

اركان المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

إن التوجهات الحديثة في المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية، ترسم انماطاً مختلفة من المسؤولية المدنية التصيرية التي يمكن إن تُفرض على الطرف المخل بالتزامه، إذ قد يكون الخطأ ثابت أو خطأ مفترض، فإذا اثبت المدعي الخطأ والضرر والعلاقة السببية بينهما فتتحقق المسؤولية التقليدية، إما إذا صعب اثبات الخطأ فيمكن تحقق المسؤولية الحديثة والتي تقوم على ركن الضرر، وعليه يثار لدينا تساؤل حول اركان هذه المسؤولية هل يكفي لتحققها ركني الضرر والعلاقة السببية بين الضرر والفعل الضار، إم لا بد من توافر أركانها الثلاث ركن الخطأ سواء كان ثابت أم مفترض للإجابة على هذا التساؤل سنبحث في ركن الخطأ وركن الضرر والعلاقة السببية بينها وعلى النحو الآتي:

أولاً: ركن الخطأ:

الخطأ هو اخلال بالتزام قانوني عام ينصب على عدم مشروعية الفعل الصادر من الشخص (الذنون، ٢٠٠٦، ص. ١٢٨)، إلا أن الخطأ الذي يرتكب في الزيارة الأربعينية بعدها تجمع جماهيري كبير يختلف عن الخطأ الذي يرتكب في مكان آخر، إذ إن مسألة اثبات الخطأ الموجب للمسؤولية في ظل هذا التجمع أمر في غاية الصعوبة، فضلاً عن إن معيار الخطأ يختلف من شخص لآخر وعليه يثار لدينا تساؤل حول ما هو معيار الخطأ في نطاق المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية؟ للإجابة على هذا التساؤل ابتكر الفقه طرق جديدة للتخفيف من عبأ اثبات ركن الخطأ، إذ إن فكرة الخطأ بدأت بالتحول التدريجي عن المسؤولية القائمة على وجوب اثبات خطأ المسؤول إلى افتراض خطأ يقبل اثبات العكس، ومن ثم افتراض خطأ لا يقبل إثبات العكس، فضلاً عن تحمل التبعة في الحالات التي يصعب فيها اثبات ركن الخطأ، وعليه سنوضح ركن الخطأ بنوعية المفروض فرضاً قابلاً لإثبات العكس أو ما يسمى بالخطأ الثابت والخطأ المفترض غير القابل لإثبات العكس، ومن ثم نوضح نظرية تحمل التبعة وعلى النحو الآتي:

١. قيام المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية على اساس الخطأ الثابت:

ان المشرع العراقي لم يضع تعريف للخطأ الثابت، إلا ان الفقه عرفه بأنه "اخلال قانوني مقترن بإدراك المخل اياه" (الحكيم، البكري & طه، ١٩٨٠، ص. ٢١٥)، وعليه فإن الخطأ يتحلل إلى عنصرين أولهما العنصر المادي ويقصد به التعدي أو الانحراف عن السلوك المألوف للشخص المعتاد، سواء أكان عن عمد أو إهمال ويقاس الانحراف بمعيار الشخص المعتاد، وبالتأكيد أن قيام شخص بارتكاب أفعال ضارة بالزيارة الأربعينية فإنه

يُعد منحرفاً عن السلوك المألوف للشخص المعتاد، إذ لا يوجد شخص متوسط الحرص يقوم بالإضرار بغيره (الجريدلي، ٢٠١٢، صص. ٤٥٥-٤٥٦)، وثانيهما العنصر المعنوي والذي يتمثل في الادراك أو التمييز، إذ لا يكفي لقيام الخطأ مجرد الاخلال أو الانحراف عن السلوك بل لا بد من أن يكون المعتدي مدركاً لما يفعل أو مميزاً بمعنى يستطيع أن يعي ما في سلوكه من انحراف (الحكيم، ١٩٧٤، ص. ٥٦٣)، غير إن أن المشرع العراقي في المادة (١/١٩١) من القانون المدني، قد جعل مسؤولية عديم التمييز أصلية لا احتياطية فيرجع المتضرر على عديم التمييز إن كان له مال أما إذا لم يكن له مال فيرجع بالتعويض على الولي أو الوصي أو القيم ، وقد يتحمل الشخص المسؤولية المدنية بسبب الاخلال بواجب الرقابة على الصغير، و يستطيع التخلص من هذه المسؤولية إذا أثبت أنه قد بذل العناية اللازمة لمنع وقوع الضرر، أو اثبت حتمية وقوع الضرر حتى لو بذل العناية المطلوبة (السنهوري، ٢٠١١، ص. ٩٤٢)، وقد يتحمل الشخص المسؤولية على الرغم من أن الضرر الذي يصيب الغير في الزيارة الأربعينية ليس بسبب خطأ الشخصي ولا بخطأ الاشخاص الذين هم تحت رعايته، وإنما يقع الخطأ بفعل الأشياء التي تكون تحت تصرفه كالألات والأجهزة (لقد نص المشرع العراقي في المادة (٢٣١) من القانون المدني على أن « كل من كان تحت تصرفه الآت ميكانيكية او اشياء أخرى تتطلب عناية خاصة للوقاية من ضررها يكون مسؤولاً عما تحدثه من ضرر مالم يثبت انه اتخذ الحيطة الكافية لمنع وقوع الضرر...»)، كأن يصيب الجهاز أو الألة الأضرار بالأشخاص في الزيارة الأربعينية مثل مكبرات الصوت التي قد تسبب اضرار مادية أو معنوية كأن تضرر هذه المكبرات بصحة شخص كبير في السن وهذا ما يسمى بالضرر المادي أو تشتت هذه المكبرات افكار الزائرين لأنها تمنع من تأدية الشعائر بطريقة صحيحة وهذا ما يسبب ضرر معنوي، والخطأ بوصفه انحراف عن السلوك المألوف للشخص العادي يمثل

واقعة مادية يتم إثباتها عن طريق قرائن قضائية متتابعة، تنقل عبء الإثبات من طرف إلى آخر، إلى أن يعجز احد الطرفين عن نفي القرينة المقدمة من الطرف الآخر، ومن ثم يخسر دعواه (السنهوري، ٢٠١١، ص. ٩٤٢).

٢. قيام المسؤولية المدنية على اساس الخطأ المفترض

حدد المشرع العراقي المسؤولية المدنية القائمة على ركن الخطأ المفترض في القانون المدني بالقول "١- الحكومة والبلديات والمؤسسات الاخرى التي تقوم بخدمة عامة وكل شخص يستغل احد المؤسسات الصناعية أو التجارية مسؤولون عن الضرر الذي يحدثه مستخدموهم، إذا كان الضرر ناشئاً عن تعدٍ وقع منهم اثناء قيامهم بخدماتهم ٢- ويستطيع المخدمون إن يتخلص من المسؤولية إذا أثبت أنه بذل ما ينبغي من العناية لمنع وقوع الضرر أو أن الضرر كان لا بد واقعا حتى لو بذل هذه العناية» (المادة (٢١٩) من القانون المدني العراقي). ، إن هذا النص ينطبق على الاشخاص الذين يستغلون المؤسسات الصناعية او التجارية وبها إن الزيارة الأربيعينية تتضمن كافة المؤسسات التجارية والصناعية عن طريق ما تقدمه من خدمات، لذا فأن هذه المؤسسات مسؤولة عن الأضرار التي تحدث من مستخدميها، وهذا ما يدل على إن المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية من الممكن إن تقوم على الخطأ المفترض، إلا ان المشرع جعل الخطأ المفترض قابل لأثبات العكس عندما اعطى للمخدمون حق التخلص من المسؤولية إذا اثبت انه بذل العناية لمنع الضرر.

٣. قيام المسؤولية المدنية على اساس تحمل التبعة

يلزم الشخص بتحمل تبعة النشاط الذي يحقق مصلحته أو يجني فائدته بعيداً عن فكرة اثبات الخطأ، إذ لا يطلب من المتضرر إن يثبت انحرافاً في سلوك الشخص المسؤول بل يثبت فقط العلاقة السببية بين الفعل الذي اتاه المسؤول وإن لم يكن مخطئاً والضرر الذي اصابه، ولا يقتصر تطبيق تحمل التبعة على حوادث العمل والذي كان المجال الاول لتطبيقها، وإنما اصبحت تطبق على جميع الأفعال والأنشطة التي تصدر عن الأفراد، ومن هنا بدأ الأخذ بنظرية تحمل التبعة كآلية قانونية بديلة لفكرة الخطأ الثابت والخطأ المفترض (Palmer, 1987, p. 825).

وقد اخذ المشرع العراقي بفكرة تحمل التبعة بأهم تشريعاته وأكثرها تطبيقاً كقانون التقاعد والضمان الاجتماعي ذو الرقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ وقانون التأمين الإلزامي من حوادث السيارات إذ نص على "اعتمد القانون نظرية تحمل التبعة كأساس للالتزام المؤمن بدفع التعويض بدلاً من اعتماده المسؤولية القائمة على أساس الخطأ المفترض القابل لإثبات العكس، وذلك انسجاماً مع ما ورد في قانون إصلاح النظام رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٧" (قانون التأمين الإلزامي (١٩٨٠))، وعليه فإن المشرع العراقي قد اخذ بنظرية تحمل التبعة كأساس للمسؤولية في بعض القوانين، لأنها تستند إلى المنطق والعدالة فالمنطق يقضي إن من يأتي فعلاً يتحمل تبعته والعدالة تقضي بأن يتحمل نتائج الضرر من تسبب في حدوثه، ولا يتحمله من لا دخل له فيه، إلا أن المشرع لم يجعل هذه النظرية أساساً للمسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعة، ونحن نقترح عليه بأن يجعلها اساساً لقيامها.

ثانياً: ركن الضرر:

يقصد بالضرر بالزيارة الأربعينية بأنه "الأذى الذي يصيب حق أو مصلحة مشروعة لشخص سواء اتصلت بجسمه أو ماله أو عاطفته أو شرفه أو اعتباره، ولما كانت المسؤولية المدنية تقوم على فكرة الضرر فإن الجزاء المترتب عليها لا يخرج عن تعويض هذا الضرر وازالته" (الذنون، ١٩٧٦، ص. ٢٢٧)، وعليه فإن الضرر نوعان أولهما الضرر المادي ويتمثل بالمساس بمصلحة مشروعة للمتضرر (السر حان & خاطر، بدون سنة، ص. ٤٠٩)، فيكون للمتضرر حق المطالبة بالتعويض عن الأضرار المادية التي أصابته، وإن من أبرز الأضرار المادية التي ترافق الزيارة الأربعينية الحوادث المرورية، بسبب الزخم الكبير في الطرق وضعف تنظيم المرور، فضلاً عن قيادة المركبات من قبل متطوعين قد لا يمتلكون الخبرة الكافية، فضلاً عن حوادث التدافع التي تعد من الأضرار المتكررة في هذه التجمعات وقد أودت بعض هذه الحوادث في سنوات ماضية بحياة العديد من الزائرين، أو سببت لهم إعاقات دائمة، وثانيتها الضرر الأدبي ويقصد به كل مساس بحق أو بمصلحة مشروعة يسبب لصاحب الحق أو المصلحة أذى في مركزه الاجتماعي أو في عاطفته أو شعوره ولو لم يسبب له خسارة مالية (منصور، بدون سنة، ص. ٢٨٢) مثال على ذلك سلوكيات بعض الأفراد التي قد تسبب ضرراً معنوياً بالزيارة الأربعينية وتشويهها كالتحرش والتلفظ بعبارات تسيء لحرمة هذه المناسبة المقدسة، والضرر الذي يُعتد به كركن من أركان المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية ويقدر على أساسه التعويض هو الضرر المباشر بنوعيه المتوقع وغير المتوقع (عبيدات، ٢٠٠٩، ص. ٣١٩)، وفي جميع الأحوال يجب أن يكون الضرر محققاً ولا يعني تحقق الضرر وقوعه في الحال بل يكفي أن يصبح مؤكداً ولو تأخر وقوعه كالزحام الشديد الذي يسبب حالات اختناق، وقد يكون الضرر مستقبلياً بمعنى أنه لم يقع ولكن من المحقق وقوعه

ويكون قابل للتقدير ويعد هذا النوع من الضرر سببا للتعويض، وقد يكون الضرر المستقبلي محقق الوقوع ولكن من المستحيل تقدير مقداره ومدى جسامته وقت رفع الدعوى ففي مثل هذه الحالة يقوم القاضي بتقرير مسؤولية الفاعل ويؤجل الفصل في تحديد مقداره إلى مدة لاحقة، أما إذا كان الضرر محتمل والذي لم يقع ولا يوجد ما يؤكد وقوعه في المستقبل فإنه لا يكون محلا للتعويض والدعوى التي تقام عنه دعوى سابقة لأوانها ويجب على القاضي ردها(منصور، ٢٠٠٦، ص. ٣٣٤)، ويجب أن يصيب الضرر حقاً او مصلحة مشروعة، وإلا فلا تعويض عن الضرر الذي يصيب مالا غير مشروع، فعلى سبيل المثال إذا تم اتلاف أو سرقة أموال غير مشروعة (مخدرات) من شخص يحاول بيعها أو توزيعها على الزوار ففي هذه الحالة لا يستطيع المطالبة بالتعويض عن الضرر الذي أصابه من هذا الاعتداء؛ لأن اساس الحق أو المصلحة غير مشروعة (فودة، ٢٠١٤، ص ٢١٣).

ويقع عبء اثبات الضرر على المدعي إلا إن اثبات الضرر الذي يصيب حق المدعي اثار جدلا فقهيًا، إذ ذهب البعض إلى أن الضرر بالزيارة الأربعينية يكون مفترضاً، ومن ثم له حق اللجوء إلى القضاء للمطالبة بالتعويض ولا يستطيع المدعي عليه أن يثبت أن ما قام به من اعتداء لم يسبب ضرر، لذا يكون على المدعي اثبات الفعل الذي سبب له الضرر، ومن ثم تقدر المحكمة الضرر الذي يتعرض له (كنعان، ٢٠٠٠، صص. ٤٧٤-٤٧٥)، وذهب رأي آخر إلى أن الضرر الذي يصيب الشخص في الزيارة الأربعينية، لا يخرج عن نطاق القواعد العامة بمعنى أن على هذا الشخص أن يثبت الضرر الذي يدعيه بكافة طرق الإثبات بما فيها البيئة والقرائن القضائية، وأن التأكد من وقوع الضرر أو عدم وقوعه مسألة موضوعية، فلا تكون لمحكمة التمييز رقابة عليها (مأمون & عبد الصادق، ٢٠٠٤، صص. ٥٠٥-٥٠٦).

ثالثاً: العلاقة السببية بين الخطأ والضرر:

يقصد بعلاقة السببية "اسناد أي أمر إلى مصدره، والاسناد في نطاق المسؤولية المدنية هو نسبة نتيجة ضارة إلى فعل خاطئ بالإضافة إلى نسبة هذا الفعل إلى فاعل معين" (الجبوري، ٢٠١١، ص. ٨٦)، لذا فإن مجرد توافر ركني الخطأ والضرر، لا يكفي لقيام المسؤولية المدنية بل لا بد من توافر علاقة السببية بينهما، وهذا ما ذهب إليه المشرع العراقي في المادة (٢٠٤) من القانون المدني والتي تنص على أن "كل تعد يصيب الغير بأي ضرر آخر غير ما ذكر في المواد السابقة يستوجب التعويض"، وعلاقة السببية ركن أساسي في قيام المسؤولية المدنية إلا أنه في بعض الاحيان يصعب تحديدها، كما هو الحال في تعدد الأسباب التي تؤدي إلى حدوث ضرر معين بحق شخص معين (مرفس، بدون سنة، صص. ٤٥٩-٤٦٠)، ولهذا تعددت الآراء الفقهية في تعيين ما يعد سبباً حقيقياً لقيام المسؤولية المدنية، إذ ذهب رأي إلى الأخذ بنظرية تعادل أو تكافئ الأسباب وخلاصتها، أنه إذا تم تعيين أكثر من سبب لتحقق الضرر فإنه يجب بحث كل من الأسباب المتعددة على حدة والسبب الذي يتبين أن الضرر لا يقع بدونه يعد سبباً حقيقياً في حدوثه (السنهوري، ١٩٨١، ص. ٣٤٦)، وذهب رأي آخر إلى الأخذ بنظرية السبب المنتج وخلاصتها ضرورة التمييز بين السبب العارض أو الثانوي وبين السبب الفعال أو المنتج لكي يعتد بالسبب الأقوى (الذنون، ٢٠٠٦، ص. ١٦ وما بعدها)، وعليه فإن تحديد علاقة السببية تعد من المسائل الموضوعية التي تختص بها محكمة الموضوع دون رقيب عليها طالما كان تقديرها مستنداً إلى أدلة مقبولة (الصويد، ٢٠١٥، صص. ١٥٥-١٥٦).

وتجدر الإشارة إلى إن عبء اثبات اركان المسؤولية المدنية في الأصل وطبقاً للقواعد العامة في الإثبات يقع على المدعي إذ يكلف بإثبات ما يدعيه؛ لأن الأصل في الانسان براءة الذمة وهو يدعي بخلاف هذا الأصل لذا فعليه إثبات ما يدعيه (قانون الإثبات العراقي، المادتين ٦ و٧ (١٩٧٩))، وقد يقع عبء الإثبات على المدعى عليه عندما يدفع ادعاء المدعي بدفع صحيح إذ يتحول مركزه من مدعى عليه إلى مدعٍ ومن ثم عليه إثبات ما يدعيه (الجردي، بدون سنة، ص. ٤٠٩).

المبحث الثاني.

الأثار المترتبة على المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

تعد المسؤولية المدنية الأساس الذي بني عليها القانون المدني لما لها من ارتباط وثيق بالتعويض عن الأضرار بالزيارة الأربعينية، فإذا تحققت اركان المسؤولية المدنية توجب التعويض عنها، ولكن بعد إقامة الدعوى على مسبب الضرر وذلك بالجوء إلى القضاء المدني، إلا إن مسبب الضرر قد لا يكون شخصاً واحداً فقد يتعدد المسؤولون عن هذه الأضرار، الأمر الذي يثير لدينا تساؤل حول من هو المسؤول عن هذا الضرر ، وكيف تقام الدعوى المدنية ضده، للإجابة على هذا التساؤل سنقسم هذا المبحث على مطلبين نخصص اولهما لتحديد المسؤولون عن الأضرار بالزيارة الأربعينية، ونخصص الثاني لبيان احكام المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية.

المطلب الأول

المسؤولون عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

يتعدد المسؤولون عن الأضرار بالزيارة الأربعينية لأن الأضرار التي تصيب زيارة الأربعين هي نتيجة تداخل وتقصير من عدة أطراف تتراوح بين الجهات الأمنية، والمؤسسات الخدمية، وحتى الزائرين أنفسهم، وعليه من يتحمل المسؤولية المدنية إذ يفرض هذا التعدد في المسؤوليات ضرورة تبني رؤية شاملة وتنسيق جماعي عالي المستوى، يعمل على معالجة مواطن الضعف قبل موعد الزيارة بوقت كافٍ، وعليه سنقوم بتحديد المسؤولين عن هذه الأضرار وعلى النحو الآتي:

أولاً: مسؤولية الجهات الأمنية عن الأضرار بالزيارة الأربعينية:

ونقصد بالجهات الأمنية مجموعة من المؤسسات والوكالات الأمنية والعسكرية التي تتولى مسؤولية التخطيط والتنفيذ للخطط الأمنية الخاصة بتأمين الزائرين المشاركين في الزيارة الأربعينية، من خلال انتشارها على طول الطرق المؤدية إلى كربلاء، وفي داخل المدينة ومحيطها، ومن أبرزها وزارة الداخلية العراقية (الشرطة الاتحادية، شرطة المحافظات، شرطة المرور)، ووزارة الدفاع، وجهاز الأمن الوطني، جهاز المخابرات الوطني العراقي وهيئة الحشد الشعبي (وخصوصاً الألوية المكلفة بحماية الزائرين)، والاستخبارات العسكرية وقيادات العمليات المشتركة وفريق الدفاع المدني وفريق مكافحة المتفجرات (وكالة الأنباء العراقية، ٢٠٢٥).

وإن المهام التي تقوم بها هذه الجهات هي تأمين مداخل المدن والطرق المؤدية إلى كربلاء كنشر نقاط التفتيش، واستخدام الكاميرات والطائرات المسيّرة لرصد التحركات وتفتيش المواكب ومراكز الخدمة، وإدارة الجموع والتدخل في حالات

الطوارئ، ورغم ما تقوم به الجهات الأمنية من مهام إلا إن هناك بعض السلبيات التي قد تضر بالزيارة الأربعينية، كالاستغلال السياسي أو الطائفي، إذ تُتهم بعض الجهات الحكومية أو الحزبية باستغلال الزيارة للترويج السياسي أو الطائفي بدل التركيز على قيمها الروحية، فضلاً عن رفع صور الزعماء السياسيين أو استخدام شعارات سياسية أثناء الزيارة، وعدم تنظيم اعداد الزوار الوافدين من الدول الأخرى مما يسبب اكتظاظاً، والاختراقات الأمنية المتكررة والتي تشير في بعض الأحيان إلى عدم وجود تنسيق كافٍ بين هيئة المواكب وبين الدولة، أو إلى وجود ثغرات في الخطة الأمنية (وزارة الداخلية العراقية، بدون سنة)، وإن هذه التهديدات الأمنية أحد أبرز المخاطر التي تواجه زيارة الأربيعين، خصوصاً مع وجود جماعات متطرفة تسعى لاستهداف الزائرين والتشويش على أجواء الزيارة، وهنا المسؤولية تقع بشكل أساسي على الأجهزة الأمنية والعسكرية، التي تُكلف بتأمين الزيارة الأربعينية، وفقاً لمبدأ المسؤولية عن الإهمال في أداء الوظيفة العامة (قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام، ١٩٩١، المادة ١٧).

ثانياً: المسؤولية الإدارية والخدمية عن الأضرار بالزيارة الأربعينية :

المؤسسات الحكومية مثل وزارات الصحة والنقل والكهرباء والبلديات والتي يقع على عاتقها توفير البنى التحتية والخدمات الأساسية كتأمين الطرق والخدمات الطبية، إلا إن تضاعف أعداد الزائرين كل عام يبرز مشكلات مثل نقص وسائل النقل وتكدس النفايات وانقطاع المياه أو الكهرباء وضعف الاستجابة للحالات الطارئة وهذه الأضرار تعكس غالباً ضعف التخطيط المسبق أو سوء إدارة الموارد، إضافة إلى غياب التنسيق الفعال بين المحافظات والمؤسسات المعنية، فضلاً عن هدر الأموال إذ تُصرف مبالغ ضخمة من المال العام في شكل دعم غير منظم والتي يمكن انفاقها في تجهيز البنى التحتية بالشكل الكافي (Kitabat، بدون سنة).

ثالثاً: مسؤولية المواكب والجهات التطوعية عن الأضرار بالزيارة الأربعينية :

المواكب الحسينية هي تجمعات أو جماعات من الأشخاص تُشكّل في المناسبات الدينية، وخصوصاً في شهر محرم ويوم عاشوراء، لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وتقوم هذه المواكب بممارسة طقوس خاصة مثل تمثيل واقعة كربلاء، فضلاً عن توزيع الطعام والشراب، وتهدف هذه المواكب إلى ترسيخ مبادئ الحق والعدالة التي ضحى من أجلها الأمام الحسين (عليه السلام) (شهيدى، بدون سنة) ، ورغم الدور الكبير الذي تقوم به المواكب الحسينية في إيواء وخدمة الزائرين، إلا أن بعض المواكب قد تساهم دون قصد في الإضرار بالزيارة الأربعينية من خلال قطع الطرق، أو الإخلال بقواعد السلامة، وبعضها تعمل بشكل فردي أو دون ترخيص رسمي، إذ تنتشر على طول طريق الزائرين خيام ومواكب تقوم بتقديم الخدمات، وغالباً ما تُنشأ بوسائل بدائية دون إشراف هندسي وهذا ما قد يسبب انهيارات تؤدي إلى إصابات أو وفيات، فضلاً عن ما تقوم به بعض المواكب من تدمير للبنى التحتية إذ اكدت الأخبار بأن بعض المواكب تقوم بطهي الطعام مباشرة على الأسفلت وبعضها يقوم برفع مقرنصات الأرصفة لثبيت أعمدة المواكب، فضلاً عن تجاوز بعض أصحاب المواكب علي شبكات الطاقة الكهربائية بطريقة غير رسمية مما أدى إلى عطب محولات عديدة، كما تم انتقاد أصحاب المواكب الذين لا يبعدهم عن بعض سوى بضع امتار بوضع مكبرات صوت بطريقة تفقد روحانية الزيارة، فضلاً عن اعداد كميات كبيرة من الطعام والتي لا يأكل منها الزوار إلا القليل، ومن ثم يتم رمي ما تبقى في النفايات، وهذا ما يتنافى مع تعاليم الاسلام ومن ثم مع مبدأ الأمام الحسين (عليه السلام) (Kitabat)، بدون سنة) ، وعليه يتحمل مرتكبي هذه الأفعال من أصحاب المواكب المسؤولية المدنية وفقاً لمبدأ مسؤولية المتبوع عن أعمال تابعه التي تُلزم رب العمل أو المنظم بتحمّل تبعات أفعال الأشخاص العاملين تحت إدارته (القانون المدني العراقي، المادة ٢١٩).

رابعاً: مسؤولية الإعلام والحملات الموجهة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية:

إن زيارة الأربعين لا تخلو من محاولات تشويه متعمدة، سواء من خلال قنوات إعلامية معادية أو حملات إلكترونية تهدف للنيل من رمزية المناسبة، إذ تستغل وتضخم هذه الجهات الأخطاء أو الحوادث من أجل تقديم الزيارة كحدث طائفي أو غير حضاري في المقابل، تتحمل المؤسسات الإعلامية الرسمية والدينية مسؤولية الدفاع عن الزيارة وتصحيح الصورة العامة، وهو دور ما زال دون مستوى التحديات القائمة (الكريزي، بدون سنة).

خامساً: مسؤولية الزائرين عن الأضرار بالزيارة الأربعينية

إن للزائرين دور كبير في الحفاظ على أمن وسلامة الزيارة الأربعينية، إلا إن بعض التصرفات الفردية التي قد تؤدي إلى وقوع الضرر نتيجة تصرف غير مسؤول من أحد الزائرين، كأن يتسبب بإتلاف ممتلكات الغير، أو يتعدى على مرفق عام أو يتسبب في إصابة شخص آخر نتيجة التدافع، فضلاً عن الأخطاء التي تصدر من بعض الزائرين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم الفكرية، مثل القاء النفايات في الطريق أو عند المواكب وهذا ما يؤدي بدوره إلى التلوث المائي والهوائي، كما إن التزاحم غير المنظم عند دخول الحرم، والتلفظ بكلمات غير لائقة أثناء الزحام أو الغضب كأن يسب أو يصرخ أو يتجادل في لحظة غضب، مما يناقض روح الزيارة، فضلاً عن الاستعراض على وسائل التواصل كأن يصورون أنفسهم بشكل استعراضي أو يكتبون منشورات فيها رياء، كأنهم يريدون التفاخر أكثر من التقرب لله، كما إن بعضهم يحول المناسبة لمجرد نزهة، ويفقد الهدف الحقيقي من الزيارة وهذا ما يؤدي بالأضرار بالزيارة الأربعينية عن طريق تشويهها (شبكة النبا المعلوماتية، بدون سنة)، وفي هذه الحالة تنطبق أحكام المسؤولية التقصيرية ويلزم الفاعل بالتعويض (مكتب المرجع النجفي، بدون سنة).

المطلب الثاني

احكام المسؤولية المدنية الناجمة عن الإضرار بالزيارة الأربعة

يترتب على توافر اركان المسؤولية من خطأ وضرر وعلاقة سببية بينها حكمها المتمثل بالتعويض عن الاضرار التي تلحق بالآخرين والتي تنجم عن الأضرار بالزيارة الأربعة غير أن هذا التعويض لا يمكن الحصول عليه إلا بعد اقامة دعوى المسؤولية المدنية على المعتدي، سنبحث في هذا المطلب الدعوى المدنية ومن ثم التعويض عن الأضرار بالزيارة الأربعة.

أولاً: رفع الدعوى المدنية عن الأضرار بالزيارة الأربعة:

تعد الدعوى المدنية الطريق الذي يستطيع من خلاله المتضرر الحصول على التعويض عما أصابته من اضرار اثناء الزيارة الأربعة، وقد عرفها المشرع العراقي الدعوى في المادة (٢) من قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل على إنها ” طلب شخص حقه من آخر أمام القضاء“، لذا يكفي لطلب التعويض عن الأضرار بالزيارة الأربعة قيام الدعوى المدنية، ولدراسة هذه الدعوى لا بد من بحث شروطها واجراءاتها على النحو الآتي:

١. شروط قبول الدعوى:

يتطلب القانون لقبول الدعوى شروط معينة بدونها لا تسمع المحكمة موضوعها ولا تصدر فيها حكماً، بيد أن البحث في قبول دعوى المسؤولية المدنية هو أمر سابق على البحث في موضوعها، لذا فإن قبولها أو عدم قبولها ليس حكماً في موضوعها (النداوي، بدون سنة، ص. ١٧٧)، وشروط قبول الدعوى هي:

أ. الاهلية:

اشترط المشرع العراقي لقبول دعوى المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية بأن يكون كل من طرفي الدعوى متمتعاً بالأهلية القانونية، وهذا ما جاء في المادة (٣) من قانون المرافعات المدنية والتي تنص على انه "يشترط أن يكون كل من طرفي الدعوى متمتعاً بالأهلية اللازمة لاستعمال الحقوق التي تتعلق بها الدعوى وإلا وجب أن ينوب عنه من يقوم مقامه قانوناً في استعمال هذه الحقوق"، وعليه يتوجب أن يكون كل طرف في الدعوى بالغاً سن الرشد وهو ثمانية عشرة سنة كاملة، وأن يكون عاقلاً وغير محجور عليه لسفه أو لغفله (كيرة، ١٩٧٤، ص. ٧٤ وما بعدها)، لذا لا يأخذ قانوننا بتوكيل محامٍ عن فاقد الأهلية، لأن فاقد الأهلية لا يملك التعاقد ويكون التصرف الصادر منه باطلاً (عبد العزيز، بدون سنة، ص. ٩ وما بعدها).

ب. الخصومة:

اشترط المشرع العراقي بأن يكون المدعى عليه خصماً في الدعوى إذ قضى بوجوب كون المدعى عليه خصماً محكوماً أو ملزماً بشيء بحيث يترتب على اقراره صدور حكم في الدعوى، ومع ذلك تصح خصومة الولي والوصي والقيم والمتولي ومن عده القانون خصماً في الدعوى، أما إذا كانت الخصومة غير موجهة فيجب على المحكمة ردها؛ لأن توجه الخصومة من النظام العام الذي لا يجوز مخالفته، فمثلاً لا تسمع الدعوى التي يرفعها (س) على (ص) لمجرد مشاهدته للفعل الضار، لأنه لم يقم بفعل التعدي، ومن ثم لا يجوز للمتضرر أن يرفع الدعوى ضده، لأنه ليس الخصم وعليه لا تسمع الدعوى منه لعدم توجه الخصومة (أبو السعود، ١٩٨٣، ص. ١٩).

ج. المصلحة:

تُعرف المصلحة بأنها الفائدة العملية التي تعود للمدعي إذا حكم له بطلباته الواردة في الدعوى (الصاوي، ٢٠٢٠، ص. ١٥ وما بعدها)، وقد جاء المشرع العراقي في المادة (السادسة) من قانون المرافعات المدنية والتي تنص على "يشترط في الدعوى أن يكون المدعى به مصلحة معلومة وحالة وممكنة ومحققة ومع ذلك فالمصلحة المحتملة تكفي ان كان هناك ما يدعو إلى التخوف من إلحاق الضرر بذوي الشأن ويجوز كذلك الادعاء بحق مؤجل على أن يراعى الأجل عند الحكم به وفي هذه الحالة يتحمل المدعى مصاريف الدعوى"، نستنتج من النص بأن المشرع قد اوجب في المصلحة توافر خصائص معينة لغرض قبول الدعوى، وهي إن تكون المصلحة معلومة أي غير مجهولة فلا يصح القضاء بالمجهول، وأن تكون حالة أي أن الحق المطالب به غير معلق على شرط أو مضاف إلى أجل، وأن تكون ممكنة بمعنى غير مستحيلة الوقوع، كما يجب أن تكون محققة، ومع ذلك أجاز القانون أن تكون المصلحة محتمة، إذا كان هناك تخوفاً حقيقياً وجدياً من إلحاق الاضرار بالزيارة الأربعينية (الكعبي، ٢٠٢٠، ص. ٣٤٥) (الغزالي، ٢٠٢٣، ص. ٦٦).

٢. اجراءات إقامة الدعوى:

إن إقامة دعوى المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية، تتطلب مجموعة من الإجراءات لا بد من القيام بها لغرض رفعها، إذ يتوجب على المدعي تقديم طلب إلى المحكمة المختصة للمطالبة بالتعويض عن الأضرار بالزيارة الأربعينية، إذ ان المشرع العراقي أوجب بأن تقام كل دعوى بطلب، ويقصد بالطلب الذي اطلق عليه المشرع العراقي تسمية (عريضة الدعوى) الورقة التي يحررها المدعي

بنفسه أو من خلال وكيله يعرض فيها وقائع قضيته وطلباته للمحكمة (الفخري، ٢٠٠٧، ص. ٣٥ وما بعدها)، فضلا عن وجوب تضمينه مجموعة من البيانات والتي بدونها لا تقبل دعوى المسؤولية المدنية (قانون المرافعات المدنية العراقي، المادة ٤٦ أو المادة ٤٦/٢)، والتي سنوضحها على النحو الآتي:

أ. المحكمة المختصة بنظر الدعوى:

يقدم طلب دعوى المسؤولية المدنية الناجمة الأضرار بالزيارة الأربعينية إلى المحكمة المختصة في نظر النزاع على إن يكون متضمنا على اسمها وهذا ما جاء به المشرع العراقي بالقول "يجب أن تشتمل عريضة الدعوى على البيانات الآتية: ١- اسم المحكمة التي تقام الدعوى أمامها"، وعليه يجب إن ترفع الدعوى امام المحكمة المختصة بناء على طلب يقدم إليها من المدعي مع وجوب ذكر اسم المحكمة التي قدم لها وبخلاف ذلك لا تقبل دعواه (الصاوي، ١٩٩٧، ص. ١٩٦).

ب. اسم كل من المدعي والمدعى عليه (اطراف الدعوى):

يجب أن تتضمن عريضة الدعوى على أسماء اطراف الدعوى، فضلا عن القابهم ومهنتهم ومحل اقامتهم وهذا ما جاء به المشرع العراقي إذ نص على "اسم كل من المدعي والمدعى عليه ولقبه ومهنته ومحل اقامته، فإن لم يكن للمدعى عليه محل اقامة معلوم فأخر محل كان به" (قانون المرافعات المدنية العراقي، المادة ٤٦/٢)، يتضح لنا من النص بوجوب ذكر اسم كل من المدعي والمدعى عليه والقابهم ومهنتهم ومحل اقامتهم، وذلك لغرض ارسال التبليغات القضائية عليها وبدون هذه البيانات لا تقبل عريضة الدعوى.

ج. موضوع الدعوى وادلتها واسانيدها:

يجب أن تتضمن العريضة على موضوع الدعوى ووقائعها وادلتها وطلبات المدعي، إذ نص المشرع العراقي في المادة (٤٦) والتي تنص على "٤- بيان موضوع الدعوى... ٥- وقائع الدعوى وادلتها وطلبات المدعى واسانيد..."، يتبين من النص بوجود تضمين عريضة الدعوى على موضوعها وما يدل عليها، فضلاً عن وقائع هذه الدعوى وطلبات المدعي واسانيد، ويقصد بموضوع الدعوى الهدف الذي ترمي الدعوى الى اقراره أو إعلانه، فقد يكون الهدف إجبار المدعى عليه على تنفيذ التزام أو الامتناع عن عمل أو طلب اداء مستحق (الصاوي، ١٩٩٧، ص. ١٩٦)، وعليه فإن موضوع الدعوى هو الحق المطالب به من قبل المتضرر للحصول على التعويض.

ثانياً: تعويض الأضرار بالزيارة الأربعينية :

بعد أن يقوم المتضرر من اثبات دعواه، فإنه يستحق التعويض عن الضرر سواء كان الضرر مادي أو أدبي، إذ يرتبط التعويض وجوداً وعدماً بالضرر، فهو وسيلة القضاء لإزالة الأضرار بالزيارة الأربعينية، وعليه سنقسم هذا المطلب على فقرتين نخصص اولهما لبحث تعريف التعويض عن الأضرار بالزيارة الأربعينية ونبحث في ثانيهما أنواع التعويض وعلى النحو الآتي:

١. تعريف التعويض عن الأضرار بالزيارة الأربعينية :

إن المشرع العراقي لم يضع تعريفاً للتعويض وترك المهمة للفقهاء، إذ عرفه بعضاً منهم بأنه "مبلغ من النقود أو أية ترضية من جنس الضرر تعادل ما لحق المتضرر من خسارة وما فاتته من كسب كانا نتيجة طبيعية للفعل الضار" (الحكيم وآخرون، بدون سنة، ص. ٢٤٤)، وهذا ما أكده القضاء العراقي في أن عناصر التعويض تتضمن

ما فات المدين من كسب وما لحقته من خسارة (يحيى، بدون سنة، ص. ٣٩٨)، فالتعويض الوسيلة التي تهدف إلى إزالة أو جبر الاضرار بالزيارة الأربيعينية عينا أو نقدا بما يساوي الضرر، والتعويض هو الغاية المراد الحصول عليها من قيام المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربيعينية على أي شخص سواء كان جهة حكومية أو موكب او حتى زائر؛ إذ لا جدوى من القول بوجود فعل ضار انتج ضرر للغير، دون اعطائه الحق في الحصول على التعويض ممن أضربه، إذ إن التعويض جزاء يفرض على المسؤول لإعادة التوازن الذي اختل نتيجة الفعل الخاطيء الصادر منه والذي اصاب المتضرر (محكمة التمييز العراقية، ٢٠١٠؛ الطائي، ٢٠١٦، ص. ٢٤٨).

٢. انواع التعويض الأضرار بالزيارة الأربيعينية :

إن التعويض بحسب ما نص عليه المشرع العراقي نوعان، أحدهما نقدي والآخر عيني، إذ جاء في المادة (٢ / ٢٠٩) من القانون المدني والتي تنص على أن "يقدر التعويض بالنقد على انه يجوز للمحكمة تبعا للظروف وبناء على طلب المتضرر ان تامر بإعادة الحالة إلى ما كانت عليه او ان تحكم بإداء أمر معين او برد المثل في المثليات وذلك على سبيل التعويض"، أن المشرع العراقي جعل الاصل في التعويض نقدياً، وتبين لنا ذلك من خلال عبارة (ويقدر التعويض بالنقد) وبما أن الهدف الأساسي الذي توخاه المشرع من تقرير التعويض هو جبر الضرر، لذا فهو يختلف باختلاف طبيعة الضرر فإذا أمكن ازالة الضرر وإعادة الوضع إلى ما كان عليه سابقاً فيكون التعويض عينياً، أما إذا تعذر ذلك فلا بد من اللجوء إلى التعويض النقدي، وعليه يمكن القول بأن تعويض الأضرار بالزيارة الأربيعينية يمكن أن يتخذ احد النوعين الآتين:

أ. التعويض النقدي :

التعويض النقدي هو الأصل في تقدير التعويض، إذ يمكن للقاضي أن يقدر التعويض عن الضرر سواء أكان مادياً أم أدبياً بمبلغ معين من النقود، ولا يمكن للمحكمة أن تحكم بالتعويض العيني إلا تبعاً للظروف وبناء على طلب المتضرر، وعليه ينبغي أن تحكم بالتعويض النقدي إذا لم يطلب منها المتضرر الحكم بتعويض آخر (عبد السلام، ٢٠٠٤، ص. ٢٢٠)، وقد يطلب المتضرر الحكم بالتعويض العيني ولكن القاضي يصدر حكمه بالتعويض النقدي بسبب تعذر إصلاح الاضرار بالزيارة الأربينية، غير إن الصعوبة تكمن في تحديد مقدار التعويض النقدي؛ لأنه ليس موحداً للكافة، إذ يمكن أن يزداد مبلغ التعويض بحسب الضرر الذي اصاب الغير و تبعاً للظروف التي رافقته (الفتلاوي، ١٩٧٨، ص. ٣١٥)، فقد ذهبت محكمة التمييز في قرار لها بأن الأصل في تنفيذ الالتزام يكون عينا وإن التعويض هو ليس التزاما تخييراً أو التزاما بديلاً بجانب التنفيذ العيني فليس للالتزام الا محل واحد وهو عين ما التزم به المدين، ولكن يجوز أن يستبدل بالتنفيذ العيني التعويض النقدي باتفاق الدائن والمدين في حالتين اولاهما إذا بقي التنفيذ العيني ممكناً ولكن تنفيذه اصبح مرهقا على المدين وثانيتها حكم القانون إذا اصبح التنفيذ مستحيلاً بخطأ المدين، وفي الحالتين لا يكون التعويض النقدي إلا بديلاً عن التنفيذ العيني فالالتزام هو ذاته لم يتغير وإنما استبدل محله بمحل آخر باتفاق الطرفين أو بحكم القانون (محكمة التمييز القسطاس، ٢٠٢٠).

وإن المحكمة تقدر التعويض عن الضرر في الأصل بقدر ما لحق المتضرر من خسارة لاحقة وما فاته من كسب (القانون المدني العراقي، المادة ٢٠٧/١)،

وتتضمن الخسارة اللاحقة كل ما دفعه المتضرر من اموال لاتقاء الاضرار اللاحقة به سواء أكانت اضرار مادية أو أدبية، أما الكسب الفائت فيتضمن الربح المتوقع الحصول عليه لو استمر الشخص المتضرر بالعمل ضمن ظروف عادية نزيهة ، ويمكن أن ترتفع قيمة التعويض إذ ذهبت محكمة التمييز العراقية في قرار لها جاء فيه، بأن التعويض المناسب لا يعني أن يكون عادلا، وإنما هو وصف يقتضي التحقيق في تقدير التعويض» (محكمة التمييز العراقية، ١٩٦٦؛ الفتلاوي، بدون سنة، ص. ٢١٨)، وعليه يمكن أن تزيد قيمة التعويض وذلك للتخفيف من وقع الضرر الذي يمس سمعته من ناحية، ولردع المعتدي عن تكرار مثل هذا الفعل من ناحية أخرى (خالد & محمد، ٢٠١١، ص. ٢٨٢)، ومن خلال ما ورد في قرار محكمة التمييز العراقية، يمكن أن نستنتج معايير التعويض والتي تتلخص بما يأتي:

- المكانة الاجتماعية للمتضرر:

إن تقدير التعويض يتأثر بالمكانة الاجتماعية للمتضرر لأنها تضيء الشهرة على هذا الشخص، لذا فإن الاعتداء عليه يكون جسيماً أو غير جسيم نظراً إلى هذه المنزلة، فالتعويض النقدي الذي يقدر لرجل دين يختلف عن التعويض لشخص عادي (خالد & محمد، ٢٠١١، ص. ٢٨٢).

- الفائدة التي حصل عليها مرتكب الفعل الضار:

إن الفوائد المالية التي حصل عليها من قام بالفعل المؤدي إلى الأضرار بالزيارة الأربعينية يدخل في تقدير قيمة التعويض، وهذا ما ذهبت إليه محكمة النقض المصرية في بعض أحكامها إلى تقدير التعويض الذي اصاب المتضرر عما حصل عليه المعتدي من فائدة (الفتلاوي، بدون سنة، ص. ٣٨١).

ب. التعويض العيني:

يُعرف التعويض العيني بأنه "إلزام المدين بما يجبر الضرر بإداء آخر غير النقود أو إعادة الحال إلى ما كان عليه قبل وقوع الفعل الضار كالحكم بتقديم شيء مماثل للضرر الذي أحدثه" (محكمة النقض المصرية، ١٩٦٤؛ كنعان، بدون سنة، ص. ٤٨٢)، ويعرف أيضاً بأنه «الحكم بإعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل ارتكاب الخطأ الذي أدى إلى وقوع الضرر، أي إزالة الضرر الناتج عن هذا الاعتداء وهو أفضل للمتضرر من التعويض النقدي، لأنه يؤدي إلى محو الضرر الذي أصابه بدلا من بقاءه» (عبد الرحمن، ٢٠٠٤، ص. ٣٥٠ وما بعدها).

نخلص للقول بأن الأضرار بالزيارة الأربعين لا تقتصر على جانب واحد، بل تمتد إلى الجوانب المادية والأدبية، وهذه الأضرار تفتح المجال لتطبيق قواعد المسؤولية المدنية بحسب طبيعة كل حالة وظروف وقوعها، وعليه يُمكن للمتضررين المطالبة بالتعويض إذا ثبتوا وجود خطأ أو إهمال من قبل المتسببين في الضرر، لكن التحدي الأكبر يبقى في إثبات الوقائع في ظل مثل هذا التجمع الكبير ومن هنا تظهر الحاجة إلى تطوير آليات قانونية تضمن تعويض المتضررين دون إرباك العملية القضائية التقليدية، لذا نقترح إنشاء لجان محلية للتحكيم بين الزوار والمتضررين، كحل بديل عن الدعوى القضائية التي تحتاج إلى جهد ووقت كبير كما هو الحال في لجان تعويض المتضررين من الحرب (الأمانة العامة لمجلس الوزراء، بدون سنة)، كما نقترح على الحكومة العراقية بإنشاء صندوق حكومي لتعويض المتضررين من الحوادث خلال الزيارة الأربعينية (الفلوجي، بدون سنة)، فضلا عن تفعيل دور الجهات المنظمة في تسوية بعض المطالبات، وهذا ما فعلته بعض الدول التي تواجه تحديات مشابهة، وعليه سنوضح تجارب بعض الدول على النحو الآتي:

-تجربة المملكة العربية السعودية :

تواجه المملكة العربية السعودية تحديات مشابهة للزيارة الأربعينية خلال موسم الحج، ولمواجهة هذه التحديات شرعت منظومة قانونية خاصة بموسم الحج تشمل تشريعات خاصة بإدارة الحجاج وسلامتهم، وتفعيل نظام التحقيق الرسمي في الحوادث الكبرى لتحديد المسؤولية وتفادي تكرارها، فضلاً عن توزيع المهام بين الجهات الأمنية والصحية والهندسية بشكل واضح، وتقديم تعويضات لعوائل الضحايا في حال حصول حوادث جماعية (العربية سكاي نيوز، بدون سنة).

-تجربة لبنان والبحرين :

إن كل من دولة لبنان والبحرين تنظم مواكب عزاء كبيرة في عاشوراء، وعليه تفرض الجهات الحكومية شروط قانونية مسبقة على المواكب، منها تسجيل المواكب رسمياً لدى الجهات المعنية، الحصول على تراخيص للمسيرات أو نصب الخيام، فضلاً عن الالتزام بشروط السلامة والأمن (ويكيبيديا، بدون سنة).

بينت هذه الدراسة في جانبها المتعلق بالمسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية مدى أهمية توفير الحماية القانونية للمجتمع، وقد أظهرت لنا هذه الدراسة مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات والتي سنوضحها على النحو الآتي:

أولاً: الاستنتاجات

1. تقوم المسؤولية عن الأضرار بالزيارة الأربعينية على ثلاثة أركان وهي كل من الخطأ التقصيري المفترض غير قابل لأثبات العكس والضرر التقصيري المفترض غير قابل لأثبات العكس والعلاقة السببية.
2. يمكن قيام المسؤولية المدنية الناجمة عن الأضرار بالزيارة الأربعينية على أساس تحمل التبعة.

ثانياً: المقترحات

1. إطلاق حملات توعية قانونية موجهة للزائرين ومنظمي المواكب حول واجباتهم القانونية.
2. إنشاء لجان محلية للتحكيم بين الزوار والمتضررين، كحل بديل عن الدعوى القضائية التي تحتاج الى جهد ووقت كبير.
3. إنشاء صندوق حكومي لتعويض المتضررين من الحوادث خلال الزيارة الأربعينية.

أولاً: الكتب :

١. إبراهيم الدسوقي ابو الليل، تعويض الضرر في المسؤولية المدنية «دراسة تحليلية لتقدير التعويض»، بلا طبعة، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٥ .
٢. اجياد ثامر الدليمي، الاعتراض على الحكم الغيابي، بلا طبعة، دار الجبل العربي، الموصل، ٢٠٠٠ .
٣. احمد السيد صاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧ .
٤. احمد عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية الالتزام بوجه عام - مصادر الالتزام بوجه عام، الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر، مصر، ٢٠١١ .
٥. ادم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، بلا طبعة، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، بلا سنة نشر، ص ١٧٧؛ د. حسن كيرة، المدخل إلى القانون، الطبعة الرابعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٤ .
٦. أمال بكوش، المسؤولية الموضوعية عن التبعات الطبية (دراسة في القانون الجزائري والمقارن)، الطبعة الأولى، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية .
٧. امجد منصور، النظرية العامة للالتزامات، مصادر الالتزام، بلا طبعة، دار الثقافة، عمان، بلا سنة نشر .
٨. أنور سلطان، مصادر الالتزام في القانون المدني الاردني، الطبعة الثانية، المكتب القانوني، الاردن، ٢٠٠٢ .
٩. جمال زكي اسماعيل الجريدلي، عقد استخدام شبكة المعلومات الدولية، بلا طبعة، دار الكتب القانونية-دار شتات للنشر والبرمجيات، مصر- الامارات، ٢٠١٢ .

١٠. حامد شاكر محمود الطائي، المفاوضات السابقة على التعاقد «دراسة قانونية مقارنة»، الطبعة الأولى، المنشورات الحقوقية صادر، لبنان، ٢٠١٦.
١١. حسن الخطيب، نطاق المسؤولية المدنية التقصيرية والمسؤولية التعاقدية في القانون الفرنسي والقانون العراقي المقارن، بلا طبعة، مطبعة حداد، البصرة، العراق، ١٩٦٨.
١٢. حسن علي الذنون، المبسوط في شرح القانون المدني - الخطأ، الطبعة الاولى، دار وائل للنشر، الاردن، ٢٠٠٦.
١٣. حسن علي الذنون، المبسوط في شرح القانون المدني - الرابطة السببية، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان- الاردن، ٢٠٠٦.
١٤. حسن علي الذنون، المبسوط في شرح القانون المدني، المسؤولية عن الاشياء، بلا طبعة، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٦.
١٥. حسن علي الذنون، النظرية العامة للالتزام، مصادر الالتزام، بلا طبعة، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦.
١٦. رضا متولي وهدان، حماية الحق المالي للمؤلف، بلا طبعة، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١١.
١٧. رمضان ابو السعود، الوسيط في شرح القانون المدني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.
١٨. رمضان جمال كامل، شروط قبول الدعوى في المواد المدنية والتجارية، الطبعة الأولى، المركز القومي للإصدارات القانونية، مصر، ٢٠٠٧.
١٩. سعيد سعد عبد السلام، الحماية القانونية لحق المؤلف والحقوق المجاورة في ظل قانون حماية حقوق الملكية الفكرية رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢، بلا طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.
٢٠. سليم عبد الله الجبوري، الحماية القانونية لمعلومات شبكة الإنترنت، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١١.

٢١. سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني الفعل الضار، الطبعة الخامسة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٢.
٢٢. سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي» دراسة مقارنة»، بلا طبعة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨.
٢٣. سيد حسين البغال، المطول في شرح الصيغ القانونية للدعاوي والأوراق القضائية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١.
٢٤. صبري حمد خاطر، الملكية الفكرية الفكرية «دراسة مقارنة في القانون البحريني»، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة البحرين، البحرين، ٢٠٠٧.
٢٥. عبد الحكم فودة، الخطأ في نطاق المسؤولية التقصيرية، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٤.
٢٦. عبد الرزاق احمد السنهوري، الموجز في النظرية العامة للالتزام في القانون المدني المصري، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.
٢٧. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوجيز في شرح القانون المدني الجديد- الجزء الأول، نظرية الالتزام بوجه عام- مصادر الالتزام، بلا طبعة، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بلا سنة نشر.
٢٨. عبد الرشيد مأمون ود. محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة (في ضوء قانون حماية حقوق الملكية الفكرية الجديد رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢)، الكتاب الأول، بلا طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.
٢٩. عبد القادر العرعاري، المسؤولية المدنية، الطبعة الثالثة، مكتبة دار الامان الرباط، ٢٠١١، ص ١٠؛ د. معتز سيد محمد احمد عفيفي، قواعد الاختصاص القضائي بالمسؤولية الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت، الطبعة الأولى، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠١٣.

٣٠. عبد الله مبروك النجار، الحماية المقررة لحقوق المؤلفين في الفقه الاسلامي مقارنة بالقانون، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.
٣١. عبد الله يحيى الصاوي، إجراءات التقاضي امام القضاء المدني، الطبعة الأولى، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠٢٠.
٣٢. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤.
٣٣. عبد المجيد الحكيم و د. عبد الباقي البكري و د. محمد طه، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، الجزء الأول، بلا طبعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٠.
٣٤. عبد الودود يحيى، الموجز في النظرية العامة للالتزامات - مصادر الالتزام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، بلا سنة نشر.
٣٥. عدنان السرحان ونوري خاطر، مصادر الحق الشخصي (الالتزامات)، بلا طبعة، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٥.
٣٦. عوني محمد الفخري، القضاء الدولي للمحاكم العراقية وتنفيذ الأحكام الأجنبية في العراق في المسائل المدنية والتجارية «دراسة مقارنة في القانون الدولي الخاص»، بلا طبعة، مكتبة صباح، بغداد، ٢٠٠٧.
٣٧. محمد حسين علي الشامي، ركن الخطأ في المسؤولية المدنية، بلا طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.
٣٨. محمد حسين منصور المسؤولية الالكترونية، بلا طبعة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٦ ص ٣٣٤؛ د. محمد السعيد رشدي، الإنترنت والجوانب القانونية لنظم المعلومات، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٥.
٣٩. محمد كمال عبد العزيز، الوجيز في نظرية الحق، بلا طبعة، مكتبة عبد الله وهبة، القاهرة، بلا سنة نشر.

٤٠. مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية، الطبعة الثالثة، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٩.
٤١. مصطفى الزلمي، اصول الفقه في نسيجه الجديد، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١٤.
٤٢. مفيدة خليل مخزوم الصويد، الحماية المدنية لحقوق المؤلف المالية، الطبعة الأولى، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٥.
٤٣. منذر الفضل، النظرية العامة للالتزامات في القانون المدني «دراسة مقارنة»، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بلا دار نشر، بغداد ١٩٩١.
٤٤. ناصر جميل محمد الشايلة، الضرر الأدبي وانتقال الحق في التعويض عنه، الطبعة الأولى، دار الاسراء، عمان، ٢٠٠٥.
٤٥. نواف كنعان، حق المؤلف النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته، الطبعة الثالثة، دار الاجادة، السعودية، ٢٠٠٠.
٤٦. هادي حسين الكعبي، الأصول العامة في المرافعات المدنية، الطبعة الأولى، مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٠.
٤٧. يوسف عبيدات، مصادر الالتزام في القانون المدني، بلا طبعة، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩.

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

١. بسام مجيد سليمان العبايجي، المسؤولية المدنية عن ظاهرة الاحتباس الحراري، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الحقوق - جامعة الموصل، الموصل، ٢٠١٨.
٢. حسين علي حسن الغزالي، ضمانات المتضرر عن تأخير اجراءات الدعوى المدنية «دراسة مقارنة»، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية القانون - جامعة كربلاء، ٢٠٢٣.
٣. عمر بن الزوير، التوجه الموضوعي للمسؤولية المدنية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الحقوق جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠١٦.

ثالثاً: البحوث:

١. دنون يونس صالح ومصطفى صباح جمعة، خصوصية مسؤولية الدولة عن أضرار التلوث الاشعاعي النووي، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، تصدر عن كلية التربية للعلوم الانسانية، المجلد الثاني، العدد الثاني، العراق، ٢٠١٧.
٢. طارق كاظم عجيل، الحماية القانونية للمصنفات المعمارية، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية، تصدر عن كلية القانون- جامعة بغداد، مجلد ٣١، عدد خاص بوقائع مؤتمر فرع القانون الخاص، ٢٠١٥.
٣. عباس العبودي، التبليغ القضائي بوساطة الرسائل الإلكترونية ودورها في حسم الدعوى المدنية، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، تصدر عن كلية القانون بجامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٤٧، الإمارات، ٢٠١١.
٤. محمد شعيب محمد عبد المقصود، المسؤولية الموضوعية من حيث الأساس والتطبيق، بحث منشور في مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، تصدر عن كلية الحقوق - جامعة مدينة السادات، المجلد السابع، العدد الثاني، مصر ٢٠٢١.
٥. ممدوح خيرى هاشم، المسؤولية التقصيرية في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة (المسؤولية دون خطأ في القانون المدني) دراسة مقارنة، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، تصدر عن جامعة المنوفية - كلية الحقوق، مصر، عدد اكتوبر ٢٠٢٠، المجلد ٥١.
٦. نواف حازم خالد و خليل إبراهيم محمد، الصحافة الإلكترونية ماهيتها والمسؤولية التقصيرية الناشئة عن نشاطها، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، عدد ٤٦، ٢٠١١.

رابعاً : القوانين :

- ١ . القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ م وتعديلاته.
- ٢ . قانون المرافعات المدنية ذو الرقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ م وتعديلاته.
- ٣ . قانون التقاعد والضمان الاجتماعي ذو الرقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ العراقي.
- ٤ . قانون التأمين الإلزامي من حوادث السيارات ذو الرقم ٥٢ لسنة ١٩٨٠ العراقي.
- ٥ . قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ .
- ٦ . قانون شبكة الاعلام العراقي رقم (٢٦) لسنة ٢٠١٥ .

خامساً : المواقع الألكترونية

- ١ . موقع azzaman وعلى الرابط الآتي : <https://azzaman-iraq.com>.
- ٢ . موقع الأمانة العامة للعتبة العباسية وعلى الرابط الآتي : <https://iraqicenter-fdec.orgK>.
- ٣ . موقع الأمانة العامة لمجلس الوزراء وعلى الرابط الآتي : <https://cabinet.iq>.
- ٤ . موقع العربية sky news، وعلى الرابط الآتي <https://www.skynewsarabia.com>.
- ٥ . موقع كتابات وعلى الرابط الآتي : kitabab@kitabab.com.
- ٦ . موقع وزارة الداخلية العراقية وعلى الرابط الآتي <https://moi.gov.iq>.
- ٧ . موقع ويكيديا - المواكب الحسينية <https://ar.wikipedia.org>.
- ٨ . وكالة الأنباء العراقية مقال منشور على موقع الوكالة وعلى الرابط الآتي <https://www.ina.iq>.

www.ina.iq

الوعي الصحي
نزوار أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

م.م معن طالب بديوي العلياوي.

ديوان الوقف السني

[.ma3an80@gmail.com](mailto:ma3an80@gmail.com)

م.م زهراء فرحان عباس الكتاني.

مديرية تربية الكرخ الثالثة.

wdhwdh277@gmail.com

الملخص

أن الإحاطة بعدد من السلوكيات والعادات الصحية السليمة والشعور بالمسؤولية تجاه العادات غير الصحيحة، تعد من الأمور المهمة التي تحرص الجهات الصحية المسؤولة في البلد بالتعاون مع العتبات المقدسة والمواكب الحسينية من اجل جعل الزيارات المليونية بصورة عامة وزيارة الأربعين خصوصاً، ينعم الزائرين والعاملين على خدمة الزائرين فيها بالصحة والحيوية لإكمال المسير صوب كربلاء المقدسة وأداء زيارة الإمام الحسين وأخيه ابو الفضل (عليه السلام).

وتعتبر الزيارة الأربعينية فرصة مناسبة للجهات الصحية بعقد الندوات أو المحاضرات حول الامور الصحية التي على الزائرين اتباعها خلال أيام الزيارة الاربعينية، واثناء ذلك تحصل مناقشات أو حوارات يمكن من خلالها زيادة الوعي الصحي لدى الزائرين. وقد قسم البحث بعد المقدمة الى ثلاث مباحث:

المبحث الاول وتضمن: أربعة مطالب: الأول: اصول المشي لزيارة الحسين (عليه السلام)، الثاني بعنوان: الخدمة الطبية بين الماضي والحاضر، والثالث بعنوان: الوعي الصحي، والرابع بعنوان: تنمية ونشر الوعي الصحي.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: الوعي الصحي لدى (الزائرين، والعاملين على خدمة الزائرين).

أما المبحث الثالث فتضمن بيان دور المفزة الطبية في الزيارات المليونية (الأربعينية) وما تقدمه من خدمات لزيادة الوعي الصحي. وأخيراً الخاتمة، وقد دُعِمَ البحث بالمصادر الموثوقة.

الكلمات المفتاحية : الوعي الصحي - زيارة الاربعين - الزائرين - الخدمات الطبية - العادات الصحية

Health Awareness among the Pilgrims of the Arbaeen of Imam Husayn

Ma'n Talib Badiwi Al-'Ulyawi

Sunni Endowment Office

Lecturer Zahraa Farhan Abbas Al-Kanani

Directorate of Education – Karkh Third

Abstract

Being aware of a number of healthy behaviors and habits and feeling responsible for incorrect habits is one of the important matters that the responsible health authorities in the country are keen to cooperate with the holy shrines and Hussein processions in order to make the million visits in general, and the Arbaeen visit in particular, a blessing for visitors and those working to serve visitors there. With health and vitality to complete the march towards Holy Karbala and perform the visit of Imam Hussein and his brother Abu Al-Fadl (peace be upon them).

The Arbaeen visit is considered an appropriate opportunity for health authorities to hold seminars or lectures on health issues that visitors must follow during the days of the Arbaeen visit. During this, discussions or dialogues take place through which visitors' health awareness can be increased.

After the introduction, the research was divided into three sections: The first section includes: three demands: the first entitled: Medical service between the past and the present, the second entitled: health awareness, and the third entitled: developing and spreading health awareness.

The second section was entitled: Health awareness among (visitors and those working to serve visitors).

The third section includes an explanation of the role of the medical detachment in the million visits (Arbaeen) and the services it provides to increase health awareness.

Finally, the conclusion. The research was supported by reliable sources.

Keywords: Health Awareness – Arbaeen Pilgrimage – Pilgrims – Medical Services – Health Habits.

تعد الزيارة الربيعية نهضة شاملة لمختلف جوانب الحياة، وبالتأكيد أن مثل هذه النهضة تحتاج الى جهود افراد المجتمع كافة (وفي الطريق الى كربلاء، هنالك جهود انسانية ابدعت وتفنتت في بذل الغالي والنفيس والتسابق مع الزمن ليغتتموا فرصة الخدمة الولاية للحشود المليونية)، ومن هذه الجوانب، إيجاد (زائرين) يتمتعون بالصحة والحيوية، وهذا ما تسعى له الجهات الصحية المسؤولة في البلد وبالتعاون مع المواكب الحسينية من اجل توفير مستوى صحي ملائم لجميع الزائرين وذلك ببذل الجهود الكبيرة في القضاء على المشاكل الصحية التي تواجه الزائرين والعاملين على خدمة الزائرين.

أن الوعي الصحي للأفراد (الزائرين، والعاملين على خدمة الزائرين) يقاس من خلال معرفتهم بالقواعد الصحية الاساسية، مضافاً إليه اختلاف المستوى الاجتماعي والصحي والنظافة الشخصية لديهم. ونتيجة لانتشار العديد من الأمراض التي ظهرت في السنوات الاخيرة عالمياً، وبما أن الزائرين يشكلون مختلف الفئات العمرية والتي قد يكون بعضها اكثر عرضة للإصابة بهذه الأمراض، كما وأن ظروف الازدحام على طول طريق المسير وطيلة ايام الزيارة تعتبر عوامل مساعدة على الاصابة ببعض تلك الأمراض، لذلك اصبح لزماً على المؤسسات الصحية والمواكب الحسينية الاهتمام بالجوانب الصحية المختلفة من خلال اخذ التدابير الخاصة والمتعلقة بسلوك الزائرين، وايضاً إيصال المعلومات المناسبة والسلوكيات الصحية السليمة من خلال تقديم البرامج (محاضرات، ندوات) وبمشاركة الكثير من منتسبين الدوائر الصحية وألاف المتطوعين من مختلف المحافظات العراقية ودول العالم المختلفة لتقديم الخدمات المختلفة للزائرين كتقديم (المعقمات والكفوف والكمامات) وفضلاً عن تقديم النصائح للزائرين وإرشادهم من خلال المنشورات الموجودة على طول الطريق نحو كربلاء المقدسة.

مشكلة البحث:

تعرف مستوى الوعي الصحي لدى الزائرين خلال أيام زيارة الأربعين التي وافقت انتشار جائحة كورونا عالمياً وبعدها على وفق مفاهيم صحيحة وتحليل علمي لأهم عناصرها، وما تقدمه المؤسسات الصحية والمواكب الحسينية من توعية بوضع الإعلانات الصحية على طول الطريق، والتأكيد لأهمية النظافة الشخصية للزائر.

الوعي الصحي لغة واصطلاحاً:

١. الوَعْيُ لغة: وَعَيْ: حفظ القلب الشيء (ابن منظور، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م). وعى الشيء والحديث يعيه وعياً وواعاه: حفظه وفهمه وقبله. فهو واع، وفلان أوعى من فلان أي احفظ وافهم.

٢. الوَعْيُ اصطلاحاً: وَعَيْ: الحفظ والتقدير، الفهم وسلامة الادراك (حمودة، ٢٠١١/٠١/٠١).

٣. الصحة اصطلاحاً: الصحة: السلامة من المرض، والسلامة من الخطأ (حمودة، ٢٠١١/٠١/٠١).

٤. الوَعْيُ الصحي اصطلاحاً: يعني الوعي الصحي: أن يُدرك الفرد ما حوله في هذا الكون باستخدام الحواس لفهم الاشياء المتعلقة بالصحة (سلامة، ١٩٩٧). يعني: المعرفة والفهم والادراك والتقدير والشعور بمجال الصحة والذي يؤثر على سلوك الفرد وتوجيهه نحو العناية بالمجال الصحي.

المبحث الاول

اصول المشي لزيارة الحسين عليه السلام.

أولاً: كان الناس في العراق منذ القدم يقصدون الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام في مناسبات معينة إلى يومنا هذا، وأوضح تلك المناسبات هي زيارة الأربعين، إلى أن جاء نظام البعث البائد فمنع هذه الشعيرة طيلة حكمه، ولم يترك الناس هذه الشعيرة، فكانوا يمشون إلى زيارته عليه السلام بالخفاء، وبسبب الاضطهاد والظلم في العراق انتقلت هذه الشعيرة بشكل واضح إلى الأضرحة المقدسة في إيران وسوريا. أمّا في إيران، فكان الناس يمشون من مدينة قم المقدسة إلى مشهد المقدسة، أو من مدينة نيشابور إلى مرقد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان.

وأما في سوريا، فكانوا يمشون من مرقد السيدة زينب إلى مرقد السيدة رقية أو بالعكس. والأيام التي تُقام فيها هذه الشعيرة عادة هي العاشر من المحرم، ويوم الأربعين ٢٠ من شهر صفر وهو أبرزها، وأيام شهادة الزهراء عليها السلام، ويوم النصف من شعبان، ويوم عرفة ٩ ذي الحجة.

ثانياً: السرّ في اختصاص المشي بيوم الأربعين. تبرز شعيرة المشي على الأقدام بشكل واضح في زيارة يوم الأربعين يوم العشرين من شهر صفر، حيث يمشي الموالون على الأقدام قاصدين مرقد أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، بالرغم من أنّ هذه الشعيرة لا تختص بهذا اليوم؛ إذ سيأتي أنّ استحباب زيارة الحسين عليه السلام مشياً لا يختصّ بزيارة الأربعين، بل يُستحب في كل وقت، ترجع شعيرة المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام تاريخياً. كما جاء في بعض الروايات - إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه حيث إنه زار الحسين عليه السلام في يوم الأربعين مشياً على الأقدام، وكان جائئاً من المدينة (المجلسي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م). إذ؛ فما هو السرّ فيما نراه اليوم من اختصاص المشي بزيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين؟ ولعل ذلك يرجع إلى أمرين:

١. إنَّ أولَ مَنْ زارَ مرقدَ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام) يومَ الأربعينِ مشياً على الأقدام هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه). فالناس يزورون الحسين (عليه السلام) في هذا اليوم تأسياً بهذا الصحابي الجليل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد حثَّ الأئمَّة على الزيارة في هذا اليوم وجعلوها من علامات المؤمن، قال الإمام العسكري (عليه السلام): (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختُّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم) (المعلم، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م). وبضميمة الروايات الآتية الواردة في استحباب المشي لزيارة الحسين (عليه السلام).

٢. إنَّ هذا اليوم قد رجع فيه أهل بيت الإمام الحسين (عليه السلام) من الشام إلى كربلاء، بعد ما لاقوا العذاب والعناء الشديد والظلم، وفي هذا اليوم حصل لقاء الإمام زين العابدين (عليه السلام)، بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) الذي جاء لزيارة الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام، فالموالون من الشيعة إنَّما يزورون الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا اليوم مشياً على الأقدام مواساة لما جرى على عيال الحسين (عليه السلام).

المبحث الثاني

المطلب الأول - الخدمة الطبية بين الماضي والحاضر

أهتم الإسلام بصحة الإنسان اهتماماً بالغاً، فقد روي عن الرسول محمد ﷺ أنه قال: "ان في صحة البدن فرح الملائكة، ومرضاة الرب، وتثبيت السنة"، وايضاً عنه قال: "لا خير في الحياة الا مع الصحة..." (مرتضى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م)

والإسلام يعتبر المؤمنين أخوة يجب الاهتمام بأموالهم وقضاء حوائجهم، وان يساعد بعضهم بعضاً في السراء والضراء، ولا يمكن ان تكون الناحية الطبية مستثناة من ذلك في أي من الظروف والاحوال.

ويعتبر الطب وظيفة شرعية وواجب كفائي يعاقب الكل على تركه ويسقط عنهم بقيام بعضهم به، بالإضافة الى كونه ضرورة اجتماعية وانسانية ورسالة اخلاقية ومسؤولية عقلية تدفع بالمسيرة الإنسانية نحو تحقيق أهدافها والوصول بالإنسان الى مراتب الكمال الإنساني، ثم ان الرجوع الى الطبيب والتداوي عنده لا ينافي التوكل، فهو الذي يبعث البهجة في نفس المريض ويعيد له الثقة بالحياة والمستقبل بالإضافة الى تقديمه الدواء النافع.

وقد أكد الإسلام والائمة المعصومون ﷺ على ان يوجه الإنسان نحو الوقاية الصحية حتى لا يقع في براثن المرض من خلال الاهتمام بالنظافة الجسدية بالإضافة الى نظافة الثياب والأواني ونظافة البيت وكل ما يرتبط بالبيئة والمجتمع بشكل عام (مرتضى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م). في زمن صدر الإسلام الاول كانت تنصب خيم لمداواة الجرحى وكانت تفرز عن غيرها من الخيم، فمثلاً كانت لأحدى النساء ممن لها معرفة بالطب وتدعى رفيدة الأسلمية خيمة في مسجد الرسول محمد ﷺ لمداواة المرضى والجرحى (مرتضى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

ولم تقتصر الخدمات الطبية على ما يقدم للجيش أثناء المعارك بل تعدت الى إيجاد مراكز طوارئ في الاجتماعات العامة كيوم الجمعة مثلاً وكان يوجد فيها طبيب يقدم الخدمة الطبية للحاضرين في الصلاة ولكل ما يحدث في الجامع (جامع ابن طولون) (مرتضى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ومنها انبثقت مراكز الطوارئ في مواسم الحج حتى يومنا هذا.

المطلب الثاني - الوعي الصحي

اولا - مفهوم الوعي الصحي :

يعرف الوعي الصحي بأنه أدراك الفرد بما حوله في هذا الكون باستخدام الحواس لفهم الاشياء المتعلقة بالصحة (سلامة، ١٩٩٧).

ويعرف ايضاً، بأنه تلك العملية التي تهدف الى تعليم الأفراد السلوك الصحي السليم والابتعاد عن الافكار الصحية الخاطئة وذلك بتزويدهم بمعلومات صحية علمية ورسومية، ثم العمل على زيادة مستوى فهمهم لهذه المعلومات عن طريق وسائل مختلفة كالندوات والنشرات التي تصدرها الجهات ذات العلاقة، إضافة الى وسائل الاتصال الجماهيري وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي (كاظم، ٢٠١٥-٠٣-٣١).

وكذلك يعرف على إن الوعي الصحي يعني معرفة الزائرين بالمفاهيم والقواعد الصحية السليمة التي تساعد في رفع مستوى صحتهم وصحة الاخرين من زائرين وعاملين في المواكب الحسينية الذين يوجدون معهم خلال مدة الزيارة الاربعينية.

اما الممارسات الصحية فتعني ترجمة المفاهيم والقواعد الصحية الى سلوك صحي سليم يقوم به الزائرون، والذي يهدف الى تغيير العادات الخاطئة من اجل رفع مستوى الصحة لديهم وفي مختلف جوانبها.

ثانيا - مصادر الوعي الصحي:

- الملاحظة: يصل الفرد الى المعلومات والحقائق الصحية باستخدام حواسه وبصورة مباشرة من واقعه.
- التجربة: يصل الفرد الى المعلومات والحقائق الصحية بعد تعرضه لمشكلة صحية تساهم في تزويده بالوعي الصحي والذي لاحقاً يوظف للتعرف على الامراض المستقبلية (كاظم، ٢٠١٥-٠٣-٣١).

ثالثا - أنواع الوعي الصحي:

- الوعي الغريزي: يتكون خلال حياة الفرد اليومية نتيجة للخبرات العديدة التي يكتسبها بدوافع غريزية.
- الوعي العقلي: يصل اليه الفرد بعد جهد مخطط لتبني فكرة ما والدفاع عنها (الامامي، ٢٠٠٧م).

رابعا - أهداف الوعي الصحي:

- من أهداف الوعي الصحي، تغيير ثلاثة جوانب لدى الأفراد في المجتمع وهي:
- المعلومة: تلك المعلومة الصحية المبنية على اساس علمي.
- التوجه: يكون بوجود قناعة بتطبيق تلك المعلومة الصحيحة.
- الممارسة: يمثل الاستمرار بالتطبيق العملي لتلك المعلومة الصحيحة (الامامي، ٢٠٠٧م).

خامسا - أهمية الوعي الصحي :

تكمن أهمية الوعي الصحي في أنه:

١. التأثير في مستوى وعي الفرد الصحي وتغيير عاداته الخاطئة واكتسابه ممارسات صحية سليمة.
٢. تنشئة جيل يتمتع بالصحة في جوانبها المختلفة والذي يسهم في ازدهار المجتمع (الامامي، ٢٠٠٧م).
٣. دراسة اسباب الامراض وتأثيراتها وكيفية الوقاية منها.
٤. يساهم في تنشئة جيل يتمتع بالصحة في جوانبها المختلفة من اجل ازدهار المجتمع (الامامي، ٢٠٠٧م).
٥. يساهم في منح الثقة والتقدير للعلم والعلماء المتخصصين في المجال الصحي (كاظم، ٢٠١٥-٠٣-٣١).
٦. يعمل على تغيير العادات الخاطئة لدى الأفراد وذلك باكتسابهم ممارسات صحية سليمة.
٧. يعمل على دراسة اسباب الامراض وتأثيراتها وكيفية الوقاية منها.

المطلب الثالث

تنمية ونشر الوعي الصحي

سؤال: لماذا تحرص الجهات الصحية على نشر الوعي الصحي بين افراد المجتمع؟

الجواب: وذلك لإيجاد مجتمع:

- مُلم بالمعلومات الصحية، والامراض المختلفة (اسبابها، اعراضها، الوقاية منها، وسائل مكافحتها).
- يؤمن بأن حلّ المشاكل الصحية هو مسؤولية الأفراد قبل ان تكون مسؤولية الجهات الحكومية.
- يتبع أفراده الإرشادات والعادات الصحية السليمة، وبيادر ويتعاون على حل المشاكل الصحية (كاظم، ٢٠١٥-٠٣-٣١).

سؤال: كيف يمكن للجهات الصحية تنمية الوعي الصحي بين افراد المجتمع؟

الجواب: هنالك العديد من وسائل تنمية الوعي الصحي لدى الأفراد منها:

- المحاضرات.
- المشاهدة.
- المناقشة.
- القصص.
- الاختبارات القبلية والبعديّة.
- تمثيل الادوار (الامامي، ٢٠٠٧م).
- الالتزام بتوجيهات المراجع الدينية العليا أثناء زيارة المراقد المقدسة في كربلاء وباقي المحافظات بصورة عامة والزيارة الاربعينية بشكل خاص.
- الوسائل السمعية والبصرية (القنوات التلفزيونية الفضائية).

أن الخطوة الأولى لعلاج الكثير من قضايا الوعي الصحي هو في توظيف وسائل الاعلام ومنها القنوات التلفزيونية الفضائية والعمل على تفعيل دورها في المجتمع.

سؤال: ماهي الامور التي يجب مراعاتها عند نشر الوعي الصحي بين أفراد المجتمع؟

الجواب: هنالك العديد من الامور، منها:

- نشر المعلومات الصحيحة الواضحة.
- المحافظة على الروح المعنوية لأفراد المجتمع.
- الابتعاد عن الترويج للإشاعات.
- الاهتمام بالقضايا الصحية التي ترتبط بمصالح المجتمع (كاظم، ٢٠١٥-٠٣-٣١).

المبحث الثالث

الوعي الصحي لدى (الزائرين.والعاملين على خدمة الزائرين)

أن الوعي الصحي يعني معرفة الزائرين بالمفاهيم والقواعد الصحية السليمة التي تساعد في رفع مستوى صحتهم وصحة الاخرين من زائرين وعاملين في المواكب الحسينية الذين يتواجدون معهم خلال فترة الزيارة الاربعينية.

اما الممارسات الصحية فتعني ترجمة المفاهيم والقواعد الصحية الى سلوك صحي سليم يقوم به الزائرون، والذي يهدف الى تغيير العادات الخاطئة من اجل رفع مستوى الصحة لديهم وفي مختلف جوانبها.

عملية المشي هي احدى الأنشطة الصحية التي تقي الأفراد بصورة عامة والزائرين بصورة خاصة من عدد من الأمراض كأمراض القلب والأوعية الدموية، ضغط الدم، السمّنة، ومرض السكر وغيرها. إضافة الى ذلك، تأثيرها النفسي في معالجة الكآبة واعتدال المزاج لدى الزائرين (الساعدي، ١٤٣٩هـ-١٠١٨م).

سؤال: ما هي الأدوات والاساليب التي من خلالها يمكن للجهات الصحية معرفة مستوى الوعي الصحي لدى الزائرين؟

الجواب: يكون من خلال:

- الملاحظة: يمارس الزائرون خلال ايام الزيارة الاربعينية بعض السلوكيات الايجابية أو السلبية اثناء تواجدهم في المواكب أو مشاركتهم في بعض الاعمال الخدمية والتي يتصرفون بها بشكل تلقائي، ويمكن للجهات الصحية واصحاب المواكب تقييم مستوى الوعي الصحي لدى الزائرين والعاملين من خلال الملاحظة.
- الندوات أو المحاضرات: يمكن للجهات الصحية وايضاً المواكب عقد الندوات أو المحاضرات حول الامور الصحية التي على الزائرين اتباعها خلال ايام الزيارة الاربعينية، وأثناء ذلك تحصل مناقشات أو حوارات يمكن من خلالها معرفة مستوى الوعي الصحي لدى الزائرين.

أولاً: دور المفزة الطبية في الزيارات المليونية.

في عام ٢٠٠٣ م نشأت المفارز الطبية نتيجة للزيادة الحاصلة في اعداد الزائرين خلال الزيارة الاربعينية وحاجتهم الى الخدمات الطبية، حيث تم فتح مفزة طبية داخل الصحن الشريف للعتبة الحسينية واخرى داخل الصحن الشريف لأبي الفضل العباس (عليه السلام)، وذلك بالتنسيق بين دائرة صحة كربلاء والامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة (الشمري، ٢٠١٨).

وازدادت أعداد المفارز الطبية في السنوات اللاحقة لتشمل مركز مدينة كربلاء المقدسة بالإضافة الى الطرق المؤدية الى المحافظة كطريق بغداد - كربلاء، طريق نجف - كربلاء وطريق بابل - كربلاء، وتنشأ هذه المفارز بعد اخذ الموافقة من دائرة صحة كربلاء وهيئة المواكب الحسينية. ويتضمن هذا المبحث ما يلي:

١- تعريف المفزة الطبية :

هي المكان (كرفان، خيمة) الذي يتواجد فيه كادر (طبي، تمريض، خدمي) قادر على تقديم الخدمات الطبية للزائرين خلال الزيارات المليونية كالزيارة الاربعينية وتحتوي على بعض الاجهزة الخاصة منها: جهاز لقياس الضغط، جهاز الصدمة، جهاز سحب السوائل وجهاز التبخير والاكسجين. وتحتوي على بعض الادوية التي تزود بها من قبل دائرة صحة كربلاء/ قسم الصيدلة وكذلك من اصحاب المذاخر الاهلية ومن بعض المتبرعين الموالين لأهل البيت (عليه السلام).

٢- كوادر المفزة الطبية :

- حسب ملاك وزارة الصحة يتكون كادر المفزة لكل من الرجال والنساء من: (معاون طبي، ممرض ماهر، وعامل خدمة) تابعين لدائرة صحة كربلاء يتم تنسيبهم الى المفازز الطبية، بالإضافة إلى اطباء متطوعين.
- وفي الزيارات المليونية يكون الاسناد من قبل دوائر الصحة التابعة لمحافظات الوسط والجنوب (النجف، بابل، واسط، البصرة) بالإضافة الى مئات المتطوعين من اطباء وطبيبات، وعمال خدمة، وحملة نقالات من بعض الدول العربية والاجنبية.

٣- واجبات المفزة الطبية :

- معالجة الحالات البسيطة، اما الحالات الحرجة فتحدد من قبل الاطباء المتطوعين فترسل الى مستشفى السفير او مستشفى زين العابدين والمستشفيات الاخرى بسيارات الاسعاف المرابطة بالقرب من بعض المفازز.
- تقديم بعض الخدمات المهمة: قياس الضغط والسكر واعطاء العلاج الخاص بها.
- تقديم الاسعافات الاولية لحالات الاختناق البسيط وفقدان الوعي باستخدام الاوكسجين او التبخير.

- اجراء العمليات الصغرى كخيطة الجروح وضهاد الحروق.
- ارسال حالات الاسقاط المهدد وحالات الولادة الى مستشفى النسائية والتوليد بواسطة سيارة الاسعاف.
- صحة كربلاء تكشف عن اجمالي خدماتها الصحية المقدمة خلال زيارة الاربعين للعام ٢٠٢٤.
- اعلنت دائرة صحة كربلاء المقدسة، عن اجمالي خدماتها المقدمة الى المواطنين والزائرين خلال ايام زيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام. وقال مدير صحة كربلاء الدكتور صباح الموسوي في تصريح لموقع كربلاء الاخباري ان اجمالي الخدمات المقدمة للمواطنين والزائرين خلال ايام زيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام بلغت (٧,٠١٥,٣٦٩) زائرا ومواطن، ووضح، ان "الخدمات الصحية المقدمة للزائرين تمثلت بنقل (٧٥٩١) حالة مرضية بعجلات الاسعاف الفوري وتابع الموسوي الى أن " مصرف الدم جمع ما يقارب (٦٨٤٣) قنينة دم مختلفة الاصناف والاحجام تبرع بها عدد من الزائرين والمواطنين واثار أيضاً الى، ان " المستشفيات في المحافظة شهدت اجراء (١١٦٦) عملية جراحية متنوعة خلال ثلاثة عشر يوماً وولادة (٧٩٣) طفلا وطفلة واجراء (٢١٨٧٦) فحصا بجهاز الاشعة" (صالح).

الخاتمة

أن النهوض بمستوى الوعي الصحي (الزائرين، العاملين على خدمة الزائرين) وتثقيفهم صحياً واکسابهم ممارسات صحية سليمة من خلال تزويدهم بالمبادئ الصحية الصحيحة، لما لهم من دور مهم في نقل السلوكيات الايجابية الى جموع الزائرين خلال ايام الزيارة الاربعية، ويمكن متابعة ذلك في ما تقوم به المؤسسات الصحية وهيئة المواكب والشعائر الحسينية في التثقيف الصحي ونشر الوعي الصحي قبل الزيارة واثناء الزيارة من خلال نشر الملصقات العلانية على طول الطريق الواصل الى كربلاء المقدسة، إضافة الى توفير التجهيزات الصحية (كمات، كفوف، تعقيم).

النتائج

١. زيادة الوعي الديني: تعتبر زيارة الأربعين فرصة لتعزيز الوعي الديني والأخلاقي.
٢. تحقيق التكافل الاجتماعي: تظهر الزيارة روح التعاون والتكافل بين الزائرين وخدمة بعضهم البعض.
٣. الاستفادة الروحية: يجد الزائرون فيها فرصة للتأمل والتقرب إلى الله والتزود بالطاقة الإيمانية.
٤. التعزيز الإيجابي للسلوك: تساهم الزيارة في تعزيز السلوك الإيجابي والأخلاقي لدى الزائرين.
٥. تأثير اقتصادي: تساهم الزيارة في تنشيط الحركة الاقتصادية في المناطق التي يمر بها الزوار.
٦. التحديات الصحية: تواجه الزيارة تحديات صحية نتيجة الأعداد الكبيرة من الزوار، مثل انتشار الأمراض المعدية.
٧. توصيات صحية لزائري الأربعين:
٨. النظافة الشخصية: غسل اليدين المتكرر، استخدام المعقّمات، وتنظيف الأماكن والأدوات المستخدمة.
٩. الوقاية من الأمراض التنفسية: ارتداء الكمامات والحرص على التباعد الجسدي، خاصة في الأماكن المزدحمة.
١٠. التغذية السليمة: تناول الأطعمة الصحية والمطهية في أماكن مخصصة، وتجنب الأكل من مصادر غير معروفة.
١١. شرب الماء النظيف: التأكد من أن الماء المستخدم للشرب معقم ونظيف.
١٢. حمل الأدوية: بالنسبة لأصحاب الأمراض المزمنة، يجب حمل الأدوية الخاصة بهم وتناولها بانتظام.

المراجع

١. احمد جليل الشمري. (٢٠١٨). المفرزة الطبية التابعة للعتبة الحسينية المقدسة. تم الاسترداد من <https://almerja.com/more.php?idm=112035>: <https://almerja.com/more.php?idm=112035>
٢. الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان بن المعلم. (١٤١٤ - ١٩٩٣ م). المزار.
٣. العكيلي، جهاد كاظم. (٢٠١٥-٠٣-٣١). الوعي الصحي عبر وسائل الاتصال (الإصدار المجلد ٢٠١٥، العدد ٢٧ (٣١ مارس / آذار ٢٠١٥). جامعة بغداد كلية الإعلام.
٤. بسام سعد الامامي. (٢٠٠٧م). مستوى الوعي الصحي ودرجة الممارسات الصحية لدى طلبة المرحلة الاساسية في محافظة معن. جامعة مؤتة الاردن.
٥. بهاء الدين ابراهيم سلامة. (١٩٩٧). الصحة والتربية الصحية. دار الفكر العربي للطباعة والنشر.
٦. عاملي جعفر مرتضى. (١٤١٢هـ-١٩٩١م). الآداب الطبية في الإسلام (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار البلاغة.
٧. عصام حداد، حسان جعفر؛مراجعة نواف كريم منير حمودة. (٢٠١١ / ٠١ / ٠١). المنبع الموسع (المجلد ١). دار ربيع.
٨. فاطمة صالح. (بلا تاريخ). <https://karbala.gov.iq/news/5869>.
٩. محمد باقر المجلسي. (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م). بحار الأنوار. وزارة الارشاد الاسلامي.
١٠. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن ابن منظور. (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م). لسان العرب. دار إحياء التراث العربي.
١١. محمد عبد الرضا هادي الساعدي. (١٤٣٩هـ-١٠١٨م). زيارة الاربعين المباركة دلالات وآفاق (المجلد ١). مركز كربلاء للدراسات والبحوث.

رؤية جغرافية لإمكانية تطبيق خدمات النقل الذكية في زيارة الاربعين (واقع وتحديات)

م.م شيماء محمد خليل محياوي

م.م. عذراء محمد عبد حمود

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

hum703.shymia.mohammed@uobabylon.edu.iq

الملخص:

تعد زيارة الاربعين واحدة من اكبر التجمعات البشرية في العالم، بسبب زيادة الحشود الوافدة الى مدينة كربلاء المقدسة لاحياء هذه الشعيرة المباركة وزيارة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام واخيه ابا الفضل العباس واصحابه عليهم رضوان الله تعالى حيث وصل مجموع الزائرين من العراق وخارجه في عام ٢٠٢٣ (٢٢) مليون زائر، وبطبيعة الحال ان أي تدفق هائل او تجمع مليوني يشكل تحديا كبيرا امام حركة التطور الحاصلة في ادارة مثل تلك الحشود ومنها تحدي تطبيق خدمات النقل الذكية التي من الممكن ان تساهم في وجود حلول جذرية لمسألة نقل الزائرين سيما بعد انتهاء الزيارة المباركة والعودة الى ديارهم .

جاء هذا البحث برؤية جغرافية لإمكانية تطبيق خدمات النقل الذكية في زيارة الاربعين، حيث يتخذ الزائرين مجموعة من وسائل النقل منها المشي لمسافات طويلة، واستخدام الحافلات العامة وايضا النقل الجوي للزوار القادمين من الخارج، و من الممكن توظيف التقنيات الذكية التي تستخدمها العتبة الحسينية المقدسة في مواسم الزيارة في ادارة الحركة المرورية من خلال زيادة المساحة وتوسيع نطاق المراقبة الى المداخل الرئيسية لمدينة كربلاء والمحاور المهمة التي يسلكها الزائرين ومراقبة حركة المرور بشكل حيوي والتنبؤ بالازدحامات واتخاذ اجراءات استباقية، كما يمكن توفير خدمات الاتصالات القوية لتغطية جميع المناطق التي يتخذها الزائرين للوصول الى المدينة المقدسة، وتوفير بعض التطبيقات الذكية التي توفر حجز الموصلات وايجاد اقصر الطرق للوصول الى المناطق المطلوبة وايضا من خلال الدفع الالكتروني عبر الهواتف الذكية، كما يمكن وضع علامات مرورية واشارات ذكية ومناطق عبور

مخصصة وبعض اللافتات الاعلانية الذكية من شأنها تقليل الازدحامات ومنع الزخم الحاصل عند النقاط الرئيسة والمحاور المهمة، وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي والدراسة الميدانية في جمع البيانات وتحليلها، وتطرق البحث الى ثلاث مباحث رئيسة تناول المبحث الاول مفاهيم عامة حول زيارة الاربعين وتعريف انظمة النقل الذكية وكشف المبحث الثاني خدمات النقل التي توفرها العتبتين المقدستين والتطبيقات الذكية في مدينة كربلاء المقدسة وإمكانية استثمارها لخدمة زيارة الاربعين المباركة، اما المبحث الثالث فقد درس التحديات والمعوقات التي تواجه تطبيق خدمات النقل الذكية في المناسبات الدينية كالتكاليف المحتملة والبنى التحتية والتحديات الامنية ومقترح لاقامة مرآب ذكي في المدينة المقدسة، كما تلخصت نتائج البحث في امكانية استخدام انظمة النقل الذكية كفرصة لتحسين نظام المرور في الزيارة وسلامة الزوار وتقليل الابعاء اللوجستية وجعل الزيارة اكثر تنظيماً.

الكلمات المفتاحية: زيارة الاربعين، النقل الذكي، الخدمات .

A Geographical Perspective on the Feasibility of Applying Smart Transport Services in the Arbaeen Pilgrimage

(Reality and Challenges)

Asst. Lecturer Shaimaa Mohammed Khalil Mehayawi

Asst. Lecturer Azraa Mohammed Abd Hammoud

University of Babylon / College of Education for Human Sciences

Abstract:

The Arbaeen pilgrimage is one of the largest gatherings of people in the world, due to the increasing number of people arriving in the holy city of Karbala to commemorate this blessed ritual and visit Imam Hussein ibn Ali ibn Abi Talib (peace be upon them), his brother Aba al-Fadl al-Abbas (peace be upon them), and his companions (may God be pleased with them). The total number of pilgrims from Iraq and abroad reached (22) million in 2023. Naturally, any massive influx or gathering of two million people poses a significant challenge to the progress made in managing such crowds, including the challenge of implementing smart transportation services, which could contribute to finding radical solutions to the issue of transporting pilgrims, especially after the blessed pilgrimage concludes and they return to their homes. This research came with a geographical vision of the possibility of applying smart transportation services in the Arbaeen pilgrimage, as visitors take a variety of means of transportation, including walking long distances, using public buses, and air transportation for visitors coming from abroad. It is possible to employ smart technologies used by the Holy Shrine of Imam Hussein during the pilgrimage seasons in managing traffic by increasing the area and expanding the scope of monitoring to the main entrances to the city of Karbala and the important axes used by visitors, monitoring traffic dynamically, predicting congestion, and taking proactive measures. It is also possible to provide strong communication services to cover all areas used by visitors to reach the holy city, and to provide some smart applications that provide transportation reservations and find the shortest routes to reach the required areas, as well as through electronic

payment via smartphones. It is also possible to place smart traffic signs, signals, designated crossing areas, and some smart advertising banners that would reduce congestion and prevent the momentum occurring at the main points and important axes. The research relied on the historical approach, the descriptive analytical approach, and field study in collecting and analyzing data. The research addressed three main topics. The first topic dealt with general concepts and a comparison between systems. Traditional transportation and intelligent transportation systems. The second section explored the uses of smart applications and devices during the Arbaeen pilgrimage and the possibility of improving them to serve the blessed ritual. The research touched on three main sections. The first section dealt with general concepts about the Arbaeen visit and definitions of intelligent transportation systems.

The second section revealed the transportation services provided by the two holy shrines and smart applications in the holy city of Karbala and the possibility of investing them in serving the blessed Arbaeen pilgrimage. The third section studied the challenges and obstacles facing the application of smart transportation services on religious occasions, such as potential costs, infrastructure, security challenges, and a proposal to establish a smart garage in the Holy City and the possibility of investing it in serving the blessed Arbaeen pilgrimage. The third section studied the challenges and obstacles facing the application of smart transportation services on religious occasions, such as potential costs, infrastructure, security challenges, and a proposal to establish a smart garage in the Holy City.

Keywords: Arbaeen visit, smart transportation, services.

المقدمة :

تمثل زيارة الاربعين تحدياً لوجستياً فريداً من نوعه، حيث ان اعداد الزائرين الهائلة والتدفق البشري المستمر في اثناء الزيارة والذي يعد غير منتظم في كثير من الاحيان ويتركز في فترة زمنية محددة ومناطق جغرافية محدودة فيشكل ضغطاً هائلاً على البنى التحتية وخاصة البنية التحتية الخاصة بالنقل، وهنا يمكن ابراز انظمة النقل الذكية لتقديم الخدمات والادوات والتقنيات التي تساعد الى حد كبير في مواجهة تلك التحديات ومعالجة الازمة الخاصة بالازدحامات بدلا من الحلول التقليدية حيث يمكن لها ان توفر رؤية ديناميكية وشاملة لحركة النقل من والى مدينة كربلاء التي تفرضها زيارة الاربعين الدينية وبقية المناسبات طوال العام، وتهدف خدمات النقل الذكية الى تسهيل حركة الزائرين وضمان سلامتهم وراحتهم قدر الامكان، وقد تم استخدام بعض التقنيات الخاصة بالنقل الذكي اثناء الزيارة، وساهمت العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية التقنيات المبتكرة بما يتلائم مع عملهم وعززت شعبة حفظ النظام في العتبتين المقدستين استخدام الكاميرات الذكية لكشف ارقام السيارات وتعقب الازدحامات كما شددت على فتح منافذ عديدة للتفتيش من اجل تخفيف الازدحام وجعل الحركة اكثر انسيابية بالنسبة للزائرين .

مشكلة البحث :

تلخصت مشكلة البحث في الاجابة عن الاسئلة التالية :

١. هل هناك امكانية لتوظيف خدمات النقل الذكية لإدارة حشود الزائرين في مدينة كربلاء المقدسة اثناء زيارة الاربعين ؟
٢. هل يمكن توظيف خدمات النقل الذكية لتقليل الازدحامات وتحسين ادارة الحركة للزائرين ؟
٣. هل هناك تحديات تواجه تطبيق خدمات النقل الذكية في كربلاء المقدسة اثناء زيارة الاربعين ؟

فرضية الدراسة :

تفترض الدراسة ما يأتي :

١. هناك امكانية لتوظيف وتطوير خدمات النقل الذكية من خلال وضع كاميرات مراقبة حركة الزائرين داخل حدود العتبتين المقدستين والاستعانة بخدمات التطبيقات الذكية لبعض الشركات الخاصة بالنقل وتسهيل مهمة وصول العجلات لنقل الزائرين خاصة على المحاور الرئيسة المهمة مثل بوابة بغداد وطويريج والنجف.
٢. يمكن توظيف خدمات النقل الذكية لتقليل الازدحام خاصة في المحاور المهمة الرئيسة والفرعية التي يسلكها الزائرين وان تكن هناك بعض المعوقات لكن وجود احتمالات مستقبلية لخلق الفرص المثمرة لانجاح انظمة النقل الذكية .
٣. هناك مجموعة من التحديات التي تواجه تطبيق خدمات النقل الذكية منها البنية التحتية الخاصة بمدينة كربلاء ومنها الطرق الخارجية للمدينة والشوارع الداخلية لها حيث تصبح مكتضة بالزائرين اثناء زيارة الاربعين والمناسبات الدينية .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، والدراسة الميدانية، في دراسة امكانية تطبيق خدمات النقل الذكية في زيارة الاربعين .

هدف البحث :

دراسة امكانية تطبيق خدمات النقل الذكية في زيارة الاربعين لتقليل مشاكل الازحام وايجاد حلول واضحة لنقل الزائرين من الى مدينة كربلاء المقدسة، مع دراسة التحديات والمعوقات التي تواجه تطبيقها ووضع اتجاهات مستقبلية لها .

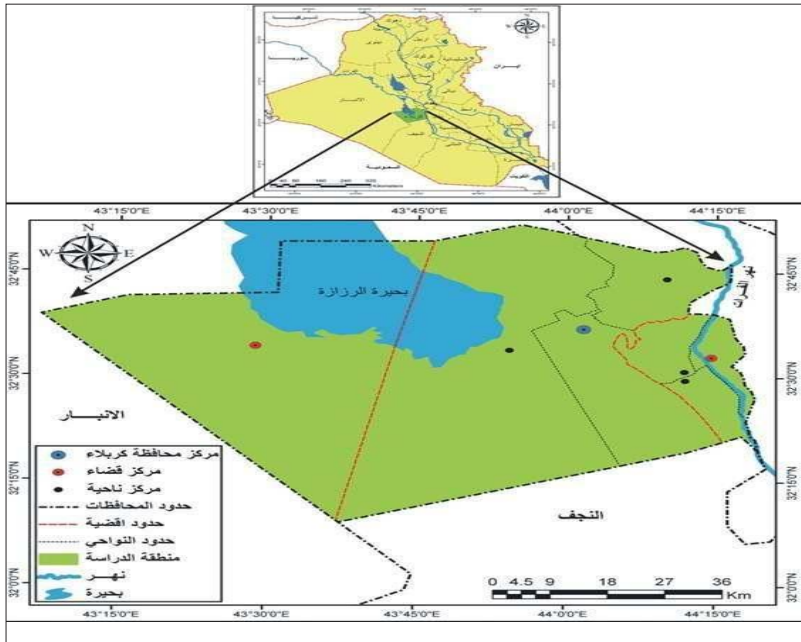
هيكلية البحث :

تطرق البحث الى ثلاث مباحث تطرق المبحث الاول الى نبذة تاريخية عن زيارة الاربعين واهم مفاهيم خدمات النقل الذكي ، كشف المبحث الثاني استخدامات التطبيقات الخاصة بأنظمة النقل الذكية في زيارة الأربعين وإمكانية تحسينها لخدمة الشعيرة المباركة، اما المبحث الثالث فقد بين التحديات والمعوقات التي تواجه تطبيق تقنية الذكاء الاصطناعي وزيارة الاربعين.

حدود البحث :

تعد الحدود المكانية لهذه الدراسة هي الحدود الادارية لمحافظة كربلاء المقدسة والواقعة ضمن محافظات الفرات الاوسط في منتصف العراق، وبالتحديد جنوب العاصمة بغداد، وشمال محافظة النجف الأشرف، وشرق محافظة الأنبار وغرب محافظة بابل، وتقع بين دائرتي عرض (٣١ و٣٢) شمال خط الاستواء وبين خطي طول (٤٣ و٤٤) شرق خط كريتش، وتتكون محافظة كربلاء المقدسة بحسب تصنف وزارة التخطيط لعام ٢٠٢١ من ٦ اقصية وهي (كربلاء المركز، والحسينية، والحر، وعين التمر، والهندية والجدول الغربي) وناحية واحدة وهي ناحية الخيرات التابعة لقضاء الهندية، وتبلغ مساحتها الكلية ٥٠٣٤ كم ٢ (وكما موضح في الخريطة ١). اما الحدود الزمانية للبحث فهي لعام ٢٠٢٤.

خريطة (١) موقع محافظة كربلاء المقدسة من العراق



المصدر: حسين سلام علي، خصائص القوى العاملة ومشاريع التنمية المكانية للعتبة الحسينية المقدسة في محافظة كربلاء المقدسة، أطروحة دكتوراه، ٢٠٢٣، ص ٣٦.

المبحث الاول

اولاً : زيارة الاربعين (البعد التاريخي والديني والجغرافي للزيارة) :

تعد زيارة الاربعين من اكبر واعظم التجمعات الدينية في العالم، حيث يتجمع ملايين الزوار من مختلف بلدان العالم الاسلامي في كربلاء المقدسة تلك المدينة التي تجتمع المحبين والموالين لسيد الشهداء ابا عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام حيث يصادف هذا اليوم الـ (٤٠) على استشهاده وعودة اهل بيته الى العراق قادمين من بلاد الشام بعد سببهم على يد قتلته ويكون ذلك في اليوم العشرين من شهر صفر الخير لعام ٦١ هـ الموافق (٦٨٠ م)، وهناك الكثير من الاحاديث التي تحت على زيارة الاربعين ولعل اشهرها حديث الامام الحسن العسكري عليه السلام (علامات المؤمن خمس (صلاة احدى وخمسين، والتختم باليمين وتعفير الجبين، وزيارة الاربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم) (الطوسي، ج ٦، ص ٥٢)، وفي حديث للامام جعفر الصادق عليه السلام (من اتى قبر الحسين عارفاً بحقه كتب الله له ثواب الف حجة والف عمرة مبرورات متقبلات والف غزوة مع نبي مرسل او امام عادل) (بن قولويه، باب ٦٨، ص ٣٣٥)، وقد كانت اول زيارة لقبر الامام الحسين عليه السلام في يوم اربعينه هي للصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري، ثم تطورت زيارة الاربعين رغم ما واجهته من قمع على يد الكثير من السلطات في العهد الاموي والعباسي وبدأت في الانتشار في القرن الرابع الهجري وتوسعت اكثر في العهد الصفوي ثم تحولت الى اكبر تجمع ديني في العالم بعد عام (٢٠٠٣م) وما زالت حتى اليوم مناراً للزائرين ورمزاً للعشق الحسيني وتجمعاً للاحرار ومواساة للنبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وللسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وفضلا عن مشاركة المحافظات العراقية في زيارة الاربعين، يشارك اكثر من (٦٠) دولة في احياء الزيارة، ومنها دول اقليمية (ايران، البحرين، لبنان، الكويت، والمنطقة الشرقية لدولة السعودية (الاحساء والقطيف)، سوريا، افغانستان، باكستان وتركيا)، ومنها دولية (بعض مناطق الهند، نيجيريا، اذربيجان، بعض من مناطق واهياء لندن التي يسكنها الشيعة، وبعض مناطق المانيا والسويد، وامريكا وكندا واستراليا) (وكالة الانباء العراقية (واع)، ٢٠٢٤).

يسلك الزائرين القادمين من الخارج عدة منافذ حدودية برية منها منفذ (الشلامجة) عن طريق ايران، ومنفذ (زرباطية)، ومنفذ (المنذرية) ومنفذ (القائم) و(سفوان)، كما يستخدم الزائرين المطارات الدولية منها (مطار النجف الاشرف) وهو الاكثر استخداما، و(مطار البصرة الدولي)، و(مطار بغداد الدولي). (مجلس الوزراء، هيئة المنافذ الحدودية العراقية).

يسلك الزائرين مجموعة من الطرق الرئيسية للوصول الى مدينة كربلاء، ومنها طريق (النجف _ كربلاء) الذي يبلغ (٨٠ كم)، وطريق (بغداد -كربلاء) يبلغ طوله (١٠٠_١٢٠) كم، وطريق (البصرة -كربلاء) وهو الاكثر طولاً من بين الطرق الرئيسية ويبلغ طوله (٥٠٠) كم. وطريق (بابل -كربلاء) وطوله (٨٠-٩٠) كم (العتبة الحسينية المقدسة، imamhussain.org).

وبحسب توثيق اعداد الزائرين بمنظومة العد الالكتروني من قبل شعبة الاتصالات في العتبة العباسية المقدسة والتوثيق التحليلي الاحصائي لباقي الخدمات في مدينة كربلاء من قبل مركز الكفيل للمعلومات والدراسات الاحصائية، فقد بلغ عدد الزائرين الذين استقبلتهم مدينة كربلاء المقدسة من يوم ١ صفر لغاية الساعة ١٢ ظهرا يوم ٢٠ صفر

وعلى اربعة مداخل رئيسة هي (بغداد - كربلاء ، نجف - كربلاء، بابل - كربلاء - حسينية - كربلاء بمسارين) بلغ عدد الزائرين في عام ٢٠١٦ (١١٢١٠٣٦٧) مليون زائر اما عدد الزائرين لعام ٢٠٢٤ فقد بلغ (٢١,٤٨٠,٥٢٥ مليون زائرا) ومن خلال زيادة هذه الاعداد يتضح ان لزيارة الاربعين اهمية خاصة وهي في تزايد مستمر مما يجب دراسة الخدمات الاكثر راحة لخدمة الزائرين وتلبية احتياجاتهم جدول (١)، صورة(١) .

جدول (١) اعداد الزائرين خلال السنوات (٢٠١٧م-٢٠٢٤م)

السنة هـ/ م	عدد الزائرين	ت
٢٠١٦/١٤٣٨	١١,٢١٠,٣٦٧	١
٢٠١٧/١٤٣٩	١٣,٨٧٤,٨١٨	٢
٢٠١٨/١٤٤٠	١٥,٣٢٢,٩٤٩	٣
٢٠١٩/١٤٤١	١٥,٢٢٩,٩٥٥	٤
٢٠٢٠/١٤٤٢	١٤,٥٥٣,٣٠٨	٥
٢٠٢١/١٤٤٣	١٦,٣٢٧,٥٤٢	٦
٢٠٢٢/١٤٤٤	٢١,١٩٨,٦٤٠	٧
٢٠٢٣/١٤٤٥	٢٢,٠١٩,١٤٦	٨
٢٠٢٤/١٤٤٦	٢١,٤٨٠,٥٢٥	

المصدر : ١. (شبكة الكفيل العالمية www.ahkafeel.net)

٢. البيان الصادر عن العتبة العباسية المقدسة ذي العدد ١٠٥٦٠ بتاريخ ٢٠ صفر ١٤٤٦ في ٢٥/٨/٢٠٢٤.

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان زيارة الاربعين لا تمثل حدثاً تاريخياً او دينياً فحسب بل لها ابعاد انسانية بمشاركة كافة المذاهب والطوائف وبعداً تربوياً ومعرفياً حيث تقام خلالها الكثير من المحاضرات الدينية والتوعوية والحوارات الفكرية في الحسينيات والموكب الحسينية والخيم الثقافية .

لذا يمكن ان تتضافر الجهود في تحسين تلك الزيارة المباركة وادارة حشود الزائرين كما ينبغي ان تكون لتلائم مع حجم الزيارة مثل خدمات الذكاء الاصطناعي وخدمات النقل الذكية ويمكن ان يدخل المجال الصحي وهو الاعم في الزيارة من خلال العيادات المتنقلة المدعومة بالذكاء الاصطناعي وتطبيقات الاسعاف الطارئة وغيرها من التطبيقات التي من شأنها انجاح الزيارة .

صورة (١) صورة جوية للعتبتين المقدستين (الحسينية والعباسية) في ايام زيارة الاربعين



المصدر : العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٤.

ثانياً : النقل الذكي، ظهوره، تقنياته، اهدافه، اهميته في ادارة الحشود (مفاهيم عامة) :

بدأ ظهور النقل الذكي كاستجابة للتحديات المتزايدة التي تواجه خدمات النقل التقليدية، مثل الازدحام المروري، زيادة اعداد السكان، زيادة حركة السيارات، تكديس سيارات النقل في اماكن معينة غير منظمة، والحاجة الى كفاءة اكبر وسلامة افضل .

ويقصد بالنقل الذكي : تلك النظم التي تعتمد على استخدام تقنيات الحاسب الالى والالكترونيات والاتصالات بغية الحصول على معلومات تتعلق بمرافق النقل والطقس والظروف الجوية ومجابهة التحديات التي تواجه الافراد اثناء النقل البري الامر الذي يساهم بتحسين الحركة العامة .(سماح وصباح، ٢٠٢٤، ص٧).

استقطبت خدمات النقل الذكي قدر كبير من الاهتمام من قبل المتخصصين وصناع القرار بهدف تحسين حركة المركبات ولجعل حركة النقل اكثر اماناً واستدامة وفعالية، ان تقنيات النقل الذكي تعتمد بصورة مباشرة على الاتصالات اللاسلكية والتقنيات الحاسوبية والبرمجية واكتشاف المركبات عن طريق الكاميرات، وهناك جملة من التطبيقات تسمح للمستخدمين بطلب سيارات الاجرة ودفع التكاليف الكترونياً عن طريق البطاقات الالكترونية المعتمدة، كما تشمل ايضا الرادارات التي تكشف سرعة السيارات، واشارات مرورية ذكية خاصة في حالة وجود ازدحام شديد في منطقة معينة حيث يمكن لها تسهيل عبور المشاة وتقليل حوادث الاصطدام، وهناك بعض التطبيقات التي تعد من اهم الاستخدامات في مجال النقل الذكي وهي تطبيقات حالة الطقس المتوقعة مثل الامطار والعواصف الترابية ودرجات الحرارة اثناء اليوم . صورة (٢) .

المبحث الثاني :

خدمات النقل والتقنيات الذكية المستخدمة في مدينة كربلاء المقدسة (دراسة حول الخدمات في زيارة الاربين)

١. خدمات النقل التي توفرها العتبتين المقدستين اثناء زيارة الاربين : حيث توفر العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية النقل المجاني للزوار في زيارة الاربين داخل مدينة كربلاء المقدسة وخارجها ومنها :

١-١ . حافلات واليات حديثة لنقل الزائرين مجاناً وعلى مدار ٢٤ ساعة ويتم توزيعها على محاور رئيسة (بابل -النجف -بغداد) من القطوعات الامنية الى داخل كربلاء او من القطوعات الامنية الى خارجها ويتم ذلك بالتنسيق مع وزارة النقل والجهات المعنية .صورة (٣)

صورة (٣) السيارات الخاصة بنقل الزائرين مجاناً تابعة للعتبة الحسينية المقدسة



المصدر : العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٤.

يتم نقل الزائرين بهذه الحافلات من المنافذ الحدودية (زرباطية والشيب ومنفذ المنذرية) الى مدينة كربلاء المقدسة، كما يتم النقل بين المحافظات (بغداد، البصرة، النجف، بابل) ايضاً يتم تقسيم العمل بهذه الحافلات في وقت الذروة وبعد انتهاء الزيارة، ايضاً خصصت العتبة الحسينية حافلات نقل مجانية لنقل الزائرين الى مطار النجف الاشرف، يمكن توظيف هذه الحافلات بشكل اكبر حين تتوفر لها مرائب خاصة .

١-٢. السيارات الكهربائية: وهي عربات مخصصة لنقل كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة بين الحرمين الشريفين او من القطوعات الامنية واماكن التفتيش الى العتبة العباسية ومن مقام صاحب الزمان الى العتبتين المقدستين وتعمل على تقليل الازدحام بشكل كبير وتسهيل تنقل الزائرين، قلت في الاونة الاخيرة بدرجة كبيرة الا انها ما زالت تشكل وسيلة مهمة للتنقل .صورة (٤).

صورة (٤) السيارات الكهربائية التابعة للعتبة الحسينية المقدسة



المصدر : العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٤.

يمكن تطوير سيارات الشحن الكهربائية وتوظيفها بشكل أكبر دعماً للنقل الذكي داخل مدينة كربلاء المقدسة من خلال زيادة أعدادها وتوفير نقاط شحن كهربائية ويمكن تدريب مجموعة من المهندسين لصيانتها ويمكن دمجها بشكل رئيس في خطة النقل الذكي لزيارة الأربعين، إذ أنها لا تصدر ضوضاء عالية وتحافظ على بيئة نظيفة خاصة داخل مدينة كربلاء المقدسة ومناسبة بشكل كبير للاماكن المزدحمة .

٣-١ . لوحات الدلالة والشاشات الالكترونية : تستخدم العتبتين المقدستين لوحات مرورية داخل شوارع المدينة من شأنها تسهيل مهمة الزائرين في اتخاذ الشارع المناسب وبالتالي تقليل الازدحام والزخم في مكان واحد ومثل هذه اللوحات تحمل اسماء الشوارع مثل شارع السدة وشارع صاحب الزمان والشوارع الاخرى المحيطة بالخرمين الشريفين، كما ان هناك علامات دلالة على اماكن تواجد سيارات الشحن الكهربائية .

٤-١ . كاميرات المراقبة والبرامج الذكية ومنها برنامج كشف الوجوه احد التقنيات الذكية توجد فيه سيرفر مسؤول عن خوارزمية الوجه يكشف ابعاد ملامح الوجه ، كما يوفر خدمة كشف الاشخاص الذين يترددون بصورة كبيرة على مكان معين خاصة اذا كان المكان حساس امنيا وايضا فيه ميزة التتبع ويوفر خدمة كشف مسار الاشخاص من اول دخوله للمكان الموجودة فيه الكاميرات الخاصة بالعتبة الحسينية والموزعة على محيط العتبة والمدينة القديمة (مقابلة شخصية مع قسم حفظ النظام، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٢٤)، ويمكن استثمار هذه الكاميرات والبرامج في استخدام النقل الذكي وخاصة النقل بالسيارات الكهربائية حيث من خلالها يتم الكشف عن الازدحامات ومكان تكديس الزائرين مما يمكن ان يستدعي توفر

السيارات الكهربائية لنقلهم داخل او خارج المدينة، وايضا تستخدم العتبة الحسينية المقدسة كاميرات كشف ارقام السيارات تقرأ ابعاد لوحات السيارة والارقام العربية والانكليزية وتدعم اللوحات العراقية، وتكشف السيارات المطلوبة . (قسم حفظ النظام في العتبة الحسينية المقدسة،شعبة المراقبة الالكترونية، ٢٠٢٤).

١-٥ . توفر العتبة الحسينية المقدسة ورش صيانة متنقلة لمعالجة اي خلل او عطل يحدث في العجلات المخصصة لنقل الزائرين، كما وفرت العتبتين المقدستين محطات انتظار منظمة ومظللة للحافلات والسيارات لكهربائية في نقاط التجمع الرئيسة مع وجود مقاعد للجلوس .

١-٦ . مطار كربلاء الدولي :من المشاريع الرائدة والمهمة والتنمية التي اقامتها العتبة الحسينية المقدسة ويقع على الطريق الرابط بين(كربلاء_النجف) بمساحة ١٨٠٠٠ دونم، تبلغ طاقته الاستيعابية (٢٠) مليون زائر . (حسين سلام، مصدر سابق،ص٢٩٧).

يمكن توظيف مطار كربلاء الدولي في المستقبل القريب ضمن خدمات النقل الذكية لنقل الزائرين في زيارة الاربعين مع وجود نظام حجز الكتروني ومعرفة مواعيد الطيران بالتالي هو يخدم بصورة كبيرة اعداد الزائرين القادمين من خارج العراق والمشاركين في هذه الزيارة المليونية .

٢ . التطبيقات الذكية المتوفرة في مدينة كربلاء المقدسة ومنها تطبيقات حجز السيارات التي تتيح للمستخدمين طلب سيارات الاجرة بسهولة عبر الهواتف الذكية ومنها تطبيق (امين تكسي) وهو اول تطبيق ذكي استخدم في مدينة كربلاء المقدسة ويوفر السيارات مع امكانية تتبع السائق لحظة بلحظة واختيار نوع السيارة ويتم الدفع عبر المحفظة الالكترونية .

اما التطبيق الثاني فهو (بلي Baly) وهو من التطبيقات الرائدة في العراق بصورة عامة وقد بدأ بتوفير خدماته في عام ٢٠٢٣ في مدينة كربلاء المقدسة ويوفر سيارات اجرة مع خدمة توصيل الطعام ايضا ويوفر اسعارا تنافسية ومنخفضة بنسبة ٥٠٪ لاجرة النقل .

اما التطبيق الثالث فهو تطبيق (كريم) وهو من اشهر التطبيقات الذكية في العراق واكثرها امانا وسرعة وثقة، يوفر حجز سيارات اجرة للتنقل بسهولة .

اما تطبيق (تكسي زين) فهو يعمل في بغداد والنجف وكربلاء والبصرة ويوفر خدمة حجز سيارات الاجرة بكل سهولة مما يسهل على الزائرين القادمين من هذه المحافظات استخدامه .

وايضا تطبيق (التكسي الوطني) الذي يوفر ايضا حجز سيارات وهي مجهزة بشكل جيد ويتخذ اعلى معايير الامن والسلامة .

يمكن للزائر تحميل هذه التطبيقات من المتاجر الالكترونية الموجودة على الهواتف الذكية وتوظيف تلك التطبيقات عند الحاجة لها في نقل الزائرين من مدينة كربلاء المقدسة الى المحافظات التي تدعم تلك التطبيقات وبالعكس، يمكن ايضا الاعلان عنها اثناء فترة الزيارة وبالتالي تشكل حلقة مهمة من حلقات خدمات النقل الذكية، تحتاج هذه التطبيقات الى وجود خدمة الانترنت عند طلبها .

٣. خدمات النقل الذكية التي توفرها الحكومة المحلية في كربلاء المقدسة
٣-١. تطبيق اشارات المرور الذكية التي اعلنت عنها الحكومة المحلية في كربلاء
من خلال نصب منظومة رادارات في الطرق الرئيسية (كربلاء_بغداد) و(كربلاء_النجف) فضلا عن الشوارع الداخلية للمدينة، وتستخدم هذه المنظومة لرصد الكثافة المرورية العالية مع رصد المخالفات والسرعة الزائدة وتجاوز الاشارات المرورية، بالتالي فانها تقلل الزخم المروري وايضا تمنع الحوادث المرورية قدر الامكان، صورة (٥) وايضا هناك منظومة رادارات في طريق (بابل_كربلاء) الا انها غير مفعلة وذلك لعدم استحصال الموافقات الرسمية من قبل دائرة المرور العامة .

٣-٢. الاشارات المرورية التي تعمل بالطاقة الشمسية حيث تم نصب العديد منها في الشوارع الداخلية للمدينة والطرق الرئيسية باستثناء بعض التقاطعات التي فيها مشاريع لبناء الجسور في المدينة .

ان توظيف هذه الخدمات من قبل حكومة كربلاء المحلية من شأنه تقليل السرعة الزائدة في الطرق الرئيسية وبالتالي تقليل التعرض للحوادث المرورية خاصة عند مشي الزائرين الى مدينة كربلاء المقدسة اثناء زيارة الاربعين رغم ان الزائرين يسلكون طريق يا حسين الا ان الطريق يعد ملاصقا لطرق السيارات الرئيس بالتالي توفير تلك الخدمات يقلل بشكل كبير تعرض الزائرين لاي حدث لاسمح الله .

صورة (٥) انشاء منظومة الرادارات في الطرق الرئيسية في مدينة كربلاء المقدسة



المصدر : وكالة كربلاء الدولية، ٢٠٢٥.

٣-٣. كاميرات المراقبة الذكية: اعلنت قيادة شرطة محافظة كربلاء عن نصب (٦٠٠) كاميرا في (١٠٣) موقع داخل مدينة كربلاء بما فيها الشوارع الرئيسية والطرق المهمة والتقاطعات والسيطرات الخارجية وهدفها التعرف على وجوه الاشخاص المطلوبين ولوحات المركبات (شبكة اخبار العراق، ٢٠٢١)، وهذا يعكس الاهتمام بتحسين البنية التحتية وتعزيز سلامة الزائرين وانجاح مواسم الزيارة .

٣-٤. تطبيق حكومة كربلاء الذكية: تم إطلاقه بعد سنوات من العمل على قاعدة بيانات ضخمة تضم جميع الدوائر الحكومية. يهدف إلى تحسين الخدمات المقدمة للمواطنين وتسهيل الوصول الى مدينة كربلاء، وتم تطوير تطبيقات ذكية

لتحسين تجربة المواطنين وتسهيل التواصل مع الحكومة، ويعد تطبيق كربلاء الذكية تطبيق تفاعلي يمكن المواطن من التواصل مع الحكومة العراقية، يوفر تطبيق كربلاء الذكية امكانية تقديم الطلبات والشكاوى و يسمح للزوار بالتواصل مع مختلف الجهات الحكومية في المحافظة. يعمل التطبيق على نقل صوت المواطنين والزوار من خلال التطبيق إلى جميع الدوائر الحكومية.

واشارة الى ما تقدم يمكن بأن تتظافر الجهود للعتبتين المقدستين مع حكومة كربلاء المحلية بالتنسيق مع ادارة التطبيقات الذكية في توفير خدمات النقل الذكي وبانسيابية عالية جدا نظراً لتوفر الكثير من المقومات الاساسية لانجاحها وجعل زيارة الاربعين حدثاً مهماً تتوفر فيه كافة وسائل الراحة والتكنولوجيا والسلامة .

المبحث الثالث

اولاً : التحديات التي تواجه تطبيق خدمات النقل الذكية في زيارة الاربعين :

كما ذكرنا سابقاً ان اهمية دراسة النقل الذكي يكمن في تطوير استراتيجية مستدامة لادارة النقل في الزيارات المليونية، وتمثل زيارة الاربعين ظاهرة دينية مهمة تتطلب رؤية جغرافية ذكية لتطبيق خدمات النقل الذكية على الواقع، ان من اهم المشكلات التي تواجه قطاع النقل في العراق هي مشكلة الازدحام المروري وعدم تنظيم مواقف للسيارات وطول الاستجابة لحالات الطوارئ، وزيادة الحوادث المرورية وارتفاع نسبة التلوث، كما ان الاجهزة الخاصة بالنقل الذكي متوفر بصورة جزئية ومنها كاميرات المراقبة .

وتواجه مدينة كربلاء المقدسة مجموعة من التحديات التي من شأنها تأخير عملية تطبيق خدمات النقل الذكية بصورة جيدة وانسيابية عالية ومن جملة التحديات هي :

١. ضخامة اعداد الزائرين وتوزيعهم العشوائي وغير المنظم، كما يشمل ذلك التدفق الهائل الذي لا يمكن التنبؤ به، كما ان حركة الزائرين داخل المدينة لا يمكن تحديدها بدقة عالية .

٢. البنية التحتية الخاصة بالمدينة حيث لا يمكن لشبكة الطرق حاليا دعم تطبيقات النقل الذكية في كثير من الاحيان وجعلها اكثر كفاءة خاصة ايام الزيارة .

٣. انقطاع خدمة الانترنت احيانا مما يعرقل عمل التطبيقات والانظمة الذكية .
٤. التحديات الامنية التي تواجه زيارة الاربعةين .

٥. تتطلب تطبيق خدمات النقل الذكية تضافر الجهود والتنسيق بين عمل العتبتين المقدستين والجهات الحكومية المحلية والامنية .

٦. توعية الزائرين بالتطبيقات الخاصة بالنقل عن طريق اللوحات الاعلانية والشاشات ومساعدتهم على استخدام التطبيقات الذكية .

٧. الظروف البيئية مثل ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف والعواصف الترابية حيث تؤثر بطريقة او باخرى على عمل بعض التقنيات والمعدات .

٨. التكلفة العالية للاجهزة الذكية كالكاميرات والرادارات واجهزة الاستشعار عن بعد وامكانية تحملها لارتفاع وانخفاض درجاتن الحرارة لذا يجب ان تكون من مناشئ عالمية رصينة .

٩. التحديات اللوجستية الخاصة بنصب وصيانة الاجهزة الذكية خاصة في المناطق المزدهمة .

١٠. عجز بعض شركات الاتصالات على تلبية متطلبات العملاء .

ثانياً: مقترح لإنشاء مكتب ومرآب لتقديم خدمات النقل الذكية في مدينة كربلاء :

هناك عدة اماكن من الجيد اختيارها لانشاء مكتب حجوزات ذكية ومرآب للنقل الذكي في مدينة كربلاء المقدسة تخدم الزائرين طوال العام وخاصة في ايام زيارة الاربعةين حيث يبدأ توفد الزائرين لكربلاء المقدسة من اليوم العاشر لشهر صفر الخير حتى يوم ٢٣ من الشهر نفسه .

تقترح الباحثان اقامة مرآب ومكتب لتقديم خدمات النقل الذكية في منطقة باب بغداد الذي يعد من اهم المداخل الرئيسة للمدينة خاصة مع وجود اراضي يمكن استثمارها للنقل، او في منطقة الابراهيمية او الحر والتي تمثل الاطراف الغربية لمدينة كربلاء وايضاً يمكن ان يكون مركزاً للصيانة بسبب بعده عن مركز المدينة، او منطقة باب طويريج تخدم الزائرين القادمين من شرق كربلاء ويكون مكانه في شارع ميثم التمار بسبب توفر الاراضي المناسبة لانشاء مكتب ومرآب لخدمات النقل الذكية .

وسنركز على اقامة مشروع للنقل الذكي في شارع ميثم التمار صورة (٦)، ويمثل احد اهم الشوارع في مدينة كربلاء المقدسة طول العام وتبرز اهميته في زيارة الاربعةين السنوية، فضلا عن قربه من مداخل المدينة الرئيسة (باب طويريج وباب بغداد) وايضا يخدم الطرق الفرعية مثل طريق (الحسينية- كربلاء)، كما انه يعد

شارعاً حيويًا يتوافد إليه الكثير من الزائرين الأجانب لوجود حسينيّاتهم ومواكبهم في تلك المنطقة، وايضاً وجود المواكب الخدمية التي تقدم للزائرين الطعام والشراب والمنام، فضلاً عن ذلك هو قربه من مرقد الامام الحسين واخيه ابي الفضل العباس (عليه السلام).

ان اهداف اقامة مثل هذا المشروع هو امكانية تقديم خدمات نقل للزائرين خاصة بعد انتهاء الزيارة والعودة الى ديارهم وبالتالي يقتضي تعاون العتبتين المقدستين مع الحكومة المحلية وبالتالي استحصال موافقات لاقامة مثل هذه المشاريع الرائدة وايضا التعاون مع ادارة مطار كربلاء الدولي ومطار النجف وبغداد والبصرة لتسهيل الحجوزات للزائرين، وايضا توفير سيارات الشحن الكهربائية التي تسهل نقل الزائرين داخل المدينة مع تخصيص شارع لسيرها بانسيابية، ايضا يمكن التعاون مع ادارة الشركات الخاصة بالتوصيل وادارة التطبيقات الذكية لتوفير وسائل نقل للزائرين بصورة جيدة وتخفيف الازدحام الحاصل خاصة عند انتهاء موسم الزيارة، ويمكن انشاء تطبيق خاص لهذا الغرض ايضاً.

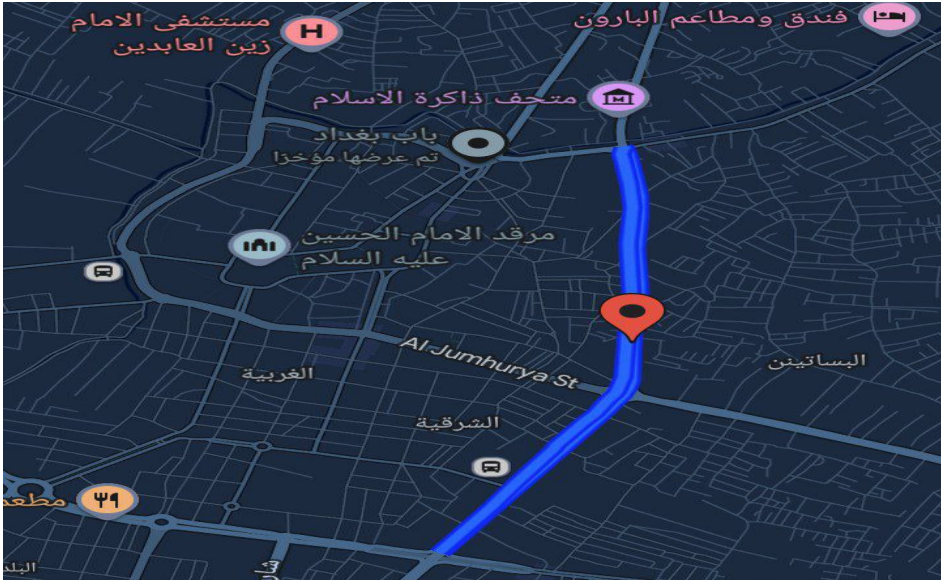
يمكن ان يوفر المبنى الاداري مركز مراقبة بالكاميرات ونظام حجز الكتروني ودفع الكتروني عبر التطبيقات الذكية وشاشات ذكية توضح اوقات الوصول والغادرة والعجلات المتوفرة ويمكن اعتماد الطاقة الشمسية للاضاءة وتشغيل شاشات ولوحات المعلومات، ويوفر المرآب نقاط شحن للسيارات الكهربائية مع ورشة صيانة صغيرة وممرات لدخول وخروج العجلات .

ويمكن ان يكون هذا المشروع بوابة التوسع الى محاور اضافية في مدينة كربلاء المقدسة .

كما يمكن ان يكون مرآب كربلاء الذي يقع شرق المدينة والمجهز بمجموعة من الطوابق وباحدث الخدمات ان يكون مشروعا مهما لتقديم خدمات النقل الذكي اذا ما حلت مشكلة الوصول اليه خاصة انه ذات مساحة كبيرة ويقع على طريق رئيسي هو طريق (كربلاء_بابل).

يمكن الاستفادة من التجارب العالمية لخدمات النقل الذكية مثل تجربة مدينة دبي وتجربة سنغافورة وتطبيقها في مدينة كربلاء المقدسة، كما ان دعم تلك المشاريع يسهخم بالفائدة للمدينة وبالتالي التهيئة لمشاريع اخرى تقدم تلك الخدمات وبجودة افضل وهي خطوة حاسمة لمعالجة مشاكل النقل المتراكمة خاصة بعد التزايد المستمر للزائرين ليس فقط في زيارة الاربعين بل في مناسبات اخرى مثل زيارة يوم عرفة واول ايام العيدين والزيارة الشعبانية.

صورة (٦) مرئية فضائية لموقع شارع ميشم التمار في مدينة كربلاء المقدسة



المصدر : www.googlemap.com

١. وبحسب توثيق اعداد الزائرين بمنظومة العدالالكتروني من قبل شعبة الاتصالات في العتبة العباسية المقدسة والتوثيق التحليلي الاحصائي لباقي الخدمات في مدينة كربلاء من قبل مركز الكفيل للمعلومات والدراسات الاحصائية فقد بلغ عدد الزائرين لعام ٢٠٢٤ (٢١,٤٨٠,٥٢٥ مليون زائرا).
٢. ان تقنيات النقل الذكي تعتمد بصورة مباشرة على الاتصالات اللاسلكية والتقنيات الحاسوبية والبرمجية واكتشاف المركبات عن طريق الكاميرات، وهناك جملة من التطبيقات تسمح للمستخدمين بطلب سيارات الاجرة ودفع التكاليف الكترونيا عن طريق البطاقات الالكترونية المعتمدة.
٣. توفر العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية النقل المجاني للزوار في زيارة الاربعين داخل مدينة كربلاء المقدسة وخارجها ومنها حافلات واليات حديثة لنقل الزائرين مجانا وعلى مدار ٢٤ ساعة وايضا الكاميرات الالكترونية والشاشات الذكية واهمها مطار كربلاء الدولي .
٤. توفر الحكومة المحلية خدمات النقل الذكية في كربلاء المقدسة ومنها اشارات المرور الذكية ومنظومة الرادارات وتطبيق كربلاء الذكية
٥. تواجه مدينة كربلاء المقدسة مجموعة من التحديات التي من شأنها تأخير عملية تطبيق خدمات النقل الذكية بصورة جيدة وانسيابية عالية.
٦. اقترحت الباحثان اقامة مرآب للنقل الذكي في شارع ميثم التمار وهو يمثل احد اهم الشوارع في مدينة كربلاء المقدسة طول العام وتبرز اهميته في زيارة الاربعين السنوية، فضلا عن قربه من مداخل المدينة الرئيسة (باب طويريج وباب بغداد) وايضا يخدم الطرق الفرعية مثل طريق (الحسينية- كربلاء).

المصادر:

١. المصدر: حسين سلام علي، خصائص القوى العاملة ومشاريع التنمية المكانية للعتبة الحسينية المقدسة في محافظة كربلاء المقدسة، أطروحة دكتوراه، ٢٠٢٣، ص ٣٦.
٢. ابو جعفر محمد الطوسي، تهذيب الاحكام، الجزء السادس، رقم الحديث (٤٣)، ص ٥٢.
٣. جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، المطبعة المباركة المرتضوية، ١٣٥٦ هـ، الباب ٦٨، ص ٣٣٥.
٤. وكالة الانباء العراقية (واع)، ٢٠٢٤.
٥. مجلس الوزراء، هيئة المنافذ الحدودية العراقية، ٢٠٢٤.
٦. العتبة الحسينية المقدسة، imamhussain.org.
٧. شبكة الكفيل العالمية www.ahkafeel.net.
٨. البيان الصادر عن العتبة العباسية المقدسة ذي العدد ١٠٥٦٠ بتاريخ ٢٠ صفر ١٤٤٦ في ٢٥/٨/٢٠٢٤.
٩. سماح، صباح علوان، انظمة النقل الذكية وامكانية تطبيقها في العراق، كلية التربية، جامعة بغداد، مجلة اكليل للدراسات الانسانية، المجلد ٥، العدد (٢)، ٢٠٢٤، ص ٧.
١٠. مكتب الاتصالات الراديوية، انظمة النقل الذكية (الاتصالات المتنقلة البرية)، المجلد ٤، جنيف/ سويسرا، ٢٠٢١، ص ٣.
١١. وليد صيداوي، حسان عيسى، نظام النقل الذكي كخاصية من خصائص التخطيط الذكي، مجلة جامعة طرطوس، سلسلة البحوث الهندسية، مجلد (٧)، العدد (١٠)، ٢٠٢٣، ص ٩٦.
١٢. www.googlemap.com.
١٣. قسم حفظ النظام في العتبة الحسينية المقدسة، شعبة المراقبة الالكترونية، ٢٠٢٤.
١٤. وكالة كربلاء الدولية، ٢٠٢٥.
١٥. شبكة اخبار العراق، ٢٠٢١.

زيارة الأربعين
وتحديات الحرب الناعمة الآليات وسبل المواجهة

م.م. خديجة (ندا) شاه محمدي

جامعة الشهيد بهشتي-طهران - ايران

Nedashahmohammadi2019@gmail.com

م. أقسام شاكر ناصر

معهد التضامن للعلوم الإسلامية

hhuu66@yahoo.com

الملخص

هناك حركة اعلامية ممنهجة تتخذ من بعض وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وسيلة لها لتمرير مآربها السياسية، واهدافها العدوانية، ونزعاتها الشخصية، والتشويش على هذه المسيرة الحضارية المليونية، وهذا المشروع الحسيني السامي الذي أسس اركانه الإمام الحسين عليه السلام بدمائه الطاهرة، وبذل فيه مهجته المقدسة، وضحي لأجله بإخوته وأولاده وخيرة أصحابه، وهذه الحملات مدفوعة بعوامل الكراهية والجهل والأنانية، والرياء، ومن هنا جاء هدف البحث لبيان طبيعة الحرب الناعمة الموجهة لهذه الشعيرة المقدسة وبيان ادواتها وسبل مواجهتها، وتمثل مشكلة البحث بسؤال رئيس مفاده: ماهي اساليب الحرب الناعمة في زيارة الأربعين؟ وماهي اهدافها وسبل التصدي لها؟ ولتحقيق هذا الهدف تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، ولم يغفل البحث الأسلوب الكمي والدراسة الميدانية التي كانت حاضرة ضمن اساليب البحث، وخرج البحث بجملته من التوصيات أبرزها: ضرورة ان تكون طبيعة تعامل المؤمنين مع مشروع اربعينية الإمام الحسين عليه السلام ، بمستوى عالٍ من الوعي والادراك يتناسب مع قدسية هذه القضية ، لان الحرب الموجهة ضد الشعائر الحسينية ليست جديدة لكنها بدأت تنشط خلال السنوات الماضية من خلال نشر الشائعات والتدليس والتحريض لبث الشك وصناعة رأي عام .

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، سبل المواجهة، الحرب الناعمة

Arbaeen Ziara and the Challenges of Soft Warfare Mechanisms and Ways of Confrontation

Asst.Lect.Khadija (Nada) Shah Mohammadi

Shahid Beheshti University - Tehran_ Iran

Lect. Aqşam Shaker Nasser

Altadamun InstituteAbstract_ Iraq

Abstract

There is a systematic media movement that uses some media outlets and social networking sites as a means to pass its political goals, aggressive objectives and personal tendencies, and to disrupt this million-person civilizational march, and this lofty Hussein project whose pillars were established by Imam Hussein, peace be upon him, with his pure blood, and in which he sacrificed his sacred soul, and for which he sacrificed his brothers, children and the best of his companions. These campaigns are driven by factors of hatred, ignorance, selfishness and hypocrisy. Hence, the aim of the research came to show the nature of the soft war directed at this sacred ritual and to clarify its tools and ways to confront it. The research problem is represented by a main question: What are the methods of soft warfare in the Arbaeen Pilgrimage? What are its goals and ways to confront it? To achieve this goal, the descriptive analytical approach was relied upon. The research did not neglect the quantitative method and field study that were present within the research methods. The research came out with a set of recommendations, the most prominent of which are: The necessity for the nature of the believers' dealings with the project of the Arbaeen of Imam Hussein (peace be upon him) to be at a high level of awareness and understanding that is commensurate with the sanctity of this issue, because the war directed against the Hussein rituals is not new, but it has begun to become active during the past years through the spread of rumors, deception, and incitement to spread doubt and create public.

Keywords: The Arbaeen Ziara, ways of confrontation, soft war.

المقدمة

تمثل الحرب الناعمة شكلاً جديداً من أشكال الحروب الشيطانية التي تتم باستخدام أساليب خبيثة وغير محسوسة، وصولاً إلى تحقيق الهدف بعد تفكيك وتقويض مكامن القوة، وأهم آليات هذه الحرب هي وسائل الإعلام التي باتت تمتلك قدرة تدميرية هائلة من خلال بث الفرقة والتشكيك، ومن هنا فإن أهم سبل مواجهة هذا الهجوم هو حفظ وتقوية البصيرة والروح التعبوية والمعنوية والتحصين الفكري والعقائدي، ولاشك أن الشباب هم الشريحة المهمة التي تستهدفها الحرب الناعمة لانهم الثروة الحقيقية للأمة، بل هم مستقبلها وفعاليتها. اما سبب استهداف زيارة اربعين الإمام الحسين (عليه السلام)، فهذا التجمع المبارك يشكل أحد أهم مرتكزات القوة الحقيقية للأمة، ولأنها تكشف حجم التضحية التي قدمها سيد الشهداء واهل بيته (عليهم السلام)، فضلاً عن كونها ثورة للإصلاح الحقيقي ومحاربة الظلم والطغيان، وعليه فإن استهدافها ومحاوله تفكيكها، وبث الاشاعات حولها هو أحد الأولويات الدائمة والمستمرة للعدو، والتي تظهر بعناوين مختلفة واشكال متعددة.

مشكلة البحث وتساؤلاتها

تتمثل المشكلة الرئيسة للبحث بسؤال مفاده: ماهي حالات رصد مؤشرات الحرب الناعمة في زيارة الأربعين؟ وما هي الاساليب المتبعة فيها؟ ومن الطبيعي ان تتفرع من المشكلة الرئيسة جملة من المشاكل الثانوية التي لا تتعارض معها وهي:

١. لماذا استهداف زيارة الأربعين؟
٢. ما المقصود بالحرب الناعمة؟ وماهي اساليبها وخصائصها؟
٣. ماهي سبل مواجهة الحرب الناعمة؟
٤. وماهي أكثر الفئات المستهدفة من الحرب الناعمة؟ وماهي سبل نشر آليات التحصين الفكري؟ .

فرضية البحث

انطلقت الدراسة من فرضية مفادها: أن هناك استهداف كبير للزيارة الأربعينية باستخدام آليات الحرب الناعمة، لان زيارة الأربعين تمثل هوية مذهب أهل البيت \llcorner ، وتجمع مليوني شيع الخشية والقلق في نفوس المغرضين.

منهج البحث

المنهج هو الأسلوب والطريق المعتمد في اثبات فرضية البحث واستخلاص نتائجه، وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، فالوصف هو نقطة الانطلاق في العلوم الإنسانية ولا غنى للباحث عنه، في حين يأتي التحليل ليلور النتائج وفقاً لمعطيات البحث (الزيادي: ٢٠١٩، ص ١٧) ، والمنهج التحليلي يهدف الى تحليل الموضوع في جوانبه المختلفة واستخلاص النتائج في ضوء المعطيات التي يتم عرضها، ولم يغفل البحث المنهج التاريخي بهدف الكشف عن بداية ظهور مفهوم الحرب الناعمة وسبل توظيفها، ثم تتبع تطور الاهتمام بها حتى وقتنا الحاضر.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تكمن أهمية دراسة تحديات الحرب الناعمة في زيارة الأربعين الى الآتي:

١. الحاجة الى معرفة التحديات المعاصرة التي تواجه زيارة الأربعين.
٢. استجابة لمشاهدات ونتائج ومعطيات برزت خلال الآونة الاخيرة تؤكد ان هناك تيارات فكرية تحاول النيل من هذا التجمع الإيماني.
٣. تسهم نتائج هذا البحث في فتح آفاق جديدة أمام الباحثين للقيام ببحوث مستقبلية في مجال دراسات الحرب الناعمة وسبل التصدي لها.
٤. بيان معنى الحرب الناعمة والتطور التاريخي لها وسبل مواجهتها.
٥. التعرف على أنواع التيارات الفكرية المنحرفة وخطورتها على الأمن الفكري.

مفهوم الحرب الناعمة

الحرب الناعمة هو مفهوم حديث النشأة ظهر في أوائل تسعينيات القرن الماضي من خلال مقالة لاحد أساتذة العلوم السياسية (جوزيف ناي) حملت عنوان (القوة الناعمة) ثم توالى كتاباته التي بينت دعائم هذه المقولة وأسسها ووسائلها وجدواها الاقتصادية (معوض، ٢٠١٩، ص ١١-١٢)، وقد بين ناي أدوات الحرب الناعمة (hard ware) التي تهدف إلى تحطيم الحواجز الثقافية بين المجتمعات وهيمنة الثقافة الاقوى وهي في نظره الثقافة الامريكية واطهارها للعالم بوصفها الاقوى والاصح على تحقيق رفاهية الانسان لأنها تنادي بالتطور التكنولوجي والمعلوماتي باستخدام وسائل الإعلام والتي يقضي اغلب الناس اوقاتهم في مشاهدتها وتتبعها.

نعني بالحرب الناعمة القدرة على الحصول على ما نرغب من خلال الجاذبية وليس القوة والإرغام، بمعنى اخر هي القدرة على التأثير في سلوك المتلقين للحصول على الأهداف المرجوة بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للوسائل الصلبة سواء الاساليب العسكرية او القوة، وهذا ما حصل مع العديد من الدول حيث تم نخرها من الداخل، لأن القوة لا تصلح الا في مواضع محددة (مركز قيم للدراسات، ٢٠١١، ص ١٢)، وربما تستعمل الحرب الناعمة لضرب مجموعة من القيم والتشكيك في صحتها وهي امور لا تستطيع القوة الصلبة تحقيقها، وترتكز القوة الناعمة على كل المؤثرات الإعلامية والثقافية والتجارية والعلاقات العامة، وكل مورد لا يدخل ضمن القدرات العسكرية المصنفة ضمن القوة الصلبة. (جوزيف ناي، ٢٠٧، ص ٢٠).

الفرق بين الحرب الناعمة والحرب النفسية والدعاية

الحرب النفسية هي الأعمال التي يسعى من خلالها البعض على التأثير على الاشخاص بما فيهم القيادات العسكرية والساسة والاقتصاديين وغيرهم بهدف خدمة غرض معين وهدف محدد، أي انها شن هجوم مبرمج على نفسية الاخر ومشاعره ودوافعه سواء كان العدو فرد أو جماعة بهدف احداث الوهن والضعف والارتباك وجعله فريسة سهلة لمخططات وأهداف الجهة ذات العلاقة (نوفل، ١٩٨٩، ص ٣٤) ، أما وسائل الحرب النفسية فتتمثل ببث الاشاعات والقلق والتشكيك والخداع واقتعال الازمات والتقليل من زخم الاحداث واثارة المشاكل فضلاً عن اشاعة الطائفية والنعرات القومية والدينية والمناطقية وغيرها، وهذه الاساليب هي نفسها المستعملة في الحرب الناعمة لكن هنا يتم دخول المعترك من قبل الجهات التي تبث هذه الاساليب والدخول هنا يكون بصفة المصلح بمعنى اخر ان الحرب الناعمة هي خطوة متقدمة وذكية في مجال الحرب النفسية والدعاية، والاختلاف الاخر ان الحرب الناعمة تقدم حلول ملائمة للمشاعر ومعالجات تدغدغ الاحلام، وتعطي كل فئة سكانية احتياجاتها بناءً على ما تتطلبه المرحلة العمرية والنوع فللنساء نصيبهن وللشباب نصيبهم وكذلك للأطفال وكبار السن فهناك نتاج تطور نوعي وكمي في وسائل ووسائط الاتصال والإعلام، وهي إفراز طبيعي وحتمي للجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال

الفرق الاخر ان الحرب الناعمة توجه للرأي العام ثم تنقض على النظام السياسي او الايديولوجيا او الفكر في حين توجه الدعاية النفسية والاشاعات الى القادة والسياسيين بشكل مباشر، اما سبب بروز الحرب الناعمة في العصر الحالي فلأن البشرية ما عادت تتقبل فكرة الحرب الصلبة فضلاً عما تولده تلك الحرب من خسائر

مادية ومعنوية كبيرة قياسا بالحرب الناعمة التي تستخدم فيها وسائل اعلامية وثقافية غير محسوسة (تيم واينر، ٢٠١٠، ص ٥٣)، فالحرب النفسية تحاول تحقيق الأهداف والغايات عن طريق التأثير على الافكار والعواطف وأشكال السلوك. تتبع الحرب النفسية جملة من الأساليب التالية: الدعاية، الإشاعة، التضليل الإعلامي، غسيل الدماغ، الغزو الفكري (جمعية المعارف الاسلامية، ٢٠١٣، ص ٩٣).

لماذا الحرب الناعمة في زيارة الأربعين؟

تستهدف الحرب الناعمة مسخ القيم الاخلاقية والمبادئ الحقة والعقيدة السليمة لجهة ما ليصبح المقابل خاوياً من فكرة الاصاله والمباني العقائدية وهذا ما يسمى بالحرب الفكرية (حنون والاسدي، ٢٠٢٣، ص ٥١٨)، ولا نستغرب ان تجند الحرب الناعمة كل اجندتها لمواجهة هذه الشعيرة للأسباب الآتية:-

١. تمثل زيارة الأربعين هوية لمذهب اهل البيت عليهم السلام، ولهذه الزيارة قدسية خاصة وروحية مميزة في المنظومة الشيعية والمنظومة الاخلاقية الإنسانية العالمية.
٢. أصبح لزيارة الأربعين بعدد عالمي واقليمي تخشاه قوى الاستكبار والتطرف، إذ يتوجه الى كربلاء المقدسة من الدول الاجنبية خلال هذه الزيارة ملايين الزائرين فقد بلغ عدد الاجانب خلال زيارة عام ٢٠٢٣ ما يقارب ٣٧٥٢٨٨٧ نسمة من أصل ٢٢٠١٩١٤٦ زائر محلي وأجنبي (مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٣، ص ١٧)، ولا شك ان وجود هكذا تجمع مليوني يشكل عامل تهديد للقوى التي لا تريد الخير لمدرسة اهل البيت عليهم السلام يمثل الإمام الحسين عليه السلام عامل قلق يقض مضاجع الظلمة والطغاة ونبراساً للعدالة والتحرر على مدى الازمان، لذلك اتخذ الطغاة مختلف انواع الحروب، لان الإمام عليه السلام رمز للنهضة الاصلاحية ضد الظلم والتعسف والطغيان.

٣. تدرك قوى الشر ان ضخامة هكذا زيارة لابد لها من قوة نفسية محرّكة يجمعها هدف واحد فلا بد من حركة فكرية بحسب متبنيات هذه القوى لضرب هذا الصف وتفكيك قوته وطمس ثقافته لان هكذا تجمع لو تم تسييره باتجاهات معينة سيشكل خطراً على مصالح الامبريالية بشكل عام.

٤. ان قوى الارهاب والتطرف الفكري لا تستطيع تصدير افكارها الى العالم الاسلامي والمنطقة العربية في ظل هذا التجمع المليونى الايماني الواعي والمدرك للخطر الذي يحيق بالامة الاسلامية.

٥. تعد قضية انسانية غير مخصصة بطائفة او فئة معينة، وانما يأتي اليها من كل الطوائف وفئات المجتمع العالمي، وحتى من لم يؤمن بمنهجية الإمام الحسين عليه السلام لأنه يمثل صرخة الانسانية في وجه ظلم المجتمعات والانظمة الفاسدة (التميمي، ٢٠٢٤، ص ٧٦).

الجدول (١) اعداد الزائرين الاجانب لسنوات متعددة

السنة	عدد الزوار الاجانب
٢٠١٢	٤٠١٢٠٩١
٢٠١٤	١٥٤١١٥٦
٢٠١٥	١٨٦٣٧٦٥
٢٠١٧	٢٥٢٣٠٠٠
٢٠١٨	١٨٧١٨٩٧
٢٠١٩	٢٦٥٠٠٠٠
٢٠٢٠	١٧٣٦٦٧٩
٢٠٢٢	٤,٠١٢,٠٩١
٢٠٢٣	٣٧٥٢٨٨٧
٢٠٢٤	٣٢٨٠١٦٩

الأمانة العتبة العباسية المقدسة حسب الاحصائيات الصادرة لعام ٢٠٢٣ م - ١٤٤٥ هـ
النشرة الاحصائية السنوية لزيارة الأربعين المباركة ٢٠٢٢ و ٢٠٢٣ م

اساليب الحرب الناعمة

تسمى الحرب الناعمة بالجيل الرابع من الحروب، وهي حروب ناعمة غير صلبة يحركها كبار الشخصيات المتخصصة بعلوم السياسة والاقتصاد والنفس والاجتماع، وتنفذها الجماهير بلا وعي وتصديقها بلا برهان او حجة، وللأسف تتحقق اهدافها على يد ابناء المجتمعات المستهدفة (نصير، ٢٠٢٢، ص ٣٩٤)، ولكي نعرف ماهي الامور التي تستعمل للتأثير على الشعوب، نذكر بعض الاساليب والوسائل على سبيل المثال (التميمي، ٢٠١٩، ص ٤٢٥):-

١. تصدير الأفلام الدرامية والوثائقية والتاريخية والبرامج التلفزيونية، فضلاً عن الكراسات والمجلات والصحف التي تؤثر على عقلية المقابل وتوجهاته بشكل غير مباشر.

٢. هناك بعض الماركات التجارية والعلامات الخاصة بالمؤسسات والشركات التي اكتسبت سمعة تجارية عالمية، وهذه من الممكن ان تستغل لتمرير افكار وتوجهات معينة، لأنها عابرة للحدود يتأثر بها الناس

٣. التشكيك في المعتقدات والافكار والثوابت الدينية والفكرية

٤. الارتياح واثارة الشبهات حول الشخصيات والرموز التاريخية والدينية.

٥. العبارات التي تتداخل مع النشرات الاخبارية، وهذه العبارات الإيجابية توجه عقل المتلقي باتجاهات مختلفة، فضلاً عن التقارير الاخبارية.

٦. هناك بعض المؤسسات والهيئات الدولية التي تظهر بشكل داعم للحرية والديمقراطية في العالم وهي ظاهراً مستقلة لكنها في حقيقة امرها ترتبط بجهات مشبوهة.

٧. العمل على تقليل اهمية جانب معين او فكرة معينة وتضخيم افكار وجوانب اقل اهمية.

٨. اثارة التساؤلات التي تقلل من زخم الجانب العقائدي والاخلاقي لدى الشباب خاصة.

٩. اثاره الخلافات والمشاكل بين الجهات والدول والطوائف والقوميات والغاء الجوانب المشتركة.

١٠. التركيز على الجوانب المظلمة من تاريخ الشعوب والدول .

١١. طمس الحقائق وتحريفها و اظهارها بشكل مختلف عما كانت عليه.

١٢. هناك منظمات تبشيرية تتخذ من الدين غطاءً وواجهة لها

١٣. تظهر لقطات معينة من الاعلانات الدعائية للابتكارات والمنتجات تحمل في طياتها توجهاً معيناً .

١٤. يمكن تصدير افكار معينة عبر وسائل التواصل الاجتماعي كالفيس والانستغرام وغيرها.

١٥. المسابقات العالمية لاسيما الرياضية منها حيث يتم تعبئة عقول المشتركين والمتفرجين من خلال اللوحات الدعائية في الملاعب والتعليقات والرسوم الخاصة.

١٦. ما يتعلق بالأعمال المسرحية ومهرجانات الفنون التشكيلية وملتقيات المتاحف العالمية والاثار والشركات السياحية.

١٧. العبارات والجمال التي تزين بها الالبسة الشبابية والملصقات باختلاف انواعها.

والجدير ذكره ان الحرب الناعمة تعتمد على التشويق والاثارة، إذ يتم الاستفادة من عواطف ومشاعر المجتمع المستهدف بأقصى الحدود، وذلك عبر الرمزية، والأسطورية و ايجاد قيم مستحدثة، وهكذا المشاعر والعواطف والخبرات السابقة ركناً أساسياً في مجال الحرب الناعمة. حيث تستدرج عواطف الناس لتكون جسراً للوصول الى الاهداف وبالتالي ايجاد التغيير المطلوب والتحول المنشود في الافكار، وسبب الاعتماد على العواطف لأنها محرّكة للإنسان ومعطلة لقوة العقل والتفكير.

أهداف الحرب الناعمة

لا يمكن الحديث عن الحرب الناعمة من دون وجود أهداف مسبقة لها وتم التخطيط لها بإتقان في الغرف المظلمة مُحطط لها وتتفاوت الأهداف بمقدار الفروقات والاختلافات القيمة بين الشعوب ونتيجة تضارب المصالح وتعارض السياسات، ومع ذلك فإن الأهداف التي يتتبعها الأعداء في حربهم الناعمة ضد المجتمع الإسلامي تنبع من أشكال التعارض هذه بين الأعداء والمجتمع الإسلامي ويمكن إجمال الاهداف التي يسعى لها الاعداد من حربهم الناعمة بما يلي (محمد، ٢٠١٠، ص ٤٥):

١. تستهدف الحرب الناعمة الجوانب الإيديولوجية والعقائدية فضلا عن الهوية الإسلامية
٢. تستهدف تحويل نقاط القوة في المجتمع الإسلامي إلى نقاط ضعف وقيادة المجتمع نحو الانهيار والسقوط ويتجلى هذا الأمر بصورته التفصيلية في محاولات إسقاط النظام الإسلامي الذي يشكل الأساس للهوية الإسلامية.

٣. الترويج لتكريس القيم الاجنبية الوافدة بما يحمل ذلك من هدم للهوية الدينية في المجتمع.

٤. تغيير الفئات وتبديل الإيرادات وسوق الرأي العام نحو ما يحقق أهداف الأعداء فيكّرّس مصالحهم بعيداً عن مصالح المجتمع الإسلامي.

٥. بثّ الخلافات والفتن وإذكاء الاضطرابات بما يمهد لإشاعة الطائفية والكراهية.
٦. إيجاد حالة من اليأس والتشكيك في قيم الامة ومبادئها ورموزها وقد يمتد الشك الى الثوابت

٧. الحرب الناعمة توجه نحو النقاط الهشة فيحاول العدو إيجاد البدائل التي تتناسب مع ثقافته وقيمه.

٨. طمس الحقيقة وتحريفها وإظهار الأكاذيب على انها حقائق والهدف من ذلك إبعاد المسلمين عن الحقائق.

خصائص الحرب الناعمة

١. انها حرب طويلة الأمد: لا يمكن التنبؤ بنهايتها لذلك ينبغي الحذر وتوخي اليقظة لأنها ترسم استراتيجيتها على المدى البعيد.
٢. انها حرب خفية غير منظورة او ملموسة: أي أن الهدف يكون غير مدرك للخطر.
٣. لها وسائل متعددة شاملة: ليس هناك وسيلة واحدة للحرب الناعمة فهناك عشرات الوسائل، واغلبها وسائل جذابة ومشوقة.

ملامح الحرب الإعلامية في زيارة الأربعين

الحرب الناعمة على الشعائر الحسينية والشيعة ليست جديدة لكنها بدأت تنشط خلال السنوات الماضية بقوة، من خلال توظيف ادواتها (مواقع التواصل الاجتماعي) ونشر التدليس والشائعات والتحريض لبث الشك في قلوب الناس وصناعة رأي عام مضاد للشيعة وبرز طقوسهم زيارة الأربعين، ومع ازدياد الذروة في زيارة الأربعين تظهر جملة من المؤشرات والملامح التي تنم عن وجود حرب ناعمة تنشط اتجاه هذه الشعيرة المقدسة وايادي خبيثة تحاول بث الفرقة والتأثير على سير الزيارة الأربعينية ومنها:

١. نشاط بعض الماكينات الإعلامية التي تحمل اهدافاً مسمومة للتشويش على هذه المسيرة المليونية الفريدة في عطائها .
٢. السعي لخلق حالة من الفرقة والعداء والكرهية اتجاه بعض الزائرين الاجانب من الدول المجاورة، وبت المقاطع الفيديوية بشكل واسع لتحقيق مآربهم الدينية.
٣. أمام هذا الزخم الروحي والمعنوي من الرسائل الهادفة والمضامين الدينية السامية والنبيلة، نلاحظ البعض يتراقص طرباً عندما يلتقط سلبية هنا، وهفوة هناك وكأنه عثر على كنز ثمين، فيتداوله نشرًا وتعليقًا وترويجًا مع ما شاء الله من إضافات

وتكميليات وزوائد، على الرغم من ان تلك الهفوات على بساطتها لا تشكل سوى نسبة لا تكاد تُذكر أمام مئات الآلاف من الجوانب الإيجابية والمظاهر المشرقة في مسيرة اربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

٤. هناك انواع من الاشاعات منها الاشاعة الغاطسة التي تظهر فجأة ثم تختفي وهناك الاشاعة الزاحفة اي البطيئة التي يتم ترويجها ببطء وبسرية وهناك الاشاعة السريعة او الطائرة وهي سريعة الانتشار وسريعة الاختفاء وهناك الاشاعة الراجعة التي تروج ثم تختفي ثم تعود.

٥. التجاهل الإعلامي لهذا التجمع المليونى السلمى بينما يسלט الضوء على تجمعات اقل بكثير.

٦. التركيز على بعض الظواهر الفردية كالسرقة، او التحرش، او المشاجرة، او حادث سير، واخراجها بوصفها حالات تمثل قاعدة عامة، ووجود أجنداث مشبوهة تهدف إلى تشويه صورة الزيارة والزائرين من خلال نشر مقاطع ومحتوى مغرض ومصطنع، او نشر فيديو لإثارة الطائفية حيث نشطت الجيوش الالكترونية في تداول فيديوات مثيرة بهدف التشويه، فعملت على استخدام مقاطع فيديو قديمة ذات محتوى قد يفهم بشكل متسرع، ويثير غضب اطراف أخرى.

التعامل مع الزوار الاجانب

وقد تتداول مواقع التواصل مقطع فيديو يظهر عراقيا يرفض تقديم مياه شرب إلى الزوار الإيرانيين ويقوم بسكب الماء على الأرض، وعلى الرغم من ان التصرف شخصي جداً لا يعكس آراء وتوجهات وميول الزوار العراقيين واصحاب المواكب الا ان المقطع اخذ حيزاً واسعاً وتمت أدلجته وفقاً لأبعاد متعددة، وفي لقطات عرضتها بعض القنوات ووسائل التواصل الاجتماعي مجموعة من الزوار الاجانب يسحبون حقابهم باتجاه معين وتحت الصورة عنوان (الزوار الإيرانيين يهربون من العراق عائدين الى ديارهم)، والحقيقة انها قصة مفبركة لا اساس لها من الصحة.

التشكيك في الثوابت

التشكيك هو الشك الذي لا ينتقد المعرفة في حد ذاتها بل ينصب على وسائل الادراك وبالتالي يمتنع التوصل الى حقائق الاشياء لافتقار الانسان الى أداة إدراك صحيحة ، فأدوات الإدراك تدرك ظواهر الاشياء ولا تعرف حقيقتها والحقائق نسبية وليست مطلقة والحكم معلق والحجج متعادلة لا سلبي ولا إيجابا (الطويل، ١٩٦٧، ص ٣٠٧).

وهناك الشك البيروني حيث يرى ان باستطاعة الفيلسوف من خلال الميافيزيقيا ان يبرهن على صحة الفكرة وتقويضها في ذات الوقت ومثل هذا الشك يوجد لدى بعض الزنادقة ويمثله الشك في العقائد والاديان والثوابت والعقاب ورفض الجمع بين العقل والدين في ان واحد (ابو بريق، ٢٠١٥، ص ٣١١) ، والتشكيك الذي يثيره البعض حول زيارة الأربعين من حيث الحجج والسند والادلة لا يخرج عن هذا النطاق، فضلاً عن كونه تشكيك مؤدلج يهدف لخدمة أغراض وغايات معينة .

ان المجتمعات والأمم في أي زمان ومكان ترتبط بثوابتها وتراثها وثقافتها ارتباطاً وثيقاً، وتتخذ من شخصياتها الدينية منهجاً وطريقاً وقدوة لحاضرها ومستقبلها، وتميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بمتانة ثوابتها ورسوخ منهجها؛ لكونه منهجاً مستمداً من الوحيين؛ القرآن الكريم، وسنة النبي وآل بيته الاطهار.

أن هؤلاء الذين يتناولون على الثوابت الشرعية لا توجد لديهم المؤهلات العلمية المطلوبة التي يستطيعون من خلالها معرفة مدلولات التاريخ وحدثاته، وفات هؤلاء المشككين ان التعامل مع الرواية التاريخية يختلف في معاييرها عن الرواية الفقهية لان الاخيرة تبحث عن السند وثيقة رجاله، بينما للرواية التاريخية ضوابطها وقواعدها الخاصة فلا يحقق في سندها بل يكفي وجود الاطمئنان وتوفر القرائن، لذا ليس من حق أي شخص ان يتهم الرواية التاريخية بالكذب حتى وان كانت مرسلة، والادهى من ذلك ان الانتقائية حاضرة لدى البعض في تقبل الروايات فيقبل بعضها ويرفض الاخر اعتماداً على ميوله وهواه على الرغم من وحدة مصدر الروايتين.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول ان هذه الأقوال وغيرها كثير وراءها أيادٍ خبيثة مشبوهة تدخل ضمن نطاق الحرب الناعمة، لها اهدافها الخاصة ولا يُستبعد ان تكون وراءها اجندات على مستوى عال من الدقة والتنظيم، لان هؤلاء ادركوا ان عاشوراء ليس حدث تاريخي عابر وانما هي دين ومبدأ، ولاشك ان التشكيك في حوادثها ومنها زيارة الأربعين وغيرها من الحوادث لا يهدف الى زرع بذور الشك اتجاه الحادثة، بل هناك امر ابعد وغاية اعمق فالأمر يتعلق بتهديم مدرسة اسلامية متكاملة تمثل الوجه المشرق للإسلام، وتمثل دعامة رئيسة للاعتدال والوسطية وهو امر لا يروق للبعض لذلك راح يروج لفكر التشكيك والتزييف والطعن، لان المقابل يدرك ان كربلاء ما عادت حدثاً طارئاً يظهر تارة ويختفي أخرى بل هي حادثة خالدة بخلود الزمن.

التّعيم الإعلامي

يتجه الإعلام العالمي او العربي وحتى الإعلام المحلي نحو تجمعات لا يتجاوز عددها مئات الالاف سنوياً، بينما يتجاهل تجمع سلمي يتجاوز عدده (٢٢) مليون نسمة بما فيه من ابعاد ومؤشرات انسانية، وهذا التّعيم يدخل ضمن ما يسمى بالحرب الناعمة لأنه استهداف للعقول والأفكار والهويات والأديان الذي يكون بالتحريف والتزييف والتجريف تارة وبالتجاهل والتّعيم تارة اخرى، ويعتمد التّعيم الإعلامي بوصفه مشروع منظّم ومخطط، إلى تشويش الأذهان والتأثير على العقل كما يجعل من وسائل الإعلام هدفاً له بحيث تقوم بنشر وتعميم الرسالة التضليلية باتجاه الرأي العام، والى ذلك اشار جواد غوك وهو رئيس وفد الصحفيين الاتراك وهو مسؤول الاخبار في قناة (meltem TV) التركية عند زيارته لمدينة كربلاء المقدسة لنقل احداث الزيارة الأربعينية ما نصه: ان هناك تشويش وتّعيم اعلامي كبير لتحريف الزيارة وعدم تسليط الضوء عليها لأجل مصالح دول معينة وهذا هو ما تم رصده من خلال اعلامنا ومختصينا (بأهض ٢٠١٠).

إنّ زيارة الأربعين من اهم الاحداث العالمية التي تحتاج ان تتعامل معها وسائل الإعلام بحجم العمق الروحيّ والمعنويّ والبشريّ الوافد لمدينة كربلاء، إذ تعدّ بعض الوسائل الإعلامية الى التّعيم الإعلامي وإخفاء الأخبار والمعلومات والحقائق عن الجمهور العربيّ والعالمي عن طريق السيطرة والتأثير على المؤسسات العالمية، وتسليط الضوء على قضايا وأحداث أقلّ أهميّة من زيارة الأربعين، فالمسؤوليّة الأخلاقيّة والإعلاميّة تُحمّ على وسائل الإعلام مراعاة الضوابط المهنيّة والأخلاقيّة والإعلاميّة مستندة في ذلك على ما جاء في كتب ومنهجيّات الصحافة والإعلام، التي تُحمّ على الوسائل الإعلامية كافّة (المسموعة والمقروءة والمرئيّة) الالتزام بها:

١. إقحام الرأي الصحفي في الخبر: يقصد به قيام الصحفي بإدخال رأيه الشخصي في المادة الخبرية وعرض آرائه وأفكاره وميوله الخاصة التي قد تختلف في أحيان كثيرة مع الخبر المكتوب.
٢. الحذف: هو إزالة بعض التفاصيل من الخبر وعدم إظهارها للقارئ لسبب أو لآخر وهو الامر الذي يمكن استخلاصه من التعامل الإعلامي في زيارة الأربعين.
٣. التحريف: هو التلاعب بالمعلومات التي يتضمنها الخبر، وعدم عرض الخبر كما هو، وتغيير مساره؛ لخلق انطباع مخالف لما جاء في مضمون الخبر؛ لإعطاء بعداً مختلفاً أو اقل من الواقع.
٤. التوظيف: قولبة الخبر لخدمة الوسيلة بما يخدم سياستها واتجاهاتها، وعدم عرض معلومات الخبر مثلما وردت، بل وتوظيفها لصالح قضية أو قضايا أخرى.
٥. مجهولية المصدر: يُقصد بها الممارسة التي ينتهجها معظم الصحفيين للالتفاف حول حدود الموضوعية بعدم ذكر البيانات الكاملة عن مصدر الخبر وعدم ذكر الجهة التي منها أُخذ الخبر، والذي من شأنه التشكيك بمصداقية الخبر من جهة، وضعف موضوعيته من جهة أخرى.
٦. الإيجاز: هو عدم الإشارة لموضوع الخبر بصورة مباشرة، والتلاعب بالمفردات والصياغة الخبرية، ووضع تساؤلات من الممكن أن تكون انطباعات أخرى.
٧. عدم التوازن: يقصد به أخذ جانب ضد آخر، وتفضيل موقف سياسي على موقف آخر، وعدم إعطاء الأطراف المتعلقة بالخبر الدرجة نفسها من التوازن أو الأهمية.
٨. الأهمية وعوامل الإبراز: اي إعطاء أهمية استثنائية لخبر معين، ومحاولة اظهاره بوسائل مختلفة، كأن يكون بـ (مانشيت عريض او لون مميز) أو نشر الخبر في الصفحة الأولى، أو عن طريق نوع التصميم، وغالباً ما يكون إبراز هذه الانباء على حساب أخبار اخرى ذات أهمية اكبر، وذلك تبعاً لسياسة المؤسسة الاعلامية التي تمنح تلك الأهمية وفقاً لتوجهاتها وأهدافها حتى لو لم يكن ذلك الخبر على قدرٍ من الأهمية.

٩. التعليق: وفيه يقوم الصحفي بالتفسير تارةً، والتعقيب تارةً ثانية، والاستنتاج تارةً ثالثة، وعدم الاكتفاء بعرض الخبر، بل التعليق عليه عن طريق أشكال مختلفة من التعليقات.

التوصيات واستراتيجية المواجهة

١. في ظل تحديات الحرب الناعمة التي تستهدف زيارة الأربعين فأنا جميعاً مدعوون لتشكيل وعي اجتماعي وقائي وتفعيل الطاقات والجهود البشرية، والمجتمعات مدعوة لخلق ثقافة الممانعة الأسرية، والاجتماعية، والتحصين الفكري، وتنقية البيئة التربوية من المتأثرين بهذه الحركات.

٢. يوصي البحث بأن تتم دراسة الحرب الناعمة على مستوى زيارة الأربعين بشكل أكثر شمولاً وتكاملاً بحيث يأخذ ذوو الاختصاص دورهم بتحليل مكامن القوة في زيارة الأربعين كلاً حسب تخصصه لما سيحققه ذلك من فهم أكبر.

٣. يجب ان تكون هناك قناعة بوجود الحرب الناعمة التي تستهدف القيم والعقيدة والمبادئ، ولا بد من بيان اهداف الحرب الناعمة، وعدم الاستهانة بخطرهما. ينبغي معرفة العدو وكشف آلياته ومؤامراته وبخلاف ذلك لا يمكن مجابهة الحرب الناعمة.

٤. الاهتمام بكفاءة الإعلام لمواجهة الإعلام المضاد وبيان ادواته.

٥. الرد بالمثل من خلال توجيه ضربات مماثلة للاتجاه المعاكس بنفس الادوات والاليات.

٦. زيادة مستويات التحصين الفكري للشباب والتصدي الفكري للإعلام المضاد، والتوسع في اقامة حملات توعوية تبين خطر الحرب الناعمة وتبين اساليبها.

٧. من الضروري ان يكون الخطاب الاسلامي متماشياً مع التطورات المعاصرة، لان المتلقي او المستمع يكون في الاغلب مشحوناً بالتيارات الإعلامية المضادة.

٨. اليقظة التامة والوعي بمخاطر الغزو الفكري واساليبه، ومنها تنبيه الجميع على عدم التأثر بالمنشورات المزيفة على مواقع التواصل الاجتماعي والتي تدس السم بالعسل.

المصادر

١. أبو بريق، عبدربه يوسف. (٢٠١٥م). مجلة المختار للعلوم الإنسانية، مجلة المختار للعلوم الإنسانية. المجلد الاول . العدد(٢٨) .
٢. باهض. مصطفى احمد . الموقع الرسمي للعتبة الحسينية المقدسة ، <https://2010imamhussain.org/arabic/22711>
٣. التميمي . علي جاسم محمد.(٢٠٢٤م). توظيف القوة الناعمة العراقية -زيارة اربعينية الإمام الحسين إنموذجا . مجلة الأربعين.
٤. التميمي . بتول فاروق محمد . (٢٠١٠م). الجهاد والقوة الناعمة دراسة فقهية في أساليب الدعوة والقوة في الإسلام . مجلة كلية الفقه . العدد ٢٧ . جامعة الكوفة .
٥. تيم واينر . (٢٠١٠م) . أرث من الرماد - تاريخ - CIA . شركة المطبوعات للنشر والتوزيع .
٦. جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.(٢٠٢٣م). الحرب الناعمة قراءة في أساليب التهديد وأدوات المواجهة . مركز قيم للدراسات . شبكة المعارف الاسلامية .
٧. جوزيفناي.(٢٠٠٧م). القوة الناعمة . مكتبة العبيكان .
٨. حنون . معتر محمد ومحمد علي هاشم الاسدي.(٢٠٢٣م) . الحرب الناعمة وجهاتها مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة . العدد ١٨ .
٩. الزيايدي . حسين عليوي ناصر.(٢٠١٩م). اسس واخلاقيات البحث العلمي . دار الفيحاء . بيروت .
١٠. الطويل . توفيق.(١٩٦٧م). أسس الفلسفة . الطبعة الخامسة . دار النهضة العربية . القاهرة .

١١. محمد. حمدان. (٢٠١٠م) الحرب الناعمة. دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى.
١٢. مركز قيم للدراسات. (٢٠١١م). الحرب الناعمة المفهوم النشأة وسبل المواجهة. جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
١٣. مركز كربلاء للدراسات والبحوث. (٢٠٢٣م). النشرة الاحصائية السنوية لزيارة الأربعين المباركة ١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣م، الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.
١٤. معوض، علي جلال. (٢٠١١م). مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية، مكتبة الإسكندرية. مركز الدراسات الاستراتيجية. بدون طبعة.
١٥. نصير. راجي. (٢٠٢٢م). السلاح الصفري للحرب الناعمة، مجلة معهد العلمين للدراسات العليا، العدد ١٠.
١٦. النشرة الاحصائية السنوية لزيارة الأربعين المباركة ٢٠٢٢ و ٢٠٢٣م
١٧. نوفل. احمد. (١٩٨٩). الحرب النفسية. دار الفرقان . ط ١.

الزيارة الأربعينية في الأثر المادي واللامادي

م.م. شروق لطيف عبد السادة

ماجستير في الآثار الإسلامية

Shrooq.L.Abdulsda@gmail.com.

م.م. أحمد يوسف مهدي الغالبي

ماجستير في الآثار الإسلامية

الملخص

تُعد الزيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام واحدة من أبرز الظواهر الثقافية والدينية في العالم الإسلامي، حيث تتجلى فيها معاني الولاء والتضحية والفداء والقيم الإنسانية العظيمة، ولا تقتصر هذه الزيارة على بعدها الروحي فقط بل تمتد لتشمل آثار مادية ولا مادية تعبر هوية التجمعات العظيمة في الزيارة لتشمل الأثر المادي المباني التي تقدم الخدمات لزوار، والمجسمات الفنية التي تجسد الشعائر الأربعين

أما الأثر اللامادي يتجسد في الطقوس الدينية والممارسات الإجتماعية، مثل المسيرات الحسينية الحاشدة والأهازيج والشعر (الرثاء الحسيني) والروايات الدينية التي تخلد الحدث .

الكلمات المفتاحية: الزيارة الأربعينية، الشعائر الحسينية، التقاليد، المادي، اللامادي.

The Arbaeen Pilgrimage Its Tangible and Intangible Impact

Shorouk Latif Abdel Sada
Master's degree in Islamic Archeology

Ahmed Youssef Mahdi Al-Ghalibi
Master's degree in Islamic Archeology

Abstract

The fortieth visit of Imam Hussein) peace be upon him (is considered one of the most prominent cultural and religious phenomena in the Islamic world, as the meanings of loyalty, sacrifice, redemption, and great human values are evident. This visit is not limited to its spiritual dimension only, but extends to include material and immaterial effects that express the identity of the great gatherings in the visit. The material impact includes buildings, i.e. shrines witnessed by Muslims, and artistic objects that embody the forty rituals

The intangible impact is embodied in religious rituals and social practices, such as the massive Hussein marches, chants, poetry (Hussein lamentation), and religious narratives that immortalize the event.

Keywords: The Arbaeen visit, Hussein rituals, traditions, the material, the immaterial



مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في كيفية توثيق إحياء الزيارة الأربعينية من منظور الآثار المادية الخدمية الدينية والآثار اللامادية كالتقاليد والعادات، والتركيز على الموروث الإجتماعي والديني وكيفية تسخير هذه الآثار لتحرير القيم الأخلاق الروحية وكيفية المحافظة على هذا الموروث وربط الأجيال بتاريخ واقعة كربلاء العظيمة .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في حول إحياء الزيارة الأربعينية في كل عام من قبل الموالين كونها تجسد مشاعر الحب والولاء للإمام الحسين عليه السلام وتعيد إلى الذاكرة الآلام والمحن التي واجهها هو وأهل بيته عليهم السلام، كما يهدف أهمية البحث إلى بيان وإستكشاف الأبعاد التاريخية والدلالات الثقافية والخدمات الإنسانية النابعة من كرم الضيافة الإسلامية، كما يسלט أهمية البحث الضوء على عظمة وثواب هذه الشعائر الحسينية وديمومية القيم المبادئ التي أرسى دعائمها الإمام الحسين عليه السلام.

المقدمة:

يتجه الموالين بشغف وحماس نحو مدينة كربلاء المقدسة لإحياء الزيارة الأربعينية حاملياً في قلوبهم عهد جديدة لإمامهم المظلوم الإمام الحسين عليه السلام، يسرون على الاقدام وهذا الفعل يدل على قوة الارادة وتحمل مشقة الطريق. إنها ليست مجرد خطوات بل اختبار للصبر ومحك الولاء ذاك الحب الذي لا يغيب عن

قلوبهم المتلهفة، تتجسد هذه المسيرات الحاشدة التي تعكس الحركة الدؤوبة نحو بقعة اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون جنة على الأرض وهي كربلاء المقدسة حيث تأخذ هذه المدينة الشوق في القلوب الوهية وعقول المفكرين .

إذا نظرنا إلى الطرقات المؤدية الى كربلاء نراها تحزن بالسواد والأرصفة تكتظ برايات العزاء، حيث ينطلق الزوار من مختلف المدن بدافع حماسي لإحياء زيارة الأربعين المشاهدة هنا تبهر العقول وتأسر القلوب فتلك اللحظات تعكس أبجديات الإنسانية التي يفتخر بها وتبرز صوراً فريدة من نوعها لم نجدها في أي بلد، فعشاق الحسين يتفننون في توفير أفضل سبل الخدمة في سبيل الله لغرض تجسيد الولاء والوفاء للإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام فكل شبر هنا مفعم بهاء وطعام وسبل الراحة يقدم مجاناً يميلان معاني عميقة من صدق العقيدة وتجلياً للعطاء العظيم بلا حدود .

المبحث الاول: دور منظمة اليونسكو في المفهوم المادي واللامادي

قبل ان نبين ما هو دور منظمة اليونسكو، أجد من المهم توضيح مفهوم الأثر المادي واللامادي .

مفهوم الأثر:

ان مفهوم الأثر هو ما خلفه الأجداد للإجيال في تاريخ أمة او شعب ويمثل تقاليد والعادات الموروثة وانجازات الفكر والابداع في مجالات العلوم والأدب والتي تمثل ذاكره الشعوب (شطي، ٢٠٢٣)، ويعتقد الكثيرون ان معنى كلمه الأثار يقتصر على المباني الأثرية المادية بل هو يشمل المقتنيات الأثرية والتحف الفنية والمخطوطات الاسلامية والأشعار والطقوس هذا يعكس مفهوم الأثر (الطنطاوي،

٢٠١١) و ينقسم الأثر الى جزأين ما هو المشترك بين الامم وما هو خاص يميز كل امته وهذا يعني ان كل أمة لها أثارها وحضارتها الخاصة (عبد الباقي، ٢٠٠٨) و ينقسم الأثر الى قسمين المادي و اللامادي:

الأثر المادي:

وهو يشمل كل ما صنعه الانسان او استعمله للتكيف مع محيطه، وهذا يعني ان التراث المادي هو كل ما يمس الانسان من الاشياء والعناصر والتي تخضع دوماً بالتغيير والتطور ودائماً يهدف الانسان الى امتلاكها لإرضاء حاجاته الاساسية، ويتجلى التراث المادي في العمارة بشكل عام في المواقع الأثرية، والمدن القديمة، والمتاحف، والمساجد، والمزارات، والتكايا، ومختلف المباني الأخرى، أيضاً في الملابس والحلي والألات الموسيقية والمخطوطات العربية الإسلامية والحرف اليدوية وبرز ما يميز الأثر المادي هو ان مكوناته رغم تنوعها فهي تكون ملموسة لأنها من صنع الانسان بغض النظر عن شكلها او استخدامها او الغاية منها (شطبي، ٢٠٢٣)

الأثر اللامادي:

يتجلى الأثر غير المادي في « كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة في مختلف تشكيلات وتنوعات الأثر الإنساني باعتباره الثقافي الممارس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية» (معلا، ٢٠١٧، ص ٢) ومن هذه المظاهر إن كل ما ورثناه من معطيات غير مادية تجسدت في نمو المجتمع مثل العادات والطقوس والتقاليد والاحتفالات والاشعار والأمثال والتي تنتقل من جيل الى جيل وهذه المعطيات تعبر عن ثقافة الشعوب وهويتها وإتباعها الحضاري (كنعانة، ٢٠١١).

تعريف منظمة اليونسكو:

إن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة هي وكالة متخصصة للأمم المتحدة، اختصارها (UN) مقرها في باريس أنشئت في ١٦ نوفمبر عام ١٩٤٥ واصبح تابعة للأمم المتحدة في سنة ١٩٤٦ ودعت إلى رفع مستوى التعليم والعلم والثقافة في كافة البلدان (الحديثي، ١٩٩٣).

نشأة اليونسكو:

تأسست هذه المنظمة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية تم عقد مؤتمر في نوفمبر ١٩٤٥ في لندن وكان الغرض من ذلك هو إنشاء منظمة دولية تعني بالتربية والثقافة، هدف هذه المنظمة هو منع نشوب حرب عالمية اخرى (نافعه، ١٩٧٨).

وقد إنضم الى هذا المؤتمر ٤٠ دولة بهدف تحقيق السلام بين دول العالم وفي ختام هذا المؤتمر وقع ٣٧ دولة على هذا الميثاق التأسيسي الذي اقتضى الى نشوء منظمة الأمم المتحدة والتي تعرف باسم اختصارا «اليونسكو»، وعقدت المنظمة مؤتمرها الاول في باريس سنة ١٩٤٦ بمثابة إعلان رسمي للمنظمة. (UNESCO, n.d).

أهداف المنظمة :

تهدف المنظمة إلى المساهمة في إحلال السلام عن طريق تعزيز التعليم والثقافية والعدالة بين الشعوب وذلك عبر مؤسسة الدولية للتعاون في الشؤون التعليمية تهدف هذه المنظمة إلى تقليل الفقر ومواجهة التحديات الاجتماعية والتنوع الثقافي والبحث عن أسبابها بشكل رئيسي وتقديم الحوار والتفاهم المتبادل بين أعضاء المنظمة (مخاط والشدود، ٢٠١١)، وتتبع منظمة اليونسكو في سبيل تحقيق اهدافها طرق عمل متوازنة أحدهما يكمل الآخر لغرض تحقيق التعاون الدولي في مجالات مختلفة والتي لها ابعاد ثقافية وإجتماعية واقتصادية (النعيمي، ٢٠٠٦).

ومن أهدافها الرئيسية والمهمة كما جاء في المادة الأولى من دستورها «تعزيز السلام عن طريق تشجيع التعاون بين الدول في مجالات التربية والتعليم والثقافة من أجل الاحترام العالمي للعدالة وللسيادة القانون ولحقوق الإنسان والحريات الأساسية التي اكدها ميثاق الأمم المتحدة لشعوب العالم دون تفرقة بسبب العنصر او الجنس او اللغة او الدين..»، (عبد المجيد، ٢٠١٥، ص. ١١٥) كما ان دور هذه المنظمة اليونسكو لم يقتصر على العلاقات بين الحكومات والمنظمات الدولية الحكومية بل تقيم مع مؤسسات أخرى منها مؤسسات المجتمع المدني وهدفها من وراء ذلك إقامة علاقات متنوعة لكي تعطي فرصة أمام قطاعات واسعة كونها تمثل الرأي العام وضمان تعاون هذه المؤسسات بشكل مستمر مع منظمة اليونسكو بشكل خاص وبتالي يعود النفع من خلال تقديم المشورات والتعاون من قبل المؤسسات المجتمع المدني إلى منظمة اليونسكو، بتالي تتمكن المنظمة من حصولها على شبكات واسعة مع مؤسسات المجتمع المدني حتى تتيح لها الفرصة في إداء دورها على افضل ما يكون (السعدي، ٢٠١٥).

إتفاقية اليونسكو المتعلقة بحماية التراث العالمي؛

في هذا السياق يمكن أن نشير الى الإتفاقية التي أبرمت سنة ١٩٧٢ في باريس وهي من الإتفاقيات الدولية ذو شعبية واسعة، ومن أهم الوثائق كونها متعلقة في حماية المواقع الأثرية والمباني العمرانية والنقوش ذو قيمة فنية وتاريخية، لأنها تمثل إراثاً إنسانياً يجب حمايته من جميع الظروف (وردي، ٢٠١٦)، وفي حال تعرض اي موقع الى خطر فإن من واجب منظمة اليونسكو أن تقوم بحماية هذه المواقع المهددة سواء على الصعيد البشري أو الطبيعي يجب إتخاذ الإجراءات اللازمة للحمايتها وبموجب هذه الإتفاقية تم إنشاء لجنة التراث العالمي لوضع قائمة بشان المواقع الأثرية المهددة والمهمة لغرض صونها والحفاظ عليها (كاسب، ٢٠٢٠).

وتحمي هذه الاتفاقية ٧٤٥ موقع اثري و١٨٨ موقع طبيعي وكذلك ٢٩ موقعاً مختلطاً (رشو، ٢٠٢٤)، وضمن هذه الاتفاقية تم إدراج ستة مواقع عراقية منها مدينة اشور وقلعة اربيل وبابل الأثرية والحضر ومدينة سامراء والاهوار جنوب العراق . (World Heritage Convention, n.d).

غير ان هذه الاتفاقية لم تشمل التراث غير المادي، رغم انه جزء لا يتجزأ من الثقافة لدى الشعوب العالم كونها تمثل الهوية الوطنية والإنسانية التي توارثناه من معطيات غير مادي والمتمثلة في مختلف الفنون والتعبير الشفهي فهي تختلف من بلد إلى آخر بما في ذلك اللغات المحلية ومختلف التقاليد والممارسات الإجتماعية والطقوس الدينية والمهارات الحرفية والماكولات الشعبية إضافة إلى الحكايات والقصص والاشعار، وعلية قررت منظمة اليونسكو عمل اتفاقية دولية تهدف إلى حماية هذه الثقافة الشعبية الوطنية والتي تعرف باسم إتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي (المحذوري والنوفلي، ٢٠٤٢) وعلية تبنت دول الأعضاء في اليونسكو في عام ٢٠٠٣ إتفاقية لصون التراث غير المادي ثم دخلت حيز التنفيذ في عام ٢٠٠٦ وأنضم العراق لهذه الإتفاقية عام ٢٠١٠ (المكتبة الوطنية العراقية، د. ت).

المبحث الثاني : دراسة الزيارة الأربعينية في الأثر المادي -الابعاد التاريخية لزيارة الاربعينية:

ان ظاهرة الزيارة الأربعينية هي ظاهرة قديمة بدأت بعد معركة الطف وذلك عندما اخذ أهالي ضواحي كربلاء يتوجهون نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام وقد إمتزجت هذه الظاهرة بالبكاء من قبل الموالين والمحبين من الشيعة، وازدادت معالمها بعد عودة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أربعين يوم برؤوس الشهداء من الشام إلى كربلاء بعدما فصلت عن الأجساد الطاهرة وأرسلت إلى يزيد بن معاوية في الشام (السعدي، ٢٠١٧) .

وعليه يمكن القول إن أقدم زيارة إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام هي زيارة الإمام زين العابدين والتي تمت في عام ٦١ هـ ٦٨٠ م (البيروني .د.ت)

ثم بعد ذلك إعتاد الموالين الشيعة لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام ليلة الأربعين وذلك بسبب روايات أهل البيت عليهم السلام في فضل هذه الزيارة وخصوصيتها وأهميتها فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري إنه قال: (من علائم المؤمن خمسة وهي صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعقر بالجبين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم) (العلوي، ١٩٨٣) .

وحسب المعلومات التاريخية إن الزيارة الأربعينية أخذت مداها وأصبحت بشكل رسمي وسنوي يعود الى أوائل القرن الماضي حيث أخذ الموالين يقطعون مسافات طويلة سيراً على الأقدام من خارج العراق ومن ثم وصولاً إلى النجف ومن النجف إلى كربلاء لغرض إداء الزيارة الأربعينية سيراً على الأقدام، بتالي أصبحت عادة عند المسلمين في كل سنة والتي توافق ٢٠ من شهر صفر في كل عام هجري

وأستمرت الزيارة من ذلك التأريخ سنوياً بالرغم ما تتعرض له الزوار من الرفض من قبل السلطات الحاكمة التي رافقت طيلة تلك السنوات لغرض إداء هذه الشعيرة الدينية (الجابري، ٢٠١٢).

والغرض احياء هذه الشعيرة المقدسة في نفوس المسلمين الذين قطعوا مسافات طويلة لقصد الديار المقدسة في كربلاء ولعدة أيام سيراً على الأقدام عندها يحتاج الزائرين إلى خدمات التي تعينهم على متاعب الطريق والسفر فلا بد من توفير كافة الخدمات اللازمة لغرض إحياء تلك الزيارة منها :

الخدمات المتاحة للزائرين في كربلاء لإحياء الزيارة الأربعينية :

أولاً: الخانات

على مر العصور إحتاج المسافرون على تقسيم رحلاتهم على شكل محطات متتابعة ولهذا تطلب الأمر إلى توفير أماكن مخصصة لغرض الإستراحة والمأوى فيها، وهذه الأماكن كانت تسمى في بداية العصر الإسلامي باسم دور الضيافة ثم عرفت فيما بعد بالخانات، وتواجدت هذه الخانات على الطرق الخارجية طرق القوافل وكان الهدف من إنشائها لخدمة التجار أو حجاج بيت الله (إسماعيل، ٢٠١٩) ولعل أقدم خان عرف في الإسلام هو الخان الذي أنشأه الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م) على مقربة من قصر الحيرة الشرقي ولم يبق من ذلك الخان سوى أطلال شاهداً على ذلك (سامح، ١٩٨٢).

وعرفت الخانات في العراق في القرن السابع الهجري سواء التي شيدت داخل المدن او خارجها ولا يزال البعض منها موجودا حتى اليوم حيث تربط بين الحاضر والماضي البعيد) جواد وسوسة، ١٩٥٨ (وتعتبر مدينة كربلاء المقدسة هي واحدة من تلك المدن التي تضم العديد من الخانات وذلك بسبب أهمية مدينة كربلاء كونها من المدن الدينية ولذلك توافد الزوار الذين كانوا يقصدون ضريح الحسين واخيه العباس عليهما السلام فقد تنوعت الخانات على نوعين بعضها بني داخل المدينة وعادةً ما تكون صغير الحجم واما النوع الاخر فيسمى بخانات القوافل والتي إنتشرت على الطرق الخارجية التي يسلكها التجار والزوار الوافدين من خارج العراق سيراً على الأقدام نحو العتبات المقدسة (الحمداني والشيخلي، ١٩٨٨، ج ٢)

١. خانات القوافل:

ازدهرت خانات القوافل في كربلاء و العراق عموماً في القرنين (١١٠/١١ هـ) و (١٦/١٧ م) فكانت تشيد على الطرق الخارجية التي تربط بين مدينة وأخرى التي تسلكها القوافل التجارية و الزوار لغرض الزيارة وعلية فإن العراق كان يضم العديد من هذه الخانات والتي تكون على هيئة سلسلة ترتبط بين المدن المهمة تؤدي إلى العتبات المقدسة (الجنابي) حيث تبدأ من مدينة طوس الإيرانية والبالغ عددهم ٩٩ خاناً وتنتهي جنوب شرق كربلاء (المسرة، د.ت)، وعلى إمتداد الطرق المؤدية إلى مدينة كربلاء تنتشر من هذه الخانات، حيث تبدأ مسيرة المشي قبل يوم الأربعاء ولتكن أول استراحة محطة للزوار عند دخولهم العراق في خان الربع وهي ربع المسافة بين النجف ومدينة كربلاء، ثم يواصلون المشي حتى يصلوا إلى خان النص وهي نصف المسافة بين المدينتين وبذلك كانت الخانات تلعب دوراً حيوياً في تسهيل حركة المسافرين والزوار وضمان راحتهم أثناء سفرهم وتتيح لهم الراحة والأمان، بعدها يواصلون السير حتى يدخلوا مدينة كربلاء (الفتلاوي، ٢٠١٧) كما في الصورة رقم (١)

٢. خانات داخل المدينة:

انتشرت في داخل مدينة كربلاء والتي تعرف حالياً باسم المدينة القديمة العديد من الخانات والتي تجاوز عددها ٦٠ خان معظمها تعرضت إلى تغير في معالمها بسبب توسعة المدينة، إلا ان كتب التراث حفظت لنا أسماء تلك الخانات نذكر ماهو متبقي ومشهور منها خان باشا و خان أبو مدار و خان الددة و خان النقيب (طعمة، ١٩٨٨) فقد كانت الخانات قديماً بالنسبة لزوار الأماكن المقدسة في كربلاء تسهم في توفير ملاذ آمن ومريح خلال رحلتهم الطويلة، اما اليوم أصبحت الفنادق في الوقت الحاضر البديل العصري للخانات .

ثانياً: الحسينيات

وهي منشآت مخصصة لإقامة المجالس الحسينية، وتعد من أكثر الأبنية شيوعاً بين الموالين الشيعة بعد المسجد، وأن الفكرة من إنشاء هذه الحسينيات هو إحياء ذكرى مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بعدما كانت تقام في المجالس في البيوت او نصب خيام عند دخول شهر محرم، ويعود ظهور الحسينيات إلى العصر الصفوي وهناك من يرى أن بناء الحسينيات تعود الى العصر القاجاري. (رؤوف، ٢٠١٧)

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ شيعة العراق إنشاء مباني خاصة لإقامة الشعائر الحسينية للإستقبال الزائرين، مستلهمين هذه الأبنية من التكايا الصوفية إلا إنها تميزت بتسميات خاصة بها تعرف باسم الحسينية (بندكي، ٢٠١٠) ثم إنتشرت الحسينيات بشكل واسع لغرض تقديم الخدمات لزائرين من كل مكان بعد أن قطعوا مسافات طويلة، لذا تميزت مدينة كربلاء المقدسة بكثرة

الحسينيات وتنوع تسمياتها حيث أخذت تسميتها أحيانا بأسماء الواقف للحسينية مثل محمد صالح الموجودة في شارع المخيم، وفي أحيان أخرى تسمى بأسماء المدن مثل الطهرانية أو بأسماء أهل البيت عليهم السلام وهذا يشير أن الحسينيات إنتشرت في كربلاء وكان لها دور فعال في إحياء الزيارة في شهر الحرام ونذكر منها على سبيل المثال :

١. حسينية الإسكوي الحائري: تم تشيد هذه الحسينية من قبل العلامة الشيخ علي بن ميرزا موسى الحائري في سنة ١٩٢١ وتقع هذه الحسينية عند مدخل الزقاق في حي العباسية وتضم هذه الحسينية على قاعة كبيرة لإقامة المآتم الحسينية و تقديم خدمات أخرى منها الإستراحة والمبيت، كما إحتوت على مكتبة موقوفة لصالح الحسينية (الانصاري، ٢٠١٦)

٢. حسينية السيد محمد صالح الحسيني : تم تأسيس هذه الحسينية في عام ١٩٢٥ من قبل السيد عبد الحسين الكيدار آل طعمة وتقع في شارع المخيم الحسيني، ثم وهبها بعد ذلك للسيد محمد صالح الحسيني الذي جعلها وقفاً لخدمة الزائرين، وتضم الحسينية على مصلى يستقبل المصلين في كل الأوقات، إضافة الى غرف وسرداب فضلاً عن مكتبة وخمس دكاكين موقوفة لها (الشاهرودي، ١٩٩٠)

حسينية محلة الشيخ بشار الصافي: تأسست هذه الحسينية بفضل تبرعات أهالي محلة الشيخ بشار الصافي وتم إنشاؤها عام ١٩٢٧ م وتقع في شارع القبلة بكربلاء بهدف إقامة المجالس الحسينية وتقديم كافة الخدمات للزوار القادمين لزيارة الإمام الحسين عليه السلام لغرض إحياء الزيارة الأربعينية (آل طعمة، ٢٠١٩).

والجدير بالذكر ان كوادر مركز كربلاء للدراسات والبحوث قاموا بمسح ميداني في المدينة القديمة في كربلاء لغرض إحصاء المباني القديمة وكان من ضمنها الحسينيات قد بلغ عددها (١٦٥) حسينية ومن أشهرها حسينية المسيب وحسينية الدهاليك وحسينية طوز خورمانو، وتم إلتقاط صور لها عالية الدقة خلال المسح الميداني لغرض التوثيق والحصول على معلومات قبل ان تصل لها معاول الهدم لأن كثير منها تم إزالتها (شيعه ويفز، ٢٠٢٤).

وهذا ما يظهر إن الحسينيات تؤدي دوراً قديماً وحديثاً في مدينة كربلاء المقدسة والمدن الأخرى في تقديم الخدمات منها إقامة المجالس الحسينية والوعظ الديني لتعزيز الثقافة والتعاليم الإسلامية، كما تقوم في تقديم مجموعة من الخدمات المهمة مثل توفير الراحة للزوار خاصة خلال المناسبات الدينية الكبرى مثل زيارة الأربعين حيث تزدحم المدن بالزوار لذا إنتشرت الحسينيات على مختلف الطرق وصولاً إلى داخل مدينة كربلاء وهذا يعزز الروابط الاجتماعية والثقافية والدينية بين الناس.

٣. الأسبلة (السقايا): وهي منشآت خيرية تقام في المناطق التي تعاني من نقص في المياه وقد انتشرت هذه الأسبلة في العمارة الاسلامية بشكل عام، وخاصة في المناطق ذات المناخ الحار وتحوي هذه الأسبلة على صهاريج مخصصة لتخزين الماء العذب، ويتولها شخص معين يكون مسؤول عن تنظيفها وتدويرها (قعقور، ٢٠١٠).

وكان الهدف الأساسي من إنشاء الأسبلة رغبة في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتزويد المارة بالماء مجاناً كل يوم وعلى مدار السنة، وقد أوقفت من قبل منشئها سبيلاً لله سبحانه وتعالى ولذلك عرف باسم السبيل، وقد ألحقت الأسبلة في كثير من الأحيان في العمائر الدينية خاصة في المساجد والتكايا والمرابد ولا يكاد مبنى من هذه المباني يخلو من سبيل، أو في بعض الأحيان يبنى بشكل مستقل (الشافعي، ١٩٧٠).

كانت كربلاء وماتزال مقصداً لزائري ضريح الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، وكما هو معلوم أن مناخ العراق عموماً حار صيفاً لذا يجب توفير الماء للزائرين أثناء إحياء الزيارة الأربعينية والمناسبات الدينية على مدار السنة، وعليه فقد تسابق أهل الخير إلى إنشاء أماكن خاصة تسمى (السبيل) لتوفير الماء العذب للشرب وماء الضوء للزائرين وكانت معظم هذه الأسبلة كتب عليها آيات قرآنية أو عبارات تذكر حالة عطش الحسين عليه السلام وأصحابه يوم عاشوراء وتكون في أماكن قريبة من الضريح حيث يتواجد الزائرين أو الأسواق والبيوت، وتذكر منها سبيل الروضة الحسينية تم تشييده سنة ١٢٨٢ هـ خلال العصر العثماني يقع في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن، ويقع مقابل هذا السبيل سبيل آخر أنشأه المرحوم الحاج حبيب حافظ وفي الجهة الجنوبية من الصحن الحسيني الشريف عند مدخل باب القبلة فقد بني سبيل من قبل الوزير أحمد شكري بن المشير نجيب باشا والي بغداد سنة ١٢٦٤ هـ، بالإضافة إلى ذلك هناك سبيل خارج من دار الحاج علي شاه الذي تأسس ١٣٢٤ هـ ويقع في محلة باب النجف (الطعمة، ١٩٨٨).

يمكن القول ان هذه السقايا والسبل كان لها دور مهم في توفير الماء للزوار، وذلك للإهتمام براحتهم وتلبية إحتياجاتهم أثناء زيارتهم لضريح الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، كما تحمل هذه المبادرة رمزية مهمة في التذكير بعطش الإمام الحسين وأصحابه في واقعة الطف (فعن الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر واغورقت عيناه بدموعه، ثم قال لي: يادود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فما من عبد شرب ماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحط عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة وكأنها أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد (بن قولويه، ١٤١٧)

لذا يتسابق أهل الخير اليوم في مدينة كربلاء المقدسة لتقديم الماء للزوار مما يعزز من الروح الانسانية والخيرية بين المسلمين والموالين وإحياء ذكرى تاريخية تحمل الكثير من المعاني.

٤ . الحمامات:

تعد الحمامات من أهم المؤسسات الصحية في الإسلام لأنها مظهر من مظاهر النظافة والطهارة التي يؤكد عليها الإسلام كونها من الفروض الدينية التي فرضها الإسلام على كل مسلم ((الدولي، ٢٠٠٨) .

ويعود ظهور أولى الحمامات في العراق إلى القرن الأول الهجري في البصرة، ثم إنتشرت الحمامات العامة في المدن العراقية لتحقيق الجانب الديني والصحي لذا حظيت بإهتمام كبير من قبل المسلمين (الانصاري، ١٩٩٨) .

ومن الأسباب التي أدت إلى إنتشار الحمامات العامة في المدن الإسلامية لم تكن هناك حمامات خاصة في البيوت إلا ماندر ومن هنا نشأة فكرة الحمامات العامة ومن ثم تطورت وإزدهرت عمرانيا ومنها كانت مخصصة للرجال إلى جانب الحمامات الخاصة بالنساء(البلاذري، ١٩٥٧) .

وتعد مدينة كربلاء واحدة من المدن التي انتشرت فيها الحمامات العامة في العهد العثماني بكثرة تلبي حاجات السكان في وقت كان فيها المساكن صغيرة وقد تميزت بطراز جمع بين العناصر العمارية العثمانية والفارسية، لكن تميزت عنها بطابع محلي عرفت فيها العمارة في مدينة كربلاء فقد استخدم المعمار الكربلائي مادة الآجر والجص والنورة والقيير الأسود كونه من المواد العازلة إضافة إلى الجدران السمكية أما تسقيفها كان عبارة عن قباب والقبوات ذات العقود الآجرية التي عرفت بها الحمامات الكربلائية (طعمة، ١٩٧٢) .

ولم تكن الحمامات الكربلائية مجرد مكان للنظافة الشخصية بل كانت بمثابة ملتقى اجتماعي وثقافي من مختلف فئات وطبقات المجتمع، إلا إنها قسم منها قد إندرس نتيجة التوسع والتخطيط العمراني الحديث وبعض من هذه الحمامات تواجه خطر الاندثار وتذكر من هذه الحمامات :

١. حمام مالح : وهو من أقدم الحمامات العامة في مدينة كربلاء ويعود تاريخ بناءه إلى القرن العاشر الهجري، ويقع في محلة باب الطاق ويعرف اليوم باسم حمام موسى بن جعفر عليه السلام

٢. حمام الكبيس: تم تشيد هذا الحمام سنة ٩٨٩ هـ وسمي بهذا الاسم نسبته إلى عشرة الكبيسات التي قطنت محلة الكبيس وهي جزء من محلة باب الطاق، وقد أوقف هذا الحمام من قبل الخواجة عيسى محمد الافيهي والموقوف عليه يحيى الجليبي .

٣. حمام المشروطة :في سنة ١٣٢٨ هـ تم بناء هذا الحمام وهو من الحمامات الكربلائية القديمة ويقع في محلة العباسية الشرقية وسمي بهذا الاسم نسباً إلى الحاج اقاة نور الله الاصفهاني هو أحد، قادة الدستور الايراني وكانت إدارة الحمام بيد ابن أخيه الشيخ اسماعيل، اما الآن انتقلت إدارته إلى ابنائه.

٤. حمام سعيد المشروفي: يعود تاريخ هذا الحمام إلى العهد العثماني حيث تم بناؤه في سنة ١٩١٩ م ويقع في باب السلامة في مدينة كربلاء، وتعود ملكيته الى السيد سعيد الشروفي، وقد تم تجديد واجهة الحمام الخارجية والباب القديم باب حديث، ولا يزال الحمام يقدم الخدمات للزبائن حالياً بأجور بسيطة اما في المناسبات الدينية كألزيارة الاربعينية تكون الخدمة مجانية للزائرين (جعفر، ١٩١٩) كما في الصورة رقم (٢) .

٥. حمام البغدادى: يعد هذا الحمام من الحمامات العامة القديمة في كربلاء يقدر عمرة أكثر من قرن، تعود ملكيته إلى السيد مهدي جواد البغدادى ويقع في ساحة البلوش (ساحة الإمام علي حالياً) وبجانبه حمام خاص بالنساء فقط (الأنصاري، ٢٠١٦). كما في الصورة رقم (٣).

كانت الحمامات العامة في مدينة كربلاء المقدسة تلعب دوراً مهماً في الماضي والحاضر لخدمة الزوار خلال الزيارة الأربعين، حيث تقدم هذه الخدمة بشكل مجاني

المبحث الثالث: الزيارة الأربعينية في الأثر اللامادي

١. ركضة طويريج :

تعد ركضة طويريج واحدة من أكبر التجمعات البشرية التي تقام سنويا في العالم لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين وأهاليه عليهم السلام في واقعة الطف المؤلمة وتقام هذه الشعيرة ظهر يوم العاشر من شهر المحرم حيث يتوافد الملايين من الزائرين والمعزين نحو مرقد أبي الأحرار وهم يرددون بصوت واحد لبيك يا حسين خلال مسيرتهم، وتنطلق هذه الحشود التي تحمل طابعا روحانيا وتاريخيا منذ ما يقارب ١٢٥ عاما حيث بدأت كمجلس عزاء في منزل السيد صالح القزويني وهو أحد أفراد عائلة علمية معروفة في قضاء طويريج كان السيد صالح يقرأ المقتل صباح يوم العاشر من محرم في منزله بحضور عدد من المعزين وتروي المصادر التاريخية أن السيد صالح في إحدى السنوات وعند وصوله إلى ذكرى استشهاد الإمام الحسين انفجر الحضور بالبكاء والنحيب في تلك اللحظة طلب بعض المعزين من السيد أن يقودهم نحو ضريح الامام الحسين عليه السلام فأمطى فرسه وتقدم المسيرة باتجاه الضريح المقدس وعندما وصلت الحشود او المسيرة إلى قنطرة السلام وهو أحد أبرز المواقع

على طريق الركضة تزامن ذلك مع رفع أذان الظهر فأقام السيد القزويني صلاة الظهر والعصر جماعة بالمعزين عقب انتهاء الصلاة استكملوا المسيرة حتى وصلوا إلى الضريح الشريف وعلى الرغم من محاولات الأنظمة القمعية السابقة منع إحياء هذه الشعيرة خصوصاً أثناء حكم النظام البعث واستخدامها سياسه المنع والاعتقالات بحق المعزين وبعد سقوط النظام البعث عام ٢٠٠٣ استعادت هذه الشعيرة زخمها وتطورت بشكل ملحوظ عاماً بعد عام لتصل إلى ما هي عليه اليوم كرمز للتعبير عن حب أهل البيت عليهم السلام وتجديد الولاء لقضيه الإمام الحسين الخالدة) الخزرجي، ٢٠١٨).

وشهد الباحث بشكل مباشر هذه التعازي الحسينية حيث تفاعل مع الموروث الديني وعاش تفاصيله عن قرب، فقد ارتفعت أصوات المعزين بالهتافات التي تعبر عن انتصار قضية سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام وتأكيد بالعهد والسير على قيم الثورة الحسينية الخالدة وإيصال رسالتها السامية الى العالم أجمع ويعد عزاء ركضة طويريج من أكبر التجمعات البشرية الأمانة على مستوى العالم ويقام سنويا بمشاركة الملايين من الزائرين لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين واهل بيته واصحابه في واقعه الطف الأليمة يرددون عبارة «واحسين... واحسين». تعبيراً عن نصره الامام وتلييه النداء .

٢. رفع الرايات :

أكثر ما يميز أجواء مدينة كربلاء والمدن العراقية الأخرى هي مظاهر الحزن والحداد من خلال الرايات السوداء التي تغطي العديد من شوارعها ومبانيها المتراسة حيث يربط الكثير من سكان المدينة هذه المشاهد بالشعار الحسينية التي تبدأ في شهر

محرم من كل عام حيث قامت إدارة العتبات المقدسة باستبدال الأعلام الحمراء الموجودة فوق القباب الذهبية لمركدي الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) بأعلام سوداء إعلاناً بقدوم شهر الحرام وذكر الواقعة الأليمة في قلوب الشيعة حيث يشير الحاج عباس الخفاجي أحد أعضاء خدمة هيئة المنطقة العباسية إلى أن رفع الرايات يمثل بداية مراسيم الشعائر الحسينية فيقول بانه في الليلة الأولى من شهر محرم يتم إعداد الأعلام والرايات بجانب جميع مستلزمات المواكب كدلالة على هوية الموكب أو الهيئة أو مجلس العزاء المعقد ويتقدم موكب العزاء في المدينة رجال يرتدون الملابس السوداء ويرفعون الرايات التي تحمل أسماء أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أو بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو عبارات حسينية موالية ومن المهم أن يكون لكل موكب راية تتصدره مكتوب عليها أسماء الإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) كما تتنوع الأعلام والوانها يعكس معاني رمزيه معينه. (النبا، ٢٠١٠).

يقوم الشيعة بإحياء ذكرى عاشوراء عبر الأجيال حيث يحملون الأعلام السوداء في أيديهم المكتوب عليها (يا مظلوم يا حسين، يالثرات الحسين)، للتعبير عن حزنهم وتتسم هذه الأعلام باللون الاسود وهناك أيضا أعلام ذات اللون الأحمر الذي يرمز إلى الدم والشهادة حينما تجسدت هذه الحمرة في السماء عندما قتل الامام الحسين (عليه السلام) في العاشر من شهر محرم في السنة ٦١ هـ، ولون الآخر هو الأخضر وهو شعار آل البيت (عليهم السلام) الذي يرمز الى السلام والمودة والمحبة (حسن، ٢٠٠٧).

٣. عزاء المشاعل :

هو تقليد ديني وموروث شعبي عراقي قديم يمارس في الليالي الثامنة والتاسعة والعاشرة من شهر محرم الحرام، يتضمن هذا التقليد إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث يقوم رجل قوى البنية بحمل المشاعل والتي تعرف باسم الهدوج الحسيني، تكون على هيئة سفينة تحمل مشاعل مشتعلة وهذا النوع مشهور في العديد من المدن العراقية وخصوصاً في مدينة كربلاء ويقال إن قبيلة بني أسد كانت هي من الأوائل في إشعال النيران وحملها نصرة للإمام الحسين عليه السلام (الطبسي. د.ت).

لقد تعددت الأسباب والاقوال حول أصل هذه العادة والغاية منها يقال أن العرب في الماضي كانوا يشعلون النيران ويقرعون طبول الحرب عندما ينون أخذ الثار من قبيلة ما، وكان ذلك يرمز لاستعادة الهيبة وإعلان المواجهة، وفي هذا السياق يرى البعض أن إشعال المشاعل في هذه المناسبة يشير إلى الثار ممن قتلوا الإمام الحسين وأهله وأنصاره إضافة إلى ذلك فإن قرع الطبول وحمل السيوف أثناء حمل المشاعل يضيف على الأجواء مشهداً رمزياً أقرب إلى معركة حرب (ويكيبيديا عزاء، المشاعل، ٢٠٢٣).

وقد روى لنا رجل طاع في السن ذو تجربة وحكمة، إن الجذور العميقة للعزاء وحمل تلك المشاعل كانت في زمن بعيد قبل أن يظهر إختراع الكهرباء في تلك الأيام كان أصحاب المشاعل يضيئون دروب المواكب الحسينية، لم ينس الأجيال اللاحقة تلك التقاليد ولا يزالون يتمسكون بعقب التاريخ وعراقة العادات وقد يكون رأيه صائباً.

٤ . مسيرة الأربعين (المشاية) :

تستقطب الزيارة الأربعينية الملايين من الزوار قاصدين الإمام الحسين عليه السلام بعد إنقضاء أربعين يوم من إستشهادة في العاشر من محرم، حيث يتوجه هؤلاء الزوار من مختلف الدول معلنين النصر والوقوف مع الحق الحسيني ضد الظلم والانتصار للمبادئ التي أراد الإمام الحسين عليه السلام تحقيقها من أجل النهوض بالمسلمين والإسلام الذي حاول يزيد تدنيسه وتزييفه ولهذا توجه الزوار من مختلف البلدان ومن مختلف الثقافات واللغات دون أي عنصرية تثير الفتن وكان الكل مبرمج وفق منهج وطريق واحد سيراً على الأقدام ولم نرى هذا في أي مجتمع أدعى الرقي والأنسانية فالكل هنا يسر على الأقدام نحو قبلة الأحرار لإحياء ذكرى الأربعين أو زيارة مرد الرأس الشريف، وتعود هذه السنة للإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام حيث تذكر الروايات بأن رأس الحسين عليه السلام إعيد إلى جسده بعد ٤٠ يوم من شهادته حينما عاد زين العابدين عليه السلام من الشام ومعه الفواطم ومعهم الرأس الشريف ومن هنا جاءت الزيارة الأربعينية (الطباطبائي، ١٤٣٨هـ).

ويمكن القول منذ ذلك الحين بدأ المواليين من الشيعة بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام خفية بسبب السلطات الحاكمة آنذاك، لكن المقدمات الفعلية التي جعلت إحياء الشعائر الحسينية تنعم بحرية في العراق ترجع الى العهد البويهي من قبل معز الدولة سنة (٣٥٢هـ/٩٦٣م) (ابن الأثير، ١٩٦٥).

وفي القرن التاسع عشر قام رجل الدين ميرزا حسين نوري بإحياء الزيارة الأربعية مشي على الأقدام ثم صار هذا تقليد بين الموالين الشيعة كل عام (الطبرسي). كل زائر هو على يقين تام أن الله سبحانه وتعالى يريد بعباده الخير لذا خص زوار الحسين عليه السلام كرامات لاتعد ولا تحصى لخصوصية زيارة الحسين عليه السلام فإذا هل شهر عاشوراء اكتسى الموالين لباس السواد وأشد البكاء والحزن على مصاب الحسين عليه السلام وماهي إلا مظهر من مظاهر الحب والولاء لأهل البيت عليهم السلام وعليه نشاهد في هذا الشهر العظيم الحشد المليونى كل عام نحو كربلاء لنيل الثواب العظيم فقد ذكر في الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام فضل وثواب المشي على الأقدام نحو ضريح الحسين فعن العباس بن عامر عن جابر المكفوف عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: (من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة) (بن قولويه، ١٤١٧) كما في الصورة رقم (٤).

٥. الموكب الحسيني:

يعرف الموكب الحسيني بأنه تجمع بشري يشكل مسيرة دينية أو اجتماعية يربطهم هدف ومشاعر تمثل في التعبير عن الولاء للإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام ومواساتهم في ذكرى استشهاده، يتم ذلك عبر تنظيم شعبي يهدف إلى إحياء شعائر الإمام الحسين عليه السلام (الحيدري، ٢٠٠٧).

يعود تاريخ نشوء المواكب الحسينية في العراق إلى العهد البويهي حيث أهتم الحكام البويهيين في إقامة المواكب وانطلاقهم على شكل مسيرة لمواساة أهل البيت عليهم السلام (الشهرستاني، ١٩٦٩).

ويتشكل الموكب الحسيني من عدة اعضاء مسؤولين متعاونين على تنظيم الموكب وغالبا ما يكون هؤلاء من وجهاء المدينة لغرض إدارة الموكب وتدير شؤونه الإدارية والمالية وكذلك توجيه المسيرات الشعبية العزائية، بإضافة الى توفير كل ما يحتاج الموكب من أدوات الطبخ لكي يتم تقديم الطعام والشراب بثواب الحسين عليه السلام وكذلك توفير الآلات العزاء من دمامات وزناجيل وسيوف، وغالبا ما يكون التمويل المالي من أعضاء الموكب ومن بعض المتبرعين الذين يدعمون الموكب ويساندونه بمبالغ مالية في سبيل الله وأحياء الشعائر الحسينية (الحيدري، ٢٠٠٧).

تنوعت المواكب الحسينية بعضها يتخذ شكل مجموعة من الموالين يضربون على صدورهم العارية وهي من أكثرها شيوعاً، أما النوع الأخر فهو موكب الزنجيل حيث يضرب المعزون ظهورهم المكشوفة بالسلاسل الحديدية بما يتناسب مع صوت إيقاع القصيدة التي يلقيها الرادود كما في الصورة رقم (٥) (صادق، ٢٠١٦) وعادة ماتكون راجلة وترفع الرايات مع الأصوات الحزينة المعبرة عن الولاء الحسيني بالإضافة إلى مشهد يصور السبايا كيف تحف بهم خيل الإعداء مع وجود الناعي الذي ينعي الحسين بصوت حزين يبكي الحاضرين، وتوجد مواكب أخرى تختلف عما سبق حيث يرتدي المعزين الملابس البيضاء التي ترمز الى الأكفان ثم يملقون رؤوسهم ويضربون مقدمة الرأس بالسيف فتسيل الدماء تعزية للإمام الحسين عليه السلام وتسمى موكب التطبير (الحيدري، ٢٠٠٧).

وقد أعلن قسم الشعائر والمواكب والهيئات الحسينية في العراق عن إحصائيات رسمية بعدد المواكب الحسينية التي قدمت خدماتها الزوار خلال الزيارة الأربعينية لعام ٢٠٢٤ توزعت هذه المواكب على مواقع مختلفة بما في ذلك مدينة كربلاء المقدسة،

تم تسجيل (٢٣٠٠) موكب بينما على محور النجف الأشرف كان هناك (٢٥٠٠) موكب كما تم تسجيل (٣٨١٨) موكب على محور العاصمة بغداد بالإضافة الى (٢٥٠) موكباً تم تسجيل للزوار العرب والأجانب القادمين من خارج العراق (شيعية ويفز، ٢٠٢٤).

وعليه إن دور المواكب الحسينية في الزيارة الأربعينية لا تتوقف على تقديم الطقوس الحسينية مثل اللطم والبكاء، بل يتجلى في عدة جوانب منها توزيع الطعام ومن أشهرها (القيمة النجفية والهريسة) وتقديم الماء مجاناً على جميع الزوار القادمين من مختلف الأماكن كما في الصورة رقم (٦)، كونهم ضيوف الإمام الحسين (عليه السلام) وهذا إمتداد لروح الكرم والضيافة وتخفيف الأعباء عنهم خلال ميسرتهم، فإن عمل المواكب في إحياء الزيارة على توفير الدعم المادي والمعنوي للزوار .

٦. المسرح الحسيني (التشابه)

التشابه : هو تمثيل شعائري من شعائر شهر الحرام يشبه المسرحية الملحمية، لكن لا يرقى الممثلون خشبة المسرح بل تقام في الساحات العامة لتجسيد واقعة الطف عام ٦١ هـ تلك الذكرى الأليمة التي مازالت أثارها حية في ذاكرة المسلمين (المحدثي، ١٩٩٧).

تبدأ التشابه بظهور جيش الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) وجيش يزيد بمعنى ينقسم الممثلون الى قسمين جيش الامام الحسين واهل بيته (عليهم السلام) ذو هبة قرب خيامهم وما يميزهم راياتهم الخضراء والسوداء وملابسهم ذات اللون الاخضر الذي يرمز لأهل البيت (عليهم السلام) والأبيض لأصحابهم، وفي المقابل جيش يزيد بأسلحتهم وراياتهم الحمراء وملابسهم الملونة محاولين تجسيد الواقعة التاريخية، وهذه المشاهد أصبحت عرفاً توثيقاً من الرؤية المباشرة، حيث يقف الجمهور على جانبي مكان العرض ويكون حضورهم طوعي لأنهم متعطشون للمشاهدة ومتهيئون عاطفياً ونفسياً كون أداء

الممثلين عفويًا وملامس للوجدان بطريقة بسيطة ومفهومة لدى عامة الناس لبيان الحقائق في مظلومية الإمام الحسين (ع) وأهل بيته عليهم السلام، وتعود البدايات الأولى لهذه التمثيلية إلى الحقبة البويهية (٣٥١هـ) وأستمرت إلى العصر الصفوي (هالم، ٢٠١١)، ثم أصبحت أوسع انتشاراً في العهد القاجاري على أثر فتوى ميرزا القمي بإجازة إقامة التشابه ونقل وقائع مظلومية الحسين عليه السلام في شهر محرم من كل سنة (طاهري، ٢٠٠٧).

وفي سنة ١٩١٧م بدأت الطقوس الحسينية في مدينة كربلاء المقدسة تقام على هيئة عرض مسرحي في خان يحتوي على قاعة عرض الذي يقع خلف المخيم الحسيني، في ذلك الوقت كان مقهى الزوراء في شارع العباس عليه السلام (البنائي، ٢٠٢٢).

كان ومازال المسرح الحسيني (التشابه) في مدينة كربلاء والمدن الأخرى يلعب دوراً مهماً في إحياء وتجسيد الأحداث التاريخية لكي يتم من خلالها تعزيز فهم المشاهدين للحقائق التاريخية والدينية، لذا تعد التشابه هي وسيلة تعليمية بصورة بسيطة لتمير الرسائل الدينية للأجيال، فضلاً عن دورها في تجسيد ثورة الحسين عليه السلام وأهدافها المرتبطة بالتضحية والعدل وترسيخ قيم الشجاعة مما يساهم الحفاظ على الهوية الدينية الشيعية. كما في الصورة رقم (٧).

٧. القصائد الحسينية (الثناء)

وإذا ما تكلمنا عن الرثاء فلا بد وأن تتبادر إلى الأذهان قصة الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام التي أضافت على باب الرثاء جمال مابعدھا جمال من خلال صورھا اللامحدودة في إتجاهات مختلفة ناشئة من وجدان الشعوب بطبقاتھا المتفاوتة، الذي لم تحظ أي شخصيته مثل سبط الرسول (ص) بهذا القدر في نفوس الشعراء حول مأساة ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام وهذا يدل مدى تأثير واقعة الطف وبقائها حية رغم مرور القرون على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وتجزرها في وجدان الشيعة (الكر بلاسي، ٢٠٠٨).

والرثاء هو التفجع على الميت وإبراز الحزن عليه وتصوير الفقدان الذي نتج عن رحيلة وتعداد فضائله وصفاته الحسنة وتحميل الأشعار التي تشمل عادة فيضاً من المشاعر ودعوة للتأمل في حقيقة الحياة وأن بلغ الأمر إلى الصراخ والعيويل والرثاء هو إنبعاث الشكوى من النفس وإحساس بالحزن اسفاً على فقيده غادر الحياة وترك فراغاً امتلأ بالأهات والآسى وعبرات وحزن مخلف جواً مشحوناً بشحن الألم وحسرات ودموع تترقق في العين (حميدي، ٢٠١٤).

لقد غطت ثورة الإمام الحسين عليه السلام تهبج المشاعر والأفكار في قلوب الشعراء لأن تلك الواقعة ليس في الدنيا حادثة إلا واقعة كربلاء التي زعزت العالم وأثرت في النفوس واثارت لوعة الشعراء منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة، حيث تشكلت قصائد ذلك الأدب الغني والشعر الفياض الذي ملأ مئات الدواوين والمجلات لإحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام معبرين عن مصيبة وتفاصيل الواقعة (بشير، ١٩٦٩).

وتؤكد المصادر التاريخية إن البدايات الأولى لثناء الحسين عليه السلام عندما رجع الإمام زين العابدين عليه السلام وموكب السبايا من الشام متوجهين إلى المدينة، قيل ان الإمام زين العابدين عليه السلام طلب من بشير بن حذلم ان يعي الإمام الحسين عليه السلام باعتبار الشعر في تلك الفترة أهم وسيلة اعلام وقد عرفت أهل المدينة مقتل الحسين عليه السلام عن طريق الرثاء، فلما دخل بشير بن حذلم المدينة وبلغ المسجد رفع صوته بالبكاء وأنشأ يقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتِلَ الحُسَيْنُ فَأَدْمَعِي مِدْرَأُ
الجِسْمُ مِنْهُ بِكَرْبَلَاءَ مُصْرَجُ والرَّأْسُ مِنْهُ عَلَى القَنَاةِ يُدَارُ

وبعد فترة قليلة من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بدأ الشعراء في القرن الاول الهجري بالقدوم على قبر الحسين عليه السلام لثنائه بأبيات شعرية مثل عقبة بن عمرو السهمي (جواد، ١٩٦٩) وسليمان بن قتة وغيرهم من الشعراء (ابن التائير)، ومنذ ذلك الحين نالت قضية الإمام الحسين عليه السلام إهتمامات الشعراء لذا أستمر الرثاء الحسيني حتى أضحت القصيدة الحسينية على مدى أزمان طويلة تمثل أدباً نابضاً في وجدان الشعراء جيلاً بعد جيل في وجدان الشعراء فندمج صوت الشاعر مع فاجعة الإمام وأهل بيته عليهم السلام، ومن الشعراء المعاصرين هو الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري الذي رثى الإمام الحسين عليه السلام في قصيدة (أمنت بالحسين) التي ألقاها عام ١٩٤٧ (الجواهري، ١٩٧٣، ج ٣، ص ٢٣١).

والجدير بالذكر إن رثاء الحسين عليه السلام شهد تحولاً تمثل بظهور ما يُعرف بالمشد الحسيني (الرادود) حيث يقرأ الأبيات الشعرية بصوت ولحن حزين مع اللطم على الصدور ومن أبرز الروايد القدماء حمزة الصغير وياسين الرميثي، ويشير لنا التاريخ أن أول ناظم حسيني هو احمد المزوق، هذا ما جاء في رواية ابن عبد الرحيم حدثني الخالغ حيث يقول: كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة، وانا صبي في مجلس اللبودي في المسجد بين الوراقين والصاغة وهو غاص بالناس، وإذا رجل قد وافى فسلم على الجماعة بصوت يرقعه ثم قال أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، فقالوا مرحبا بك وأهلاً ورفعه، فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: ها هو جالس، فقال: رأيت مولانا عليه السلام في النوم فقالت لي امض إلى بغداد واطلبه وقل له نح على إبنني بشعر الناشئ الذي يقول فيه:

بني أحمد قلبي لكم يتقطع بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

وكان الناشئ وهو الشاعر علي بن عبد الله البغدادي حاضراً فلطم لطمًا عظيمًا على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم، ثم ناحوا بهذه القصيدة، وعلية فإن اول رادود حسيني في التاريخ هو احمد المزوق (الحموي، ١٩٩٣).

لذا فإن دور المشد (الرادود) منذ القدم وحتى الآن هو نشر الثقافة الحسينية والقيم المرتبطة بينها وبين الزوار من خلال توجيه وتنظيم المراسيم الدينية والمواكب مما يضمن سيرها بانتظام وفقاً للأنماط التقليدية، ثم تحفيز الحضور من خلال الأشعار الحسينية بصوت ولحن حزين التي تذكرهم بمآثر الإمام الحسين عليه السلام وغرس الشعور بالإنتماء للمذهب الشيعي من خلال إحياء طقوسهم وإشعال الحماس في قلوب المعزين.

نتائج البحث:

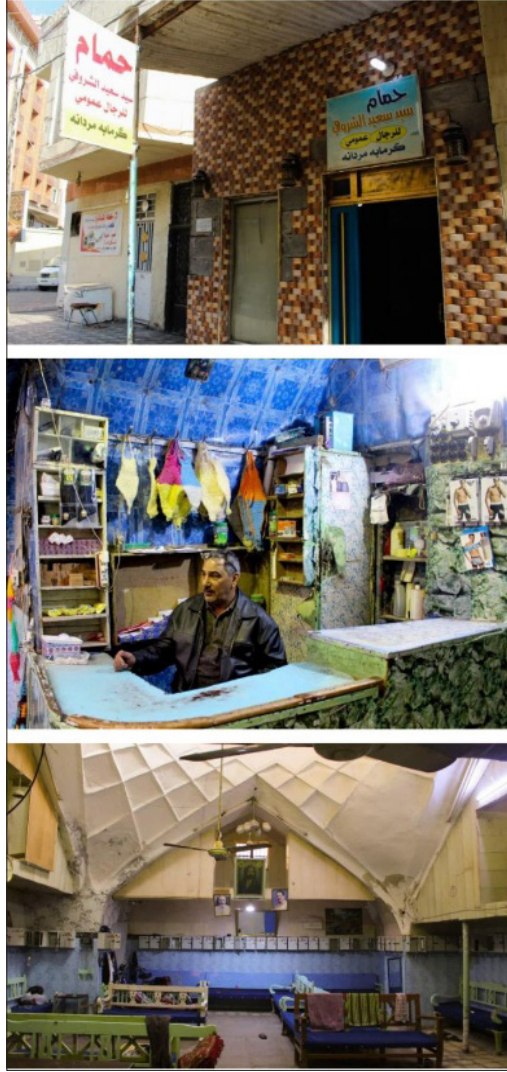
١. من مختلف دول العالم تحرص على إبراز موروثاتها الثقافية والحفاظ عليها وإدراجها ضمن منظمة اليونسكو وعليه يعد الموروث الديني في العراق، اي الثقافة الحسينية إحدى الموروثات الهامة .
٢. بسبب مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية فقدت مدينة كربلاء المقدسة العديد من المباني الأثرية القيمة، والتي كانت تمثل جزءاً مهماً من إحياء شعيرة الأربعينية وللأسف قلة الوعي والأهتمام بين السكان بأهمية هذه المعالم التاريخية والأثرية تجعلها عرضة للإهمال والاندثار مما يثير مشاعر الحزن كونها تمثل إرث حضاري مهم بالرغم هناك جهوداً دولية تبذل تتجلى في اتفاقيات عالمية لحماية هذه المواقع إلا ان التحديات تبقى قائمة، ويبدو أن هذا الإرث التاريخي لا يزال يواجه خطر الإندثار .
٣. ان إحياء الزيارة الأربعينية هي تعبير جماعي من قبل المسلمين عن الوفاء والتأكيد على الاستمرار في نشر القيم والعدالة التي يمثلها الإمام الحسين عليه السلام.
٤. يعتبر الرثاء الحسيني وسيلة فعالة لإحياء ثورة الحسين عليه السلام من خلال استذكار الأحداث التاريخية بأسلوب مؤثر في قلوب المعزين
٥. دور المآتم الحسينية دوراً محورياً في تنظيم المحاضرات الدينية التي تهدف الى إحياء القيم النبيلة وأهداف النهضة الحسينية، فضلاً عن الحفاظ على جذورها المتأصلة ففي تلك اللحظات الراقية يكتسي المؤمنون لباس السواد ويخوضون في هذه المجالس بروح تملؤها الطاعة والوفاء واستذكار اقوال وافعال أهل البيت عليهم السلام لتبقى خالدة في نفوسهم لا تنسى تتوارث عبر الاجيال .

٦. دور المعزين في إحياء الزيارة الأربعينية يتمثل في إستقبال الزوار القادمين من مختلف المدن في داخل أو خارج البلد حيث يتم توزيع الطعام والشراب على محبة الحسين (عليه السلام)، بالإضافة الى تأمين أماكن الدينية للإستراحة والنوم، يعتبر هذا الدور جزء من ثقافة الكرم الإيثار التي ترافق هذه المناسبة الدينية كل عام لتسهيل رحلة الزوار وضمان راحتهم فهم ضيوف الإمام الحسين (عليه السلام).



خانات القوافل (خان الربع)
صورة رقم (١)

المصدر: <https://www.annabaa.org/arabic/print/4212>



حمام سعيد الشروفي
صورة رقم (٢)

المصدر: <https://karbala-intel.net/arabic/3758>



حمام البغدادي

صورة رقم (٣)

المصدر: https://www.holykarbala.net/v2/Index.php/en/media-gallery/202?category_id=155



مسيرة الاربعية صورة رقم (٤)

المصدر : <https://akhbaralsudan.com/%D8%A7%D9%88%D8%B3%85%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%87%D9%AF-%D9%84%D8%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%85%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%D9%88%86-%D8%AB%D9%8A%D9%A3%D8%B1%D8%A8%D8%B9%D9>



موكب حسيني

صورة رقم (٥)

المصدر : <http://437853/AR/com.shafaqna.iraq/>

توزيع الطعام على الزائرين
صورة رقم (٦)



المصدر: <https://alkafeel.net/news/Index?id=8255>

المصادر

١. آل طعمة، سلمان هادي. (٢٠١٩). تاريخ مساجد كربلاء وحسينياتها. كربلاء: مركز إحياء التراث الثقافي والديني، سلسلة تراث كربلاء الثقافي (٢٤)، ص ١٧٦.
٢. ابن الأثير، عز الدين محمد. (١٩٦٥). الكامل في التاريخ (ج ٨، ص ٥٤٩). بيروت: دار صادر.
٣. ابن التاثير. (دون تاريخ). البداية والنهاية. تحقيق علي شيري. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٨.
٤. ابن قولويه، جعفر بن محمد. (١٤١٧هـ). كامل الزيارات. تحقيق الشيخ جواد القيومي. قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٢١٢، ٢٥٥.
٥. الأنصاري، رؤوف محمد علي. (١٩٩٨). الحمامات الإسلامية في العراق. صحيفة الحياة، (١٢٤٨٩)، ص ٢١.
٦. الأنصاري، رؤوف محمد علي. (٢٠١٦). كربلاء: الحضارة والتاريخ (ص ٢٣٤، ٢٨٤). بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٧. الباحث الدولي، علي. (٢٠٠٨). الحمام الإسلامي: قراءة في الفكر المعماري والعمراني العربي والإسلامي. تونس: جامعة الزيتونة، المعهد العالي لأصول الدين، ص ٣١٧.
٨. الباشا، أحمد بن يحيى البلاذري. (١٩٥٧). فتوح البلدان. تحقيق رضوان محمد رضوان. القاهرة: دار صلاح المنجد، ص ٣٥٥.
٩. البناي، سلام محمد. (٢٠٢٢). من تاريخ المسرح الحسيني في كربلاء. مجلة تراث كربلاء، (١٦)، ص ٥٧.
١٠. البيروني، أبو الريحان محمد. (دون تاريخ). الآثار الباقية عن القرون الخالية. بغداد: مكتبة المثنى، ص ٣٢١.
١١. بندكي، روبر. (٢٠١٠). الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية.

- بيروت: دار المشرق، ص ١٢٧.
١٢. بشير، جواد. (١٩٦٩). أدب الطف أو شعراء الحسين. بيروت: منشورات الأعلمي، ص ١٨، ٥٢.
١٣. جعفر، زين العابدين موسى. (١٩١٩). الحمامات التراثية في العراق. رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ص ٦٧.
١٤. الجابري، مجتهد أبو الهيل. (٢٠١٢). المشاية في مراسيم الزيارة الأربعينية. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص ١٦.
١٥. الجواهري، محمد مهدي. (١٩٧٣). ديوان الجواهري (ج ٣، ص ٢٣١). بغداد: وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة.
١٦. الجنابي، طارق جواد. (دون تاريخ). حضارة العراق (ج ١٠، ص ٣٥٣).
١٧. جواد، أحمد، وسوسة، مصطفى. (١٩٥٨). دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص ٢٠٦.
١٨. الحداد، محمد حمزة إسماعيل. (٢٠٠٢). العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية (ج ١، ص ٢٤٠). الكويت: جامعة الكويت.
١٩. الحمداني، طارق نافع، والشحلي، صباح إبراهيم. (١٩٨٨). المدينة والحياة المدنية (ج ٢، ص ٣٤٢). بغداد: دار الحرية.
٢٠. الحديثي، علي خليل إسماعيل. (١٩٩٣). حماية الممتلكات الثقافية في القانون الدولي. عمان: دار الثقافة، ص ١٢٦.
٢١. الحيدري، إبراهيم. (٢٠٠٧). تراجم كربلاء: سوسولوجيا الخطاب الشعبي. إيران: دار الكتب الإسلامي، ص ١٠٣-١٠٥.
٢٢. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله. (١٩٩٣). معجم الأدباء: إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب (ج ٤، ص ١٧٨٩). تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٢٣. رؤوف، عماد عبد السلام. (٢٠١٧). تاريخ الوقوف على التعزية الحسينية وإنشاء

- الحسينيات. مجلة السبب، (٥)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ص ١٤.
٢٤. رشو، خليل جندي. (٢٠٢٤). الإيزيدية ما بعد داعش: مواجهة التحديات والتفكير في المستقبل. القاهرة: شمس للنشر.
٢٥. رشيد، نضير الخزرجي. (٢٠١٨). سفر الخلود من مملكة الضباب إلى جمهورية القباب (ج ١). بيروت: لبنان.
٢٦. رؤوف، محمد علي الأنصاري. (٢٠١٦). كربلاء: الحضارة والتاريخ. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ص ٢٨٤.
٢٧. سامح، جمال الدين. (١٩٨٢). العمارة في صدر الإسلام (ص ٧٧). القاهرة.
٢٨. السعدي، انتصار عبد عون محسن. (٢٠١٧). المسار التاريخي لزيارة الأربعين (النشأة والتطور). مجلة السبب، (٤)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ص ٨٣.
٢٩. السعدي، وسام نعمت إبراهيم. (٢٠١٥). تطور وظائف المنظمات الدولية غير الحكومية وأثره في واقع المجتمع الدولي المعاصر. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ص ٥٩.
٣٠. الشافعي، فريد. (١٩٧٠). العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة) (ج ١، ص ٢٥٢). القاهرة.
٣١. شطي، علي. (٢٠٢٣). التراث الثقافي المادي وغير المادي لمدينة المغير (ج ١، ص ١٣). الجزائر: دار ومضة.
٣٢. صادق، جعفر. (٢٠١٦). استراتيجية الشعائر الدينية عند الشيعة الإمامية. بيروت: جيكور للطباعة، ص ٩٠.
٣٣. الطبسي، محمد جعفر. (دون تاريخ). مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام (ج ٥، ص ١٤٤). مكتبة مؤمن قريش.
٣٤. الطباطبائي، محمد علي. (١٤٣٨هـ). رجوع الركب بعد الكرب. تحقيق محمد الكاظمي، ص.

٣٥. الطبرسي، حسين نوري. (دون تاريخ). النجم الثاقب (ج ١، ص ١٧). قم: مطبعة أنوار الهدى.
٣٦. طعمة، سلمان هادي. (١٩٧٢). الحمايات الشعبية في كربلاء. مجلة التراث الشعبي البغدادية، (١٢)، ص ٦١.
٣٧. طعمة، سلمان هادي. (١٩٨٨). كربلاء في الذاكرة (ص ١٧٢، ١٨٣-١٨٤). بغداد.
٣٨. عبد الباقي، إبراهيم محمود. (٢٠٠٨). الخطاب العربي المعاصر: عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية (ص ٦١). الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي.
٣٩. عبد المجيد، دعاء إبراهيم. (٢٠١٥). دور مؤسسات وجمعيات المجتمع المدني في مراقبة العملية الانتخابية. المنصورة: دار الفكر للنشر، ص ١١٥.
٤٠. العلوي، محمد علي الحسن. (١٩٨٣). فضل الزيارة الأربعين. تحقيق أحمد الحسيني. قم: مكتبة آية الله المرعشي العامة، ص ٦٨.
٤١. الفتلاوي، علي عبد الجليل. (٢٠١٧). الشعائر الحسينية في كربلاء المقدسة: دراسة تاريخية في التأسيس والتطورات حتى عام ١٩٥٨. رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة كربلاء، ص ١٢٤.
٤٢. القعقور، فداء محمد أحمد. (٢٠١٠). الأسبلة المائبة في العمارة الإسلامية. أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح، نابلس، ص ١٥.
٤٣. الكنعانة، شريف. (٢٠١١). دراسات في الثقافة والتراث والهوية. رام الله: فلسطين، ص ٢١٩.
٤٤. كاسب، محمد أحمد علي. (٢٠٢٠). المسؤولية الدولية لحماية التنوع الأحيائي والبيئة في الفضاء الخارجي من أضرار التلوث في إطار المعاهدات الدولية. القاهرة:

- المصرية للنشر، ص ٣٩.
٤٥. الكربلاسي، محمد صادق. (٢٠٠٨). المدخل إلى شعراء الحسين. لندن: المركز الحسيني للدراسات، ص ٥٤.
٤٦. المحدثي، جواد. (١٩٩٧). تعريب موسوعة عاشوراء. ترجمة خليل زامل العصامي. بيروت: دار الرسول الأعظم، ص ٩٦.
٤٧. المحذوري، سليمان، والنوفلي، مجيد. (٢٠٤٢). الثقافة العمانية في اليونسكو. الجمعية العمانية، ص ٥٦.
٤٨. معلا، طلال. (٢٠١٧). التراث الثقافي غير المادي: تراث الشعوب الحي. مجلة أوراق دمشق، (٤)، سورية: مركز مداد للأبحاث والدراسات، ص ٢.
٤٩. مخاط، محمد ثامر، والشدود، عدنان محمد. (٢٠١١). الحماية الدولية للممتلكات الثقافية: دراسة تطبيقية على الممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار. مجلة الحقوق، ٤(١٥)، بغداد، ص ١٣.
٥٠. النعيمي، وفاء عبد المفتاح عواد. (٢٠٠٦). ضمانات حقوق الإنسان في مواجهة سلطة الإدارة في إصدار القرار الإداري. رسالة ماجستير، كلية القانون، بغداد، ص ١٢٣.
٥١. الهاشمي، حسين نوري الطبرسي. (دون تاريخ). النجم الثاقب، المحقق ياسين الموسوي. قم: مطبعة أنوار الهدى، ج ١، ص ١٧.
٥٢. هاينس، هالم. (٢٠١١). الشيعة. ترجمة محمود كيبو. بغداد: مطبعة الوراق، ص ٦٠.
٥٣. وردى، محمد. (٢٠١٦). دروب الحداثة. الإمارات: دار حمائل، ص ٩٥.
٥٤. اليونسكو. (دون تاريخ). اتفاقية التراث العالمي (World Heritage Convention).
٥٥. نافعة، حسن. (١٩٧٨). العرب واليونسكو. الكويت: المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، ص ٤١ .

٥٦. النعيمي، وفاء عبد المفتاح عواد. (٢٠٠٦). ضمانات حقوق الإنسان في مواجهة

سلطة الإدارة في إصدار القرار الإداري. رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ص ١٢٣ .

٥٧. هالم، هاينس. (٢٠١١). الشيعة. ترجمة محمود كيبو. بغداد: مطبعة الوراقة،

المصادر الإلكترونية:

٥٨. اليونسكو. (دون تاريخ). UNESCO Official Website. تم الاسترجاع من:

<https://www.unesco.com>

٥٩. المكتبة الوطنية العراقية. (دون تاريخ). روافد العدد ١٦٤. تم الاسترجاع من:

<https://www.iraqnl.gov.iq/fp/rawafid%20164/test25.htm>

٦٠. المسرة. (دون تاريخ). موقع المسرة الإخباري. تم الاسترجاع من: [https://](https://almasra.iq/21027)

almasra.iq/21027

٦١. النبا. (٢٠١٠). موقع النبا الثقافي. تم الاسترجاع من: <https://annabaa.org/>

[073/munasbat/ashura/1431.htm](https://annabaa.org/073/munasbat/ashura/1431.htm) .

٦٢. شيعة ويفز. (٢٠٢٤). قسم الشعائر والموكب الحسينية. تم الاسترجاع من:

<https://shiwaves.com/arabic/news> /١٥٨٥٥٢ .

٦٣. ويكيبيديا العربية. (دون تاريخ). عزاء المشاعل. تم الاسترجاع من: [https://](https://ar.wikipedia.org/wiki/عزاء_المشاعل)

ar.wikipedia.org/wiki/عزاء_المشاعل .

دور رؤساء الأقسام الأكاديميين
في تعزيز جودة التعليم

م.م نبدأ عبد اللطيف عباس
جامعة كربلاء

m022156824@s.uokerbala.edu.iq

م.م سمية عبد الله الموسوي
جامعة كربلاء

naba.abedallatef@uokerbala.edu.iq

الملخص

هدفت الدراسة إلى استكشاف دور الرؤساء الأكاديميين في تعزيز جودة التعليم في المؤسسات التعليمية. وأظهرت النتائج أن الرؤساء الأكاديميين يلعبون دورًا حاسمًا في تعزيز جودة التعليم من خلال تطوير مهاراتهم القيادية وأسلوب قيادتهم وتأثيره على المؤسسة التعليمية والتوجه نحو تطوير المناهج الدراسية حيث يعمل الرؤساء الأكاديميون على تحديث المناهج الدراسية لتلبية احتياجات سوق العمل والطلاب. ودعم الأساتذة حيث يقدم الرؤساء الأكاديميون الدعم والتدريب للأساتذة لتحسين جودة التدريس. كما يقوم الرؤساء بتوفير الموارد حيث يعمل الرؤساء الأكاديميون على توفير الموارد اللازمة للطلاب والأساتذة، بما في ذلك التكنولوجيا والمرافق التعليمية.

إضافة إلى تعزيز الثقافة الأكاديمية حيث يعمل الرؤساء الأكاديميون على تعزيز الثقافة الأكاديمية والبحث العلمي في المؤسسة التعليمية.

أوصت الدراسة بضرورة:

1. توفير التدريب للرؤساء الأكاديميين: يجب توفير التدريب والموارد اللازمة للرؤساء الأكاديميين لتمكينهم من أداء دورهم بفعالية.
 2. تعزيز المشاركة: يجب تعزيز المشاركة بين الرؤساء الأكاديميين والأساتذة والطلاب لضمان جودة التعليم.
 3. تقييم الأداء: يجب تقييم أداء الرؤساء الأكاديميين بانتظام لضمان تحقيق الأهداف التعليمية.
- الكلمات المفتاحية: الرؤساء الأكاديميون، جودة التعليم، الإدارة الأكاديمية، دعم الأساتذة، الموارد التعليمية، الثقافة الأكاديمية.

The Role of Academic Leaders in Enhancing the Quality of Education

Asst. Lecturer Naba Abdul Latif Abbas

University of Karbala

Asst. Lecturer Somaya Abdullah Al-Moussawi

University of Karbala

Abstract:

This study aimed to explore the role of academic leaders in enhancing the quality of education in educational institutions. The results showed that academic leaders play a crucial role in enhancing the quality of education through developing their leadership skills and style, updating curricula to meet the needs of the labor market and students, supporting faculty members, providing necessary resources, and promoting academic culture. The study recommended the need to:

1. Provide training for academic leaders.
2. enhance participation among academic leaders, faculty members, and students.
3. Regularly evaluate the performance of academic leaders.

Keywords: Academic leaders, quality of education, academic management, and faculty support, educational resources, academic culture.

في البيئة الأكاديمية الديناميكية اليوم، تطورت وظيفة الرؤساء الأكاديميين من مهام إلى ما هو أبعد من مجرد مهام مسؤوليات إدارية بسيطة لتصبح حاسمة لإدارة أقسام الجامعة وتوجيهها الاستراتيجي. أصبح الرؤساء الأكاديميين الآن مسؤولين ليس فقط عن ضمان حسن سير العمل في أقسامهم، ولكن أيضًا عن التحصيل الأكاديمي لمعلميهم وطلابهم. وقد دفعت ضرورة تكيف الجامعات مع المشكلات الجديدة، مثل التنافس العالمي المتزايد، والطلب على أساليب تدريس مبتكرة، والتوقعات المتزايدة لإنجازات الطلاب، إلى هذا التحول في المسؤوليات (باركر، ٢٠٢٠؛ سالازار، ٢٠٢١). ونتيجة لذلك، أصبح رؤساء الأقسام الآن حراسًا أساسيين للجودة الأكاديمية، ويحتاجون إلى تعزيز التعاون بين الموظفين وأعضاء هيئة التدريس والإدارة بالإضافة إلى امتلاك صفات قيادية قوية (ماك إيوان، ٢٠١٩؛ تايلور وزيمرمان، ٢٠٢٠).

يعتمد تحقيق التحصيل الأكاديمي الآن بشكل كبير على القيادة والمساءلة نظرًا لزيادة واجبات الرؤساء. يُعد رؤساء الأقسام أمرًا بالغ الأهمية في ضمان توافق أهداف الأقسام مع الأهداف المؤسسية، وهي عملية تتطلب كلاً من المسؤولية التشغيلية والإشراف الاستراتيجي، وفقًا لدراسة أجراها لوكوود وآخرون (٢٠١٩). لكن تحقيق هذه الأهداف ليس خاليًا من الصعوبات. تشمل العوائق الكبيرة أمام القيادة الناجحة أشياء مثل نقص الموارد والضغط السياسية داخل المؤسسات والحاجة إلى تحقيق توازن بين المسؤوليات الإدارية والأكاديمية (جوردون وموريسون، ٢٠١٨؛ شارما وشيلر، ٢٠٢٠). وبالتالي، لكي يكونوا فعالين، يجب أن يكون لدى رؤساء الأقسام وعي شامل بكل من القيادة الأكاديمية والبيئة المؤسسية الأوسع التي يعملون فيها (مور، ٢٠٢١؛ كلارك، ٢٠١٩).

تتناول هذه الدراسة المهام القيادية المهمة لرؤساء الأقسام، بالإضافة إلى كيفية تأثير أسلوب قيادتهم بشكل مباشر على تحصيل الطلاب. تسعى هذه الدراسة إلى توضيح كيفية تضافر القيادة والمساءلة لتعزيز التحصيل الأكاديمي والتميز المؤسسي من خلال استكشاف الدور المتغير لرؤساء الأقسام في إدارة الجامعات. يكمن جوهر هذه الحجة في إدراك أن القيادة لا تقتصر على إدارة الأفراد والموارد، بل تشمل تهيئة بيئة تشجع على الإبداع والعمل الجماعي والأداء العالي (غفار، ٢٠٢٠؛ دويغولو، ٢٠٢١).

بالنظر إلى جميع الجوانب، يُمكن لرؤساء الأقسام تهيئة مناخ أكاديمي نابض بالحياة يدعم تطوير أعضاء هيئة التدريس، وإنجاز الطلاب، والتقدم المؤسسي من خلال ممارسة القيادة الفعالة والمساءلة. ومن المهم أكثر من أي وقت مضى أن يكون للجامعات رؤساء أقسام ذوي رؤية، مسؤولين ومتعاونين. وبناءً على ذلك، يُمكن لرؤساء الأقسام التأثير على كيفية تطور التعليم العالي في المستقبل من خلال ضمان استمرار أقسامهم في الريادة في الإنجاز الأكاديمي (باركر، ٢٠٢٠؛ جوبتا ودي، ٢٠١٩).

الدراسات السابقة

تعد الدراسات السابقة عنصرًا أساسيًا في أي بحث علمي، حيث توفر خلفية نظرية وعملية للبحث، وتساعد في تحديد الفجوات المعرفية التي يمكن أن يسدها البحث الحالي. في هذا الفصل، سنستعرض الدراسات السابقة التي تناولت دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تعزيز جودة التعليم العالي، بهدف تحديد النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الدراسات، والاستفادة منها في تصميم وتنفيذ البحث الحالي. من خلال استعراض الدراسات السابقة، ستمكن من فهم أفضل للعلاقة بين دور رؤساء الأقسام الأكاديمية وجودة التعليم العالي، وتحديد العوامل التي تؤثر على أدائها في هذا السياق. كما ستمكن من تحديد الفجوات المعرفية التي يمكن أن يسدها البحث الحالي، وتطوير فرضيات وأسئلة البحث التي ستجيب عليها الدراسة. في هذا الفصل، سنناقش الدراسات السابقة من حيث أهدافها، ومنهجياتها، ونتائجها، وتوصياتها، بهدف توفير خلفية شاملة للبحث الحالي، وتحديد مساهمته في المعرفة العلمية في هذا المجال.

ومن أهم هذه الدراسات:

١. دراسة «دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تحسين جودة التعليم العالي»:
- الباحث: محمد عبد الله آل الشيخ
- سنة البحث: ٢٠١٨
- الأهداف: استكشاف دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تحسين جودة التعليم العالي.

- المنهجية: المنهج الوصفي التحليلي.
- النتائج: أظهرت النتائج أن رؤساء الأقسام الأكاديمية يلعبون دورًا هامًا في تحسين جودة التعليم العالي.
- التوصيات: أوصت الدراسة بضرورة تعزيز دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تحسين جودة التعليم العالي.
- مساهمتها في المعرفة العلمية: تساهم هذه الدراسة في فهم دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تحسين جودة التعليم العالي، وتوفر أساسًا للباحثين في هذا المجال.
- ٢. دراسة «تأثير قيادة رؤساء الأقسام الأكاديمية على جودة التعليم في الكليات»:
 - الباحث: فاطمة محمد النعيمي
 - سنة البحث: ٢٠٢٠
 - الأهداف: استكشاف تأثير قيادة رؤساء الأقسام الأكاديمية على جودة التعليم في الكليات.
 - المنهجية: المنهج التجريبي.
 - النتائج: أظهرت النتائج أن قيادة رؤساء الأقسام الأكاديمية لها تأثير إيجابي على جودة التعليم في الكليات.
 - التوصيات: أوصت الدراسة بضرورة توفير التدريب والموارد اللازمة لرؤساء الأقسام الأكاديمية.
 - مساهمتها في المعرفة العلمية: تساهم هذه الدراسة في فهم تأثير قيادة رؤساء الأقسام الأكاديمية على جودة التعليم في الكليات، وتوفر أساسًا للباحثين في هذا المجال.

٣. دراسة «دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تعزيز جودة البرامج الأكاديمية»:

- الباحث: علي عبد الرحمن الحمد
- سنة البحث: ٢٠١٩
- الأهداف: استكشاف دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تعزيز جودة البرامج الأكاديمية.
- المنهجية: المنهج الوصفي التحليلي.
- النتائج: أظهرت النتائج أن رؤساء الأقسام الأكاديمية يلعبون دورًا هامًا في تعزيز جودة البرامج الأكاديمية.
- التوصيات: أوصت الدراسة بضرورة تعزيز دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تعزيز جودة البرامج الأكاديمية.
- مساهمتها في المعرفة العلمية: تساهم هذه الدراسة في فهم دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تعزيز جودة البرامج الأكاديمية، وتوفر أساسًا للباحثين في هذا المجال.
- هذه الدراسات وغيرها تساهم في فهم دور رؤساء الأقسام الأكاديمية في تحسين جودة التعليم العالي، وتعزيز جودة البرامج الأكاديمية، وتوفر أساسًا للباحثين في هذا المجال

الفصل الثاني الخلفية النظرية للبحث

دور رؤساء الأقسام في إدارة الجامعة :

بعد أن ترسخت الخلفية الأوسع لمسؤوليات رؤساء الأقسام في حوكمة الجامعات وأهميتها، من الضروري دراسة مساهمتهم المتنوعة بمزيد من التفصيل. على الرغم من أن رؤساء الأقسام غالبًا ما يُنظر إليهم من منظور إداري، إلا أن تأثيرهم يتجاوز الإدارة البسيطة ليشمل تطوير أعضاء هيئة التدريس، والقيادة الأكاديمية الاستراتيجية، وخلق بيئة داعمة للبحث والتعلم. تُرسي الواجبات الإدارية أسس النجاح الأكاديمي؛ وبالتالي، تتشابه وظائفهم بشكل وثيق (غونزاليز وهيلي، ٢٠١٨؛ مور، ٢٠٢١). يُعدّ القيام بدور قيادي مزدوج، يُسهم في سد الفجوة بين متطلبات القسم وأهداف المؤسسة وضمان توافقها، من أهم واجبات رئيس القسم. فبالإضافة إلى الحفاظ على القانون والنظام، تتولى هذه القيادة الإدارية مسؤولية صياغة وتوجيه الخيارات الاستراتيجية التي تؤثر على بيئة الجامعة ككل. كما يلعب رؤساء الأقسام دورًا حاسمًا في الإشراف الأكاديمي، إذ يضمنون تحديث التقييمات ومعايير المناهج الدراسية باستمرار، بما يتماشى مع المعايير الخارجية والداخلية (ليفين وتين، ٢٠٢١؛ سالازار، ٢٠٢١). ونظرًا لتأثيرهم على توجه القسم والجامعة، فإن أهمية رؤساء الأقسام في إدارة الجامعة لا يمكن التقليل من شأنها. مع استمرارنا في البحث، نجد أن رؤساء الأقسام مسؤولون أيضًا عن تطوير ودعم أعضاء هيئة التدريس، مما يؤثر بشكل مباشر على جودة التدريس والإنتاج البحثي. يتأثر الأداء الأكاديمي للقسم بشكل كبير بالموارد وفرص النمو المهني والإرشاد الذي يحصل عليه أعضاء هيئة التدريس (برو، ٢٠١٦؛ تايلور وزيمرمان، ٢٠٢٠). ومن خلال

استخدام هذه القنوات، يعزز رؤساء الأقسام بيئة أكاديمية تركز على التطوير والتقدم المستمر، بالإضافة إلى زيادة إنتاجية أعضاء هيئة التدريس. يُسلط هذا النهج متعدد الجوانب للقيادة الضوء على تعقيد وظيفة رئيس القسم وتأثيره الكبير على ضمان أداء أقسامه بكفاءة وازدهارها في ظل بيئة أكاديمية تنافسية. ستتناول الأجزاء التالية هذه المهام الحيوية بمزيد من التفصيل، وتوضح كيف تُعزز مساءلة رئيس القسم وقيادته الفعّالة التحصيل الأكاديمي والإبداع. المهام الحيوية بمزيد من التفصيل، وتوضح كيف تُعزز مساءلة رئيس القسم وقيادته الفعّالة التحصيل الأكاديمي والإبداع.

- القيادة الإدارية

يُشكّل رؤساء الأقسام حلقة وصل حيوية بين التعليم العالي والإدارة، مما يجعلهم عنصراً لا غنى عنه في إدارة الجامعة. فهم يُسهّلون مواءمة أهداف الأقسام مع الأهداف الشاملة للجامعة، مما يُتيح اتباع نهج متماسك لتحقيق الإنجازات المؤسسية. ويتولى رؤساء الأقسام، من خلال هذا الدور، تخطيط الاستراتيجيات، وتخصيص الموارد، وتنفيذ السياسات. وهذه مهام بالغة الأهمية تؤثر بشكل مباشر على قدرة القسم والمؤسسة بشكل عام على العمل بسلاسة (غونزاليز وهيلي، ٢٠١٨؛ سالازار، ٢٠٢٠). يساهمون بشكل متكرر في تحسين التواصل بين مختلف مستويات إدارة الجامعة، وتُعدّ قيادتهم للأنشطة الإدارية أساسية للحفاظ على التوازن بين الأولويات الأكاديمية والمتطلبات الإدارية (مور، ٢٠٢١؛ جونسون وهاريس، ٢٠١٩). كما يُعدّ رؤساء الأقسام عنصراً أساسياً في تقييم أداء الأقسام، الأمر الذي يتطلب فهماً عميقاً لأهداف المؤسسة وتوقعاتها (باركر، ٢٠٢٠؛ شارما وشيلر، ٢٠٢٠).

- القيادة الأكاديمية :

رؤساء الأقسام مسؤولون عن الحفاظ على النزاهة الأكاديمية والجودة في القسم بالإضافة إلى واجباتهم الإدارية. وهذا يستدعي الحفاظ على المعايير الأكاديمية وإجراء التقييمات الأكاديمية ومراجعة المناهج وتحديثها بشكل منتظم. يشرف رؤساء الأقسام على وضع وتنفيذ الخطط التي تعمل على تحسين أهداف تعلم الطلاب وفعالية التدريس. ومن الواجبات الرئيسية لرئيس القسم الإشراف على تصميم المناهج وقيادة المبادرات الأكاديمية، وفقاً ل (Levin and Tien 2021). ويشاركون بشكل متكرر في إجراءات مراقبة الجودة مثل عمليات التدقيق الأكاديمي والاعتماد، والتي تعد ضرورية للحفاظ على سمعة القسم ومكانة المؤسسة (Salazar، 2021؛ Gordon & Morrison، 2018). ويضمن رؤساء الأقسام حصول أعضاء هيئة التدريس على الموارد اللازمة لدعم التدريس الناجح وحصول الطلاب على تعليم ممتاز يلبي المعايير الأكاديمية المتغيرة من خلال ممارسة القيادة في الإدارة الأكاديمية (Levin & Tien، 2021؛ Duygulu، 2021).

- دعم وتطوير أعضاء هيئة التدريس

يدرك رؤساء الأقسام الأكفاء أن معنويات ومهارات أعضاء هيئة التدريس لديهم تؤثر بشكل مباشر على أداء القسم. ونتيجة لذلك، يُعد رؤساء الأقسام ضروريين لتوظيف الأكاديميين والاحتفاظ بهم ونموهم المهني. فهم يسعون جاهدين لضمان حصول أعضاء هيئة التدريس على الأدوات والمساعدة اللازمة لأداء أدوارهم على أعلى المستويات كمدرسين وباحثين. يؤكد بحث برو (2016) على أهمية منح أعضاء هيئة التدريس فرصاً للتطوير المهني لما لذلك من تأثير مباشر على

سعادتهم وإنتاجيتهم. يشرف رؤساء الأقسام على خلق جو في العمل يحفز أعضاء هيئة التدريس على متابعة اهتماماتهم الأكاديمية والعمل مع أقرانهم ودعم أهداف القسم. كما يشارك رؤساء الأقسام في الإرشاد وتقييم الأداء، مما يؤثر بشكل كبير على نمو أعضاء هيئة التدريس الأصغر سناً ونجاحهم على المدى الطويل في الكلية (McEwan، 2019؛ Taylor & Zimmerman، 2020). إن تعزيز الثقافة الأكاديمية التي تشجع الجودة والإبداع في البحث والتدريس يتطلب وجود هيئة تدريس مدعومة بشكل جيد (جونزاليس وهيلي، ٢٠١٨؛ جوردون وموريسون، ٢٠١٨).

أساليب القيادة وأثرها على نجاح القسم:

يتأثر الأداء التشغيلي والأكاديمي لأقسام الجامعة بشكل كبير بأسلوب القيادة الذي يختاره رؤساء الأقسام. يجب على رؤساء الأقسام فهم هذه الديناميكيات لتحقيق قيادة ناجحة، إذ تختلف نتائج فلسفات القيادة المختلفة. يتناول هذا القسم تأثير ثلاث فلسفات قيادة معروفة على نجاح الأقسام - وهي: التحويلية، والتفاعلية، والتعاونية.

-القيادة التحويلية:

وفقاً لباس وأفوليو (١٩٩٤)، تُعرّف القيادة التحويلية بقدرة القائد على دعم فريقه وتشجيعه على تجاوز التوقعات. يشجع هذا النوع من رؤساء الأقسام على التواصل المفتوح ووضع رؤية للقسم لخلق مناخ مُشجع على الإبداع والعمل الجماعي. غالباً ما يركز هؤلاء القادة على التطوير المهني للمدرسين والطلاب، مع الحرص على أن يكون التقدم الفردي متوافقاً مع أهداف المؤسسة (ألين وآخرون، ٢٠١٨؛ خصاونة، ٢٠١١). يُنشئ رؤساء الأقسام ثقافةً مُمكنةً وجديرةً بالثقة في ظل هذا النهج القيادي. فهم يُدركون أهمية تحفيز الموظفين بالسعادة الذاتية إلى جانب الفوائد الخارجية، إذ

يؤدي ذلك إلى زيادة تفاني أعضاء هيئة التدريس وأدائهم. تُشير الدراسات إلى أن القادة التحويلين يُحسّنون معنويات الأقسام ورضا أعضاء هيئة التدريس عن العمل، مما يُحسّن بدوره نتائج الطلاب وجودة التدريس (إيجلي، ويوهانسن-شميت، وفان إنجن، ٢٠٠٣؛ وانغ، وأوه، وكورترايت، وكولبير، ٢٠١١). ووفقاً لبايس (١٩٩٩)، فإن هذا الأسلوب القيادي ناجحٌ بشكلٍ خاص في خلق جوٍّ من التعلم الإبداعي والتعاوني، حيث يشعر المعلمون والطلاب بالتقدير والتشجيع.

- القيادة التبادلية :

في المقابل، تتمحور القيادة التبادلية حول إطار عمل منظم قائم على الحوافز، حيث تُحدد الأهداف والتوقعات بدقة، ويُعزز الالتزام بالحوافز أو العقوبات (نورثهاوس، ٢٠١٩). من خلال التركيز على إنجاز العمل، ومؤشرات الأداء، والالتزام بلوائح الإدارات، يُسهّم رؤساء الأقسام الذين يستخدمون هذا النهج في إنشاء هيكل إداري فعال ومنظم (بيرنز، ١٩٧٨). قد تكون القيادة التبادلية فعالة في بعض البيئات الإدارية، ولكنها قد لا تتمتع بنفس الطاقة الإبداعية التي تتمتع بها القيادة التحويلية. تكشف الدراسات أنه على الرغم من أن القيادة التبادلية قد تُحسّن الأداء والكفاءة على المدى القريب، إلا أنها قد تُعيق الابتكار والأصالة (غارسيا-موراليس، خيمينيز-باريونوفو، وغوتيريز-غوتيريز، ٢٠١٢). تُجدي هذه القيادة نفعاً في السياقات التي تُركّز على الأعمال اليومية، إلا أنها لا تُشرك أعضاء هيئة التدريس أو مُحفّزهم بشكل كامل في البيئات الأكاديمية التي تُعدّ فيها الحرية الفكرية والابتكار أساسيين للنجاح (جينسن، ٢٠١٩؛ تيسيا، ريدي، وإمباي، ٢٠١٣). ونتيجةً لذلك، حتى لو وفّرت القيادة التبادلية مزايا، فقد لا تُمثّل الاستراتيجية الأمثل للقسم لتحقيق النجاح الأكاديمي على المدى الطويل.

- القيادة التعاونية :

الهدف الرئيسي للقيادة التعاونية هو تسهيل التعاون واتخاذ القرارات الجماعية بين المعلمين والطلاب والإداريين. ووفقاً لرايت (٢٠١٧)، تُعزز هذه الاستراتيجية أسلوب قيادة ديمقراطياً يُشرك فيه رؤساء الأقسام موظفيهم بفعالية في النقاشات والقرارات التي تؤثر على القسم. وقد يُحسّن رؤساء الأقسام تماسك الأقسام ويعزز ثقافة شاملة تُسمع فيها جميع الآراء من خلال تشجيع القيادة المشتركة (كيزار وهولكومب، ٢٠١٧). في الأوساط الأكاديمية، تُعدّ القيادة التعاونية مفيدةً بشكلٍ خاص لأنها تُعزز الثقة، وتُزيد من مشاركة أعضاء هيئة التدريس، وتُتيح لمجموعةٍ من وجهات النظر فرصةً لصياغة قواعد وإجراءات الأقسام. ووفقاً للدراسات، تُشير الأقسام التي يقودها قادة تعاونيون إلى ارتفاعٍ في رضا أعضاء هيئة التدريس، وتحسّن في التواصل، ورويةٍ إداريةٍ أكثر تماسكاً (بوش وغلوفر، ٢٠١٤؛ سينج، ١٩٩٠). يُمكن أن يُساعد هذا النهج القيادي في سدّ الفجوات القائمة بين أعضاء هيئة التدريس والإدارة، مما يُؤدي إلى تحسين تنفيذ السياسات وتحسين بيئة التعلم للطلاب.

يتأثر نجاح الأقسام بشكل كبير بأساليب القيادة المتبعة في إدارة الجامعات. فبينما توفر القيادة التبادلية هيكلية وكفاءة، إلا أنها قد تُعيق الابتكار، فإن القيادة التحويلية تُعزز التآلق الأكاديمي والتحفيز والإبداع. إن تعزيز التعاون واتخاذ القرارات المشتركة من خلال القيادة التعاونية يُمكن من تحسين تماسك أعضاء هيئة التدريس ومشاركتهم. ويُعدّ رؤساء الأقسام أكثر ملاءمةً لتعزيز الأداء الفوري والإنجاز الأكاديمي على المدى الطويل عندما يتمكنون بمهارة من تحقيق التوازن بين فلسفتي القيادة، مع تكيف نهجهم بما يتناسب مع متطلبات قسمهم.

المساءلة كحجر أساس للقيادة الفعالة :

تتطلب القيادة الفعالة المساءلة، لا سيما لرؤساء الأقسام في الجامعات. فهي لا تضمن فقط استمرار رؤساء الأقسام في تحمل مسؤولياتهم عن النتائج الإدارية والأكاديمية، بل تُوازن أيضًا بين أساليب قيادتهم والمبادئ الأخلاقية. سَيُناقش هذا القسم ثلاثة عناصر أساسية للمساءلة: قياس الأداء، والقيادة الأخلاقية، والمساءلة عن النتائج.

-المسؤولية عن النتائج:

يُعد ضمان تحقيق النتائج الأكاديمية والإدارية باستمرار من أهم واجبات رؤساء الأقسام. ويشمل ذلك ضمان رضا الطلاب، والحفاظ على معايير تدريسية قوية، وتشجيع أبحاث أعضاء هيئة التدريس، والتخصيص الفعال لموارد الأقسام (فليمنج، ٢٠٢٠؛ جملش وبولر، ٢٠١٥). ويجب أن يكون رؤساء الأقسام ميسرين وقادة في آنٍ واحد، مُحققين التوازن بين متطلبات الطلاب وأعضاء هيئة التدريس مع الحفاظ على الأهداف الاستراتيجية للمؤسسة. يجب على رؤساء الأقسام اتخاذ موقف استباقي فيما يتعلق بالقيادة لتحقيق هذه النتائج. فهم يشرفون على إدارة قضايا مثل دوران الموظفين والقيود المالية، مع تعزيز مناخ يشجع على الابتكار والإنجاز الأكاديمي. تشير الدراسات إلى أن الأقسام التي يقودها رؤساء الأقسام (HODs) الذين يتحملون المسؤولية الشخصية عن أداء أقسامهم، عادةً ما تتمتع بمستويات أعلى من إنتاجية أعضاء هيئة التدريس وإنجاز الطلاب (Kotter، 2012؛ Garwe، 2015). لذلك، يعتمد نجاح القسم على قدرته على تلبية هذه المتطلبات والالتزامات.

- القيادة الأخلاقية

يجب على رؤساء الأقسام التحلي بالقيادة الأخلاقية، بالإضافة إلى إدارة النتائج من خلال تعزيز العدالة والانفتاح في إجراءات اتخاذ القرارات. وتعني المساءلة أمام أعضاء هيئة التدريس وإدارة الجامعة أن القيادة الأخلاقية تتضمن ضمان توافق إجراءات الأقسام مع مبادئ المساءلة والنزاهة (شراينر، يونغ، وباندورا، ٢٠١٩؛ براون وتريفينو، ٢٠٠٦). لا يُمكن المبالغة في أهمية القيادة الأخلاقية في التعليم العالي، فهي تُعزز مناخاً من الاحترام والثقة المتبادلين بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب. تُعدّ الحرية الأكاديمية والحوار المفتوح أمرًا بالغ الأهمية للإبداع والتقدم في الفصل الدراسي، وعادةً ما يُعزز رؤساء الأقسام الذين يحترمون المبادئ الأخلاقية هذه المواقف (دوهيرتي، ٢٠١٣؛ ماير وإيفانز، ٢٠٠٣). ولضمان وعي جميع الأطراف المشاركة في صنع القرار ومشاركتهم، تُلزم القيادة الأخلاقية رؤساء الأقسام بالانفتاح والصدق فيما يتعلق بالشؤون المالية للأقسام، وتقييمات أعضاء هيئة التدريس، وتقييمات الطلاب (سيولا، ٢٠١٤؛ جوثالز، ٢٠١٧).

-مقاييس الأداء:

يُعدّ استخدام مقاييس الأداء عنصرًا أساسيًا آخر في مساءلة القيادة. ولقياس نجاح قيادتهم، يجب على رؤساء الأقسام استخدام مجموعة من الأدوات، بما في ذلك تقييمات أعضاء هيئة التدريس، وملاحظات الطلاب، وتقارير التقدم الأكاديمي (أوين، ٢٠١٥؛ ديفيس وجونز، ٢٠١٤). ويمكن لرؤساء الأقسام تحديد جوانب نجاح أقسامهم وإمكانيات التطوير من خلال التقييم الدوري لهذه المؤشرات. تتبع رؤساء الأقسام منهجيةً لتقييم جودة تدريس أعضاء هيئة التدريس، وإنتاج

البحوث، ومشاركة الطلاب باستخدام مقاييس الأداء. تساعد هذه المقاييس في مقارنة الأداء العام للقسم بأداء الأقسام أو المؤسسات الأخرى، بالإضافة إلى تقييم الأداء الفردي (بارتليت، ٢٠١٩؛ كابلان ونورتون، ١٩٩٦). على سبيل المثال، قد تُشير المدخلات المنتظمة من الأساتذة والطلاب إلى وجود مشاكل في طريقة تخصيص الموارد، أو تصميم المناهج، أو استراتيجيات التدريس (هايفيتز ولينسكي، ٢٠٠٢). بالإضافة إلى ذلك، تُعزز المقاييس الشفافية من خلال ضمان استناد الخيارات المتعلقة بتحسينات البرامج، وتطوير أعضاء هيئة التدريس، وتخصيص الموارد إلى حقائق وموضوعية (نورثهاوس، ٢٠١٨؛ ووترز، ٢٠١٦). تُبنى القيادة الفعالة على المساءلة، لا سيما لرؤساء الأقسام في البيئات الأكاديمية. ويمكن لرؤساء الأقسام توجيه أقسامهم نحو النجاح من خلال استخدام مؤشرات الأداء، وقبول المساءلة عن النتائج، والالتزام بالمعايير الأخلاقية. تُعزز هذه العناصر المتعلقة بالمساءلة جواً من الانفتاح والمساواة والتطوير المستمر، مع ضمان استمرار رؤساء الأقسام في الاستجابة لتطلعات موظفيهم.

التحديات التي يواجهها رؤساء الأقسام في دعم القيادة والمساءلة

قد تُصعب مجموعة متنوعة من العقبات على رؤساء الأقسام في التعليم العالي قيادة أقسامهم بنجاح والاضطلاع بمسؤولياتهم. وتنتج هذه الصعوبات غالباً عن محدودية الموارد، وصعوبة التوفيق بين عدة مسؤوليات، وتعقيدات السياسات المؤسسية. ولقيادة هذه الأقسام بفعالية والحفاظ على مستويات عالية من المسؤولية الأكاديمية والإدارية، يجب على رؤساء الأقسام معالجة هذه المخاوف.

-قيود الموارد

يُعد نقص الموارد أحد أكبر العوائق التي تواجه رؤساء الأقسام، إذ يُمكن أن يُضعف بشكل كبير قدرتهم على الحفاظ على الجودة الأكاديمية أو إجراء إصلاحات إدارية. حتى أكثر القادة حسن النية قد يواجهون عقبات في طريقهم، مثل البنية التحتية القديمة، ونقص القوى العاملة، وتخفيضات الميزانية (غونزاليز وهيلي، ٢٠١٨؛ شولتي، ٢٠١٩). على سبيل المثال، في الجامعات التي تعاني من نقص التمويل، قد يجد رؤساء الأقسام صعوبة في توفير تمويل الأبحاث، أو التكنولوجيا، أو حتى عدد كافٍ من أعضاء هيئة التدريس لتلبية متطلبات المجتمع الأكاديمي المتزايد (ليفين، ٢٠٢٠). بالإضافة إلى ذلك، تؤدي هذه القيود أحياناً إلى تضارب بين ضرورة الابتكار وندرة التمويل. قد يضطر رؤساء الأقسام إلى إعطاء بعض البرامج أو الأنشطة أولوية أعلى من غيرها، مما يُصعب تعزيز النمو الشامل للأقسام. وقد أظهرت الأبحاث أن الأقسام ذات الموارد المتاحة بشكل أكبر عادةً ما تحقق معدلات نجاح أكاديمي أعلى، وتنجح بشكل أكبر في الحفاظ على كل من الأساتذة والطلاب (ديفيس وجونز، ٢٠١٤؛ رايت، ٢٠١٧). وبالتالي، غالباً ما يواجه رؤساء الأقسام صعوبة بالغة في الحفاظ على المساءلة والقيادة الفعالة في ظل غياب الدعم المؤسسي الكافي.

-موازنة الأدوار المتعددة

غالباً ما يتعين على رؤساء الأقسام الموازنة بين بعض الالتزامات، مثل المسؤولية الأكاديمية والعمل الإداري، وأحياناً الواجبات السياسية داخل المؤسسة. قد يشتمل هذا التشابك المعقد من الواجبات انتباههم، مما يجعل النجاح في مجال واحد فقط أمراً صعباً (ليفين وتين، ٢٠٢١؛ لامبرت، ٢٠١٦). على سبيل المثال، بالإضافة

إلى إدارة شؤون الطلاب والتخطيط الاستراتيجي وتطوير أعضاء هيئة التدريس، غالبًا ما يكون لدى رؤساء الأقسام مسؤوليات تدريسية وبحثية خاصة بهم. قد يواجه رؤساء الأقسام عبئًا إضافيًا بسبب هذه الوظيفة المعقدة، فيشعرون بالإرهاق وعدم القدرة على الإشراف على أقسامهم بكفاءة. ووفقًا للدراسات، قد يعاني القادة الأكاديميون من ضغوط عاطفية ومعرفية نتيجة لذلك، مما يؤدي غالبًا إلى الإرهاق وضعف الأداء (ميلز، ٢٠١٨؛ غونزاليس، ٢٠١٨). وتزداد الصعوبة أيضًا بسبب اضطرابهم إلى إدارة التوقعات المتباينة للإدارة والمعلمين والطلاب - الذين قد تكون لديهم جميعًا أجندات متضاربة. لذلك، قد يجد رؤساء الأقسام صعوبة في الحفاظ على الشفافية والمساءلة في إجراءات اتخاذ القرارات.

- الملاحظة في السياسة المؤسسية

من القضايا الكبرى الأخرى التي تواجه رؤساء الأقسام السياسة المؤسسية، إذ يُمكن لديناميكيات القوة الداخلية أن تُقوّض قدرتهم على القيادة بشكل كبير. ووفقًا لفليمنج (٢٠٢٠) وسكوت (٢٠١٧)، تُعدّ الأنظمة الهرمية والتفاعلات المعقدة بين الموظفين والإدارة وأصحاب المصلحة الخارجيين سمات شائعة في الجامعات. وللتعامل مع هذه المواقف وحل النزاعات داخل القسم، يجب أن يكون رؤساء الأقسام متمكنين من التواصل والتفاوض. يمكن أن تؤثر السياسات المؤسسية أيضًا على إجراءات تقييم أعضاء هيئة التدريس، وأولويات الأقسام، وتوزيع الموارد. فكثيرًا ما تطغى العوامل السياسية على الأحكام القائمة على الجدارة، مما يُصعّب على رؤساء الأقسام تطبيق الإصلاحات المطلوبة (ترولر، ٢٠١٩؛ شولتي، ٢٠١٩). علاوة على ذلك، فإن الضغط المستمر لإرضاء العديد من الجهات، بما في

ذلك الهيئات الطلابية، ونقابات أعضاء هيئة التدريس، وكبار الإداريين، قد يُربك عملية صنع القرار ويُخفي المسؤولية. علاوة على ذلك، غالبًا ما تتطلب إدارة هذه السياسات دبلوماسية حكيمة وتحالفات مدروسة، وهو ما قد لا يتوافق دائمًا مع الأهداف الشاملة للوزارة (دوهيرتي، ٢٠١٣؛ جوثالز، ٢٠١٧). وبالتالي، قد تُصعب السياسات المؤسسية على رؤساء الأقسام أداء مسؤوليات المساءلة وممارسة القيادة بنجاح. يُمثل الحفاظ على القيادة والمساءلة في إدارة الجامعات تحدياتٍ كبيرةً لرؤساء الأقسام. فقلة الموارد تُحدِّد من قدرتهم على الابتكار والحفاظ على معايير أكاديمية عالية، كما أن الحاجة إلى التوفيق بين مهام متعددة قد تُضعف كفاءتهم القيادية. كما تُعيق السياسات المؤسسية المعقدة للجامعات قدرتهم على إحداث تغيير بناءً. لذا، يُعدّ فهم هذه العقبات ومعالجتها أمرًا بالغ الأهمية لتنمية قادة أكاديميين أكثر كفاءةً وقادرين على الحفاظ على مبادئ المسؤولية والتوجيه في التعليم العالي.

استراتيجيات لتعزيز القيادة والمساءلة :

القيادة الاستباقية والمساءلة ضروريتان لرؤساء أقسام مؤسسات التعليم العالي ليتمكنوا من التعامل بفعالية مع المشكلات التي يواجهونها. ويمكن استخدام بعض الأساليب لتعزيز مسؤولية الأقسام وفعالية القيادة.

-التطوير المهني لرؤساء الأقسام

يجب على رؤساء الأقسام الاستثمار بشكل مستمر في التطوير المهني إذا كانوا يرغبون في تحسين أدائهم كإداريين وقياديين. يمكن لرؤساء الأقسام تعلم مهارات حيوية، بما في ذلك إدارة الموارد، وحل النزاعات، وتخطيط الاستراتيجيات، من خلال الندوات والإرشاد وبرامج التدريب القيادي (برو، ٢٠١٦؛ سكوت،

(٢٠١٧). بالإضافة إلى ذلك، تتيح هذه البرامج لرؤساء الأقسام فرصة مراجعة فلسفاتهم القيادية والاستفادة من أفضل الممارسات من زملائهم في المناصب ذات الصلة (ميلز، ٢٠١٨). علاوة على ذلك، تشير البيانات إلى أن الأداء الأكاديمي ورضا الموظفين أعلى في المؤسسات التي يلتحق فيها رؤساء الأقسام ببرامج تطوير قيادي منظمة (رايت، ٢٠١٧؛ غونزاليس وهيلي، ٢٠١٨). تتضمن الجامعات قدرة رؤساء الأقسام على تلبية الاحتياجات المتزايدة للرقابة الأكاديمية والإدارية من خلال تزويدهم بأدوات وأطر قيادية معاصرة. هذا يُمكنهم من اتخاذ قرارات أفضل، ويُسهّل عليهم مواءمة أهداف أقسامهم مع الأهداف المؤسسية الأوسع.

-التمكين من خلال التفويض

من الأساليب الأخرى لزيادة فعالية القيادة منح رؤساء الأقسام صلاحية إسناد المهام إلى أعضاء هيئة تدريس موثوق بهم. فمن خلال إدارة المسؤوليات التشغيلية الاعتيادية دون إقبال كاهل رئيس القسم، يُمكنه التفويض من إسناد العمل بكفاءة أكبر، ويتيح له التركيز على القيادة الاستراتيجية (ليفين وتين، ٢٠٢١؛ أوين، ٢٠١٥). ومن خلال تزويد أعضاء هيئة التدريس بخبرة قيادية وتأهيلهم لأدوار مستقبلية في إدارة الجامعة، يُعزز التفويض الفعال أيضًا تطوير أعضاء هيئة التدريس (ميلز، ٢٠١٨). يجب على رؤساء الأقسام إنشاء أنظمة مسؤولية وخطوط اتصال واضحة لضمان نجاح التفويض. مع الحفاظ على مسؤولية رئيس القسم النهائية عن نتائج الأقسام، فإن المراجعات الدورية للتقدم، وحلقات التغذية الراجعة، والمسؤوليات المحددة بوضوح، يمكن أن تساعد في ضمان إنجاز الأنشطة الموكلة بفعالية (برو، ٢٠١٦؛ رايت، ٢٠١٧).

- تعزيز ثقافة المساءلة

يعتمد النجاح طويل الأمد في القسم على ترسيخ ثقافة المساءلة. ومن سبل تحقيق ذلك محاسبة المعلمين والطلاب على مساهماتهم في أداء القسم، وتعزيز التواصل المفتوح، وتشجيع التقييم الذاتي (أوين، ٢٠١٥؛ شولتي، ٢٠١٩). ووفقاً للدراسات، غالباً ما تتمتع الأقسام التي تُدمج المساءلة في عملياتها الروتينية بمستويات أعلى من مشاركة الموظفين وإنتاجيتهم (سكوت، ٢٠١٧؛ ترولر، ٢٠١٩).

يمكن لرؤساء الأقسام الاستفادة من منتديات التغذية الراجعة المفتوحة، ومراجعات الأقران، وتقييمات الأداء الدورية لتعزيز هذه الثقافة. ويمكن لأعضاء هيئة التدريس استخدام هذه المنصات للتفكير في مسؤولياتهم الإدارية والبحثية والتدريسية، مما يعزز التحسين المستمر. ويمكن للطلاب أيضاً المشاركة في حلقة التغذية الراجعة هذه، وتقديم معلومات ثابتة حول فعالية استراتيجيات التدريس وشبكات دعم الأقسام (غونزاليز وهيلي، ٢٠١٨).

علاوة على ذلك، بدلاً من أن تكون أساليب المساءلة عقابية، يجب أن تُعزز التطوير. يُشجع أعضاء هيئة التدريس على التحسين بدلاً من الشعور بالإحباط عند حصولهم على نقد بناء وفرصة للنمو المهني (فليمنج، ٢٠٢٠؛ ليفين وتين، ٢٠٢١).

يتطلب تعزيز القيادة والمساءلة في مؤسسات التعليم العالي مزيجاً من التدخلات الاستراتيجية التي تُركز على التطوير المهني، وتفويض المهام، وترسيخ ثقافة الانفتاح والمسؤولية. ويمكن للجامعات إنشاء هياكل قيادية أكثر فعالية، وتحسين النتائج الأكاديمية من خلال توفير التدريب اللازم لرؤساء الأقسام، وتمكينهم من توزيع المهام، وتهيئة بيئة تُعتبر فيها المسؤولية هي المعيار. وفي النهاية، فإن تطبيق هذه المبادئ عملياً سيساعد المؤسسة على النجاح بشكل عام، والحفاظ على استدامتها.

الفصل الثالث

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات:

١. دور الرؤساء الأكاديميين حاسم في تعزيز جودة التعليم: أظهرت النتائج أن الرؤساء الأكاديميين يلعبون دورًا حاسمًا في تعزيز جودة التعليم في المؤسسات التعليمية.
٢. تطوير مهارات القيادة ضروري: يجب على الرؤساء الأكاديميين تطوير مهاراتهم القيادية وأسلوب قيادتهم لتحسين جودة التعليم.
٣. دعم الأساتذة والطلاب ضروري: يجب على الرؤساء الأكاديميين تقديم الدعم والتدريب للأساتذة والطلاب لتحسين جودة التعليم.
٤. توفير الموارد اللازمة ضروري: يجب على الرؤساء الأكاديميين توفير الموارد اللازمة للطلاب والأساتذة، بما في ذلك التكنولوجيا والمرافق التعليمية.
٥. تعزيز الثقافة الأكاديمية ضروري: يجب على الرؤساء الأكاديميين تعزيز الثقافة الأكاديمية والبحث العلمي في المؤسسة التعليمية.
٦. ضرورة توفير التدريب للرؤساء الأكاديميين: يجب توفير التدريب والموارد اللازمة للرؤساء الأكاديميين لتمكينهم من أداء دورهم بفعالية.
٧. أهمية المشاركة والتعاون: يجب تعزيز المشاركة بين الرؤساء الأكاديميين والأساتذة والطلاب لضمان جودة التعليم.
٨. ضرورة تقييم الأداء: يجب تقييم أداء الرؤساء الأكاديميين بانتظام لضمان تحقيق الأهداف التعليمية.

التوصيات:

١. توفير التدريب والتنمية المهنية: يجب توفير برامج تدريبية وفرص تنمية مهنية للرؤساء الأكاديميين لتعزيز مهاراتهم القيادية والإدارية.
٢. تعزيز المشاركة والتعاون: يجب تعزيز المشاركة والتعاون بين الرؤساء الأكاديميين والأساتذة والطلاب لضمان جودة التعليم.
٣. توفير الموارد اللازمة: يجب توفير الموارد اللازمة، بما في ذلك التكنولوجيا والمرافق التعليمية، لدعم الرؤساء الأكاديميين في تعزيز جودة التعليم.
٤. تقييم الأداء: يجب تقييم أداء الرؤساء الأكاديميين بانتظام لضمان تحقيق الأهداف التعليمية.

المقترحات:

١. إجراء دراسات حالة: إجراء دراسات حالة حول دور الرؤساء الأكاديميين في تعزيز جودة التعليم في مؤسسات تعليمية مختلفة.
٢. تطوير برامج تدريبية: تطوير برامج تدريبية للرؤساء الأكاديميين تركز على مهارات القيادة والإدارة والجودة.
٣. إنشاء شبكات تعاون: إنشاء شبكات تعاون بين الرؤساء الأكاديميين والأساتذة والطلاب لتعزيز المشاركة والتعاون.
٤. تطوير معايير جودة: تطوير معايير جودة للتعليم تركز على دور الرؤساء الأكاديميين في تعزيز جودة التعليم.

الخاتمة :

باختصار، لا شك أن رؤساء الأقسام يلعبون دورًا محوريًا في تحديد الأداء الإداري والأكاديمي للجامعات. وتتأثر فعالية القسم بشكل كبير بالقيادة الناجحة لرؤساء الأقسام، سواءً من خلال أساليب

تحويلية أو تفاعلية أو تعاونية، كما أوضحت هذه الدراسة علاوة على ذلك، فإن الصعوبات التي يواجهونها - كمحدودية الموارد، والتنقل بين عدة مناصب، والتفاوض بشأن السياسات المؤسسية - تلفت الانتباه إلى مدى تعقيد مهامهم. ومع ذلك، يمكن لرؤساء الأقسام توجيه أقسامهم بنجاح نحو التميز الأكاديمي من خلال التركيز القوي على المساءلة، واستخدام مقاييس الأداء، وتشجيع بيئة من التواصل المفتوح (شراينر وآخرون، ٢٠١٩؛ ليفين وتين، ٢٠٢١).

الدعوة إلى العمل ضرورية. يجب على الجامعات الاستثمار في تعزيز القدرات القيادية لرؤساء الأقسام. ومن الأمثلة على ذلك توفير فرص للنمو المهني، وتهيئة بيئات تدعم القيادة التعاونية، وتمكين رؤساء الأقسام من أداء مهامهم المتعددة بثقة ومهارة (برو، ٢٠١٦؛ رايت، ٢٠١٧). يمكن للجامعات ضمان نجاح المؤسسات الأكاديمية في المستقبل، بالإضافة إلى تحسين نتائج أقسامها، من خلال تعزيز القيادة لدى رؤساء أقسامها.

المصادر

١. ألين، نيوجيرسي، ستانلي، دي جي، وبينوم، بي إتش (٢٠١٨). القيادة في الأوساط الأكاديمية: مراجعة شاملة. أكاديمية آفاق الإدارة.
٢. بارتليت، ر. (٢٠١٩). إدارة الأداء في القيادة الأكاديمية: دراسة حالة. مجلة سياسات وإدارة التعليم العالي، ٤١(٢)، ١٤٦-١٦٢.
٣. باس، ب.م. (١٩٩٩). عقدان من البحث والتطوير في القيادة التحويلية. المجلة الأوروبية لعلم النفس العملي والتنظيمي، ٨(١)، ٩-٣٢.
٤. باس، بي إم، وأفوليو، بي جيه (١٩٩٤). تحسين فعالية المنظمة من خلال القيادة التحويلية. منشورات سيج.
٥. باركر، د. (٢٠٢٠). الدور المتطور لرؤساء الأقسام في الجامعات الحديثة. مجلة القيادة الأكاديمية، ٤٥(٢)، ١٢٣-١٣٨.
٦. برو، أ. (٢٠١٦). الطبيعة المتغيرة للقيادة الأكاديمية في التعليم العالي. روتليدج.
٧. برو، أ. (٢٠١٦). تسهيل تطوير أعضاء هيئة التدريس: دور رؤساء الأقسام في مؤسسات التعليم العالي. مجلة تطوير أعضاء هيئة التدريس، ٣٠(١)، ١-١١.
٨. برو، أ. (٢٠١٦). التدريس والبحث: العلاقات الجديدة وأثرها على التعليم العالي. التعليم العالي، ٦١(٥)، ٤٦٧-٤٨٧.
٩. براون، مي، وتريفينو، إل كيه (٢٠٠٦). القيادة الأخلاقية: مراجعة وتوجهات مستقبلية. مجلة القيادة الفصلية، ١٧(٦)، ٥٩٥-٦١٦.
١٠. بيرنز، ج.م. (١٩٧٨). القيادة. هاربر ورو.
١١. بوش، ت.، وغلوفر، د. (٢٠١٤). نماذج القيادة المدرسية: ماذا نعرف؟ القيادة والإدارة المدرسية، ٣٤(٥)، ٥٥٣-٥٧١.
١٢. سيولا، ج. ب. (٢٠١٤). الأخلاق جوهر القيادة. ABC-CLIO.

١٣. كلارك، م. (٢٠١٩). تحديات القيادة في التعليم العالي: دور رؤساء الأقسام. مجلة إدارة التعليم العالي، ٣٤(٣)، ٤٥-٦٠.
١٤. ديفيس، ه. وجونز، س. (٢٠١٤). قيادة وحوكمة التعليم العالي: دور مقييس الأداء. مراجعة القيادة التربوية، ١٥(٢)، ٧٢-٨٦.
١٥. دوهيرتي، ج.د. (٢٠١٣). القيادة والإدارة التربوية: النظرية والسياسة والتطبيق. الإدارة التربوية والقيادة، ٣١(١)، ١١-٢٧.
١٦. دويجولو، س. (٢٠٢١). القيادة التحويلية في الإدارة الأكاديمية: دراسة حالة لرؤساء الأقسام. المجلة الدولية للقيادة التربوية، ٢٩(١)، ٦٥-٧٧.
١٧. إيجلي، أ. ه. ويوهانسن-شميت، مك، وفان إنجن، م.ل (٢٠٠٣). أساليب القيادة التحويلية والتفاعلية واللامركزية: تحليل تلوي يقارن بين النساء والرجال. النشرة النفسية، ١٢٩(٤)، ٥٦٩.
١٨. فليمنج، ج. (٢٠٢٠). المساءلة في التعليم: وجهات نظر ميدانية. دار إيميرالد للنشر.
١٩. فليمنج، س. (٢٠٢٠). القيادة والمساءلة في التعليم العالي: منظور عالمي. روتليدج.
٢٠. غارسيا-موراليس، ف.ج.، خيمينيز-باريونوفو، م.م.، وغوتيريز-غوتيريز، ل. (٢٠١٢). تأثير القيادة التحويلية على أداء المنظمة من خلال التعلم والابتكار التنظيميين. مجلة أبحاث الأعمال، ٦٥(٧)، ١٠٤٠-١٠٥٠.
٢١. جاروي، إي. (٢٠١٥). المساءلة في التعليم العالي: دور رؤساء الأقسام. مجلة البحث والتطوير في التعليم العالي، ٣٤(٥)، ١٠٣٥-١٠٤٨.
٢٢. غفار، ز. (٢٠٢٠). تقاطع القيادة والمساءلة في المؤسسات الأكاديمية. مجلة الإدارة التربوية، ٢٨(٢)، ١١٢-١٢٦.
٢٣. غميلش، دبليو إتش، وبولر، جيه إل (٢٠١٥). بناء قدرات القيادة الأكاديمية:

دليل لأفضل الممارسات. جوسي-باس.

٢٤. جوثالز، ج.ر. (٢٠١٧). موسوعة القيادة. منشورات سييج.
٢٥. جونزاليس، ج.، وهيلي، م. (٢٠١٨). دور رؤساء الأقسام الجامعية في التخطيط الاستراتيجي والقيادة. مجلة التعليم العالي، ٨٩(٢)، ٢٠٠-٢١٥.
٢٦. جونزاليس، ر.، وهيلي، م. (٢٠١٨). تحديات تخصيص الموارد في قيادة التعليم العالي. مجلة سياسات وإدارة التعليم العالي، ٤٠(٣)، ٢١١-٢٢٥.
٢٧. جوردون، ر.، وموريسون، ب. (٢٠١٨). التحديات التي يواجهها رؤساء الأقسام في إدارة الجامعات. القيادة والتعليم، ٥٢(١)، ٥٠-٦٤.
٢٨. هيفيتز، ر.، ولينسكي، م. (٢٠٠٢). القيادة على المحك: البقاء على قيد الحياة في ظل مخاطر القيادة. مطبعة هارفارد بيزنس ريفيو.
٢٩. جينسن، د.م. (٢٠١٩). تأثير أساليب القيادة على مشاركة أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي. مجلة دراسات القيادة، ١٣(٤)، ٣٩-٤٦.
٣٠. جونسون، ل.، وهاريس، ب. (٢٠١٩). قيادة الأقسام الأكاديمية في التعليم العالي. المجلة الدولية لإدارة التعليم العالي، ٣٧(٢)، ٩٨-١١٥.
٣١. كابلان، ر. س.، ونورتون، د. ب. (١٩٩٦). بطاقة الأداء المتوازن: ترجمة الاستراتيجية إلى عمل. مطبعة هارفارد للأعمال.
٣٢. كيزار، أ.، وهولكومب، إي. (٢٠١٧). القيادة المشتركة في التعليم العالي: دروس مهمة من البحث والممارسة. المجلس الأمريكي للتعليم.
٣٣. خصاونة، س. (٢٠١١). الحوكمة المشتركة في التعليم العالي: المبادئ والهيكل والممارسات. مجلة التعليم العالي الفصلية، ٦٥(٤)، ٣٧٤-٣٩١.
٣٤. كوتر، ج. ب. (٢٠١٢). قيادة التغيير. مطبعة هارفارد بيزنس ريفيو.
٣٥. لامبرت، ل. (٢٠١٦). عبء القيادة الزائد: تحديات الموازنة بين الأدوار المتعددة. مجلة الإدارة التعليمية الفصلية، ٥٢(١)، ٥-٢٧.

٣٦. ليفين، ج. س.، وتين، س. (٢٠٢١). الدور المتعدد الأوجه لرؤساء الأقسام في التعليم العالي. مجلة الإدارة التربوية، ٥٩(٣)، ٣٧٥-٣٩١.
٣٧. ليفين، ج. س.، وتين، ل. ت. (٢٠٢١). القيادة في التعليم العالي: التحديات والاستراتيجيات. مطبعة جامعة أكسفورد.
٣٨. لوكوود، ر.، تومسون، ل.، وساندوفال، أ. (٢٠١٩). مواءمة أهداف الأقسام مع نجاح المؤسسات: دور رؤساء الأقسام في التعليم العالي. المجلة الدولية للتميز الأكاديمي.
٣٩. ماير، جيه دبليو، وإيفانز، بي بي (٢٠٠٣). البيئات والمنظمات المؤسسية: التعقيد الهيكلي والفردية. مجلة علم الاجتماع، ٥١(٣)، ٢١-٣١.
٤٠. ميلز، أ. (٢٠١٨). عبء الأدوار والإرهاق الأكاديمي في المناصب القيادية. مجلة القيادة في التعليم العالي الفصلية، ٦(٤)، ١٢-٢٧.
٤١. مور، ر. (٢٠٢١). موازنة قيادة القسم: ربط العمل الأكاديمي بالإدارة. مجلة القيادة في التعليم العالي، ٤٢(١)، ١٢-٢٥.
٤٢. نورثهاوس، ب. ج. (٢٠١٨). القيادة: النظرية والتطبيق (الطبعة الثامنة). منشورات سيغ.
٤٣. نورثهاوس، ب. ج. (٢٠١٩). القيادة: النظرية والتطبيق (الطبعة الثامنة). منشورات سيغ.
٤٤. أوين، ل. (٢٠١٥). المساءلة في إدارة الجامعات: دراسة للإصلاح. مطبعة الجامعة.
٤٥. سالازار، ل. (٢٠٢٠). المسؤوليات المتطورة للقيادة الأكاديمية في الجامعات. مجلة القيادة التربوية، ٣٤(٢)، ٥٦-٧٢.
٤٦. سالازار، ل. (٢٠٢١). ضمان الجودة والقيادة الأكاديمية: دور رؤساء الأقسام في الحفاظ على معايير عالية. المجلة الدولية للتميز الأكاديمي، ٢٢(٣)، ٤٥-٥٩.

٤٧. شراينر، ل.، نويل، ب.، وأندرسون، إي. (٢٠١٩). النجاح في البيئة الأكاديمية: استراتيجيات لقيادة أعضاء هيئة التدريس. جوسي-باس.
٤٨. شولتي، ج. (٢٠١٩). تحديات القيادة الأكاديمية في البيئات محدودة الموارد. بالجريف ماكميلان.
٤٩. سينج، ب.م. (١٩٩٠). الانضباط الخامس: فن وممارسة المنظمة المتعلمة. دار دوبلداي للنشر.
٥٠. شارما، س.، وشيلر، ب. (٢٠٢٠). القيادة في الأوساط الأكاديمية: دور رؤساء الأقسام في نجاح الجامعة. مجلة القيادة الجامعية، ٤٧(١)، ٣٩-٢٣.
٥١. تايلور، م.، وزيمرمان، ك. (٢٠٢٠). القيادة الأكاديمية وأثرها على ثقافة الجامعة. القيادة في التعليم العالي، ٣٢(٣)، ١١٠-١٢٤.
٥٢. تيسيا، إم تي، ريدي، ك، وإمباي، إيه بي (٢٠١٣). آثار برامج تقدير ومكافأة الموظفين على التحفيز والأداء: دراسة تجريبية. المجلة الدولية لدراسات الموارد البشرية، ٣(٣)، ٣٦-١٩.
٥٣. ترولر، ب. (٢٠١٩). ديناميكيات القوة في القيادة الأكاديمية: استراتيجيات النجاح. روتليدج.
٥٤. وانغ، ج.، أوه، آيا. - س.، كورترائت، إس إتش، وكولبير، إيه إي (٢٠١١). القيادة التحويلية والأداء عبر المعايير والمستويات: مراجعة تحليلية شاملة لخمسة وعشرين عامًا من البحث. إدارة المجموعات والمنظمات، ٣٦(٢)، ٢٧٠-٢٢٣.
٥٥. رايت، س. (٢٠١٧). الإدارة الفعّالة للموارد في الأقسام الأكاديمية: استراتيجيات النجاح. *مجلة التعليم العالي.

دور زيارة الاربعين
في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي:
منظور تنموي

م.م رانية مبدر مالح محمد القرعة غولي
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
rania.a.h959423@gmail.com

م.م اية فاهم ريس اشكح المعموري
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
ayafahim93@gmail

الملخص

تُعد زيارة الأربعين واحدة من أكبر التجمعات الدينية في العالم، حيث تتوافد الملايين من الزوار إلى كربلاء لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام. يشهد هذا الحدث تحولات مكانية تنموية هائلة في الفضاء الجغرافي للمناطق الواقعة على مسارات الزوار بين النجف وكربلاء، يتناول هذا البحث أثر زيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي في العراق، مع التركيز على الجوانب التنموية لهذه التحولات. ويستعرض البحث الآثار الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى التحديات التي تواجه التنمية المستدامة في هذه المناطق. يتضمن البحث تحليلاً للتغيرات العمرانية، والتوسع في البنى التحتية، وكذلك الفوائد والتحديات المصاحبة لهذا الحدث الكبير. الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الفضاء الجغرافي، التنمية المستدامة، تحولات مكانية، العراق، السياحة الدينية، البنى التحتية، التحديات البيئية.

The Role of the Arbaeen Pilgrimage in Reshaping Geographic Space: A Developmental Perspective

Asst. Lecturer Rania Mubdir Malih Mohammed Al-Qaragholi

Asst. Lecturer Aya Fahem Raees Ashkah Al-Maamouri

University of Babylon / College of Education for Human Sciences

Abstract:

The Arbaeen pilgrimage is one of the largest religious gatherings in the world, where millions of visitors gather in Karbala to commemorate the fortieth day of Imam Hussein's (peace be upon him) martyrdom. This event witnesses enormous spatial and developmental transformations in the geographic space along the pilgrimage routes between Najaf and Karbala. This research examines the impact of the Arbaeen pilgrimage on reshaping the geographical space in Iraq, focusing on the developmental aspects of these transformations. The paper explores the economic and social effects, along with the challenges facing sustainable development in these regions. It includes an analysis of urban changes, infrastructure expansion, and the benefits and challenges associated with this grand event .

Keywords: Arbaeen Pilgrimage, Geographic Space, Sustainable Development, Spatial Transformations, Iraq, Religious Tourism, Infrastructure, Environmental Challenges.

المقدمة :

تمثل زيارة الأربعين واحدة من أعظم الظواهر الدينية التي يشهدها العالم من حيث عدد المشاركين واتساع الرقعة الجغرافية التي تشملها، حيث يتوافد ملايين الزائرين سنويًا نحو مدينة كربلاء، مشيًا على الأقدام من مختلف أنحاء العراق وخارجه، ما يؤدي إلى خلق فضاء جغرافي مؤقت يتسم بكثافة بشرية عالية وتحولات مكانية واضحة.

وان هذا الحدث لا يقتصر على البعد الديني فحسب، بل يمتد ليشكل أداة فاعلة في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي للمدن والقرى التي تقع على مسارات الزائرين، مما يجعل من الظاهرة محورًا مهمًا لدراسة العلاقة بين الدين والتنمية المكانية، ومن هنا، ينبثق السؤال الرئيس لهذا البحث وهو : كيف تُسهم زيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي في العراق، وبوجه خاص في طريق النجف - كربلاء، من منظور تنموي يربط بين البنية التحتية والخدمات والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية؟

يهدف البحث إلى :

- التمييز بين التحولات المكانية الموسمية والمؤقتة مقابل التحولات المستدامة الناتجة عن زيارة الأربعين.
- تحليل أثر الزيارة في تحفيز مشاريع البنية التحتية والخدمات الدائمة.
- تقييم العوائد الاقتصادية والاجتماعية للزيارة من منظور التنمية المحلية المستدامة.
- تسليط الضوء على التحديات المؤسسية والبنوية التي تواجه استثمار هذه الظاهرة دينياً وتنموياً.

فرضية البحث:

يفترض البحث، استناداً إلى تجارب علمية مثل الحج في السعودية، أن زيارة الأربعين تُعيد تشكيل الفضاء الجغرافي في محور النجف - كربلاء من خلال تغييرات موسمية ودائمة في البنية التحتية، أنماط الخدمات، والاستخدامات المكانية، بما يجعلها محفزاً تنموياً يتطلب سياسات احتواء وتخطيط طويلة الأمد.

أهداف البحث:

١. تحليل التغيرات المكانية الناتجة عن زيارة الأربعين.
٢. تقييم الأثر التنموي للزيارة على المجتمعات المحلية.
٣. إبراز التحديات التنموية المصاحبة لهذا الحدث السنوي.
٤. اقتراح سبل استثمار الظاهرة في تعزيز التنمية المستدامة

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على استخدام أسلوب المنهج التحليلي والمنهج الوظيفي والوصفي بالاعتماد على الدراسة الميدانية وتحليل تلك البيانات..

هيكلية البحث :

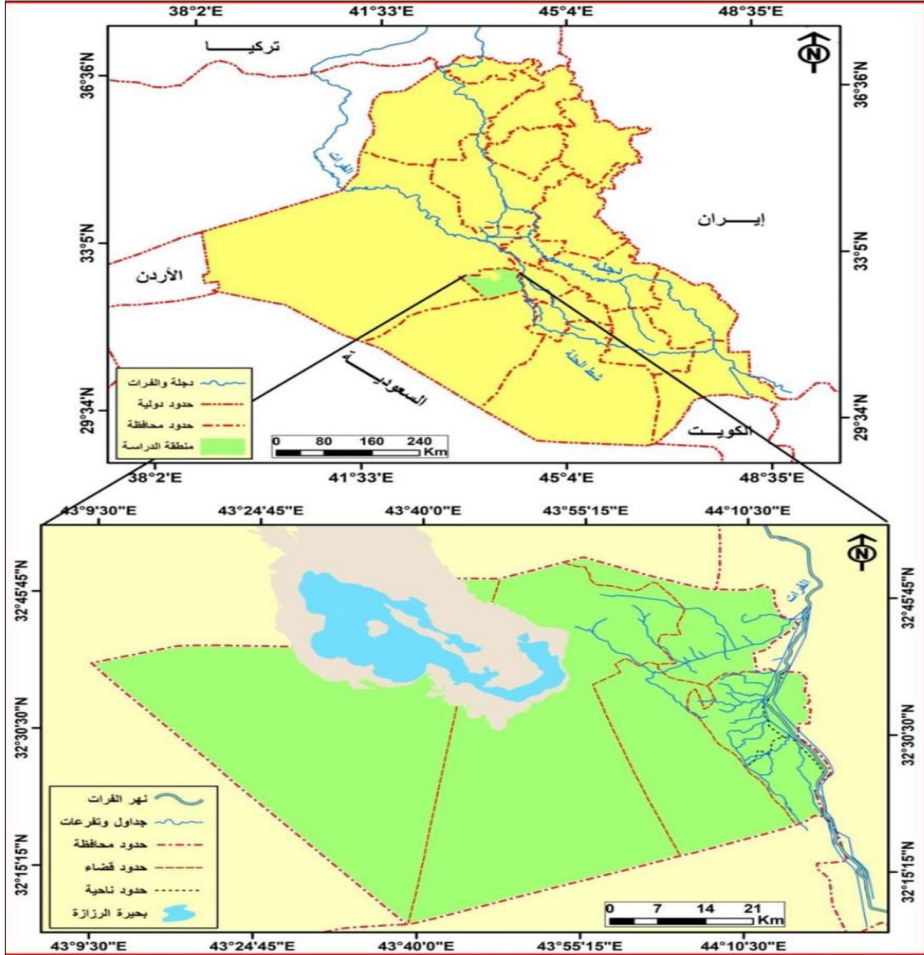
- تم تقسيم البحث على ثلاثة محاور رئيسية فضلا عن الاطار النظري للبحث.
- تناول المحور الاول :- المفاهيم الأساسية في البحث.
- المحور الثاني :- الأثر التنموي لزيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي.
- المحور الثالث:- العمل الميداني وتحليل النتائج.
- الاستنتاجات - التوصيات.

حدود منطقة الدراسة :

الحدود المكانية تتمثل طريق نجف - كربلاء الذي يمتد على مسافة ٨٠ كيلو متراً تقريباً. يقع الطريق في المنطقة الوسطى من العراق، ويحده من الشمال محافظة الانبار ومن الجنوب محافظة النجف ومن الشرق محافظة بابل. ويُركز البحث على هذا الممر بوصفه فضاءً جغرافياً نشطاً يشهد تحولات عمرانية وخدمية موسمية، تعكس تفاعلاً مجتمعياً واقتصادياً ذا بعد تنموي. كما موضح في الخريطة (٢).

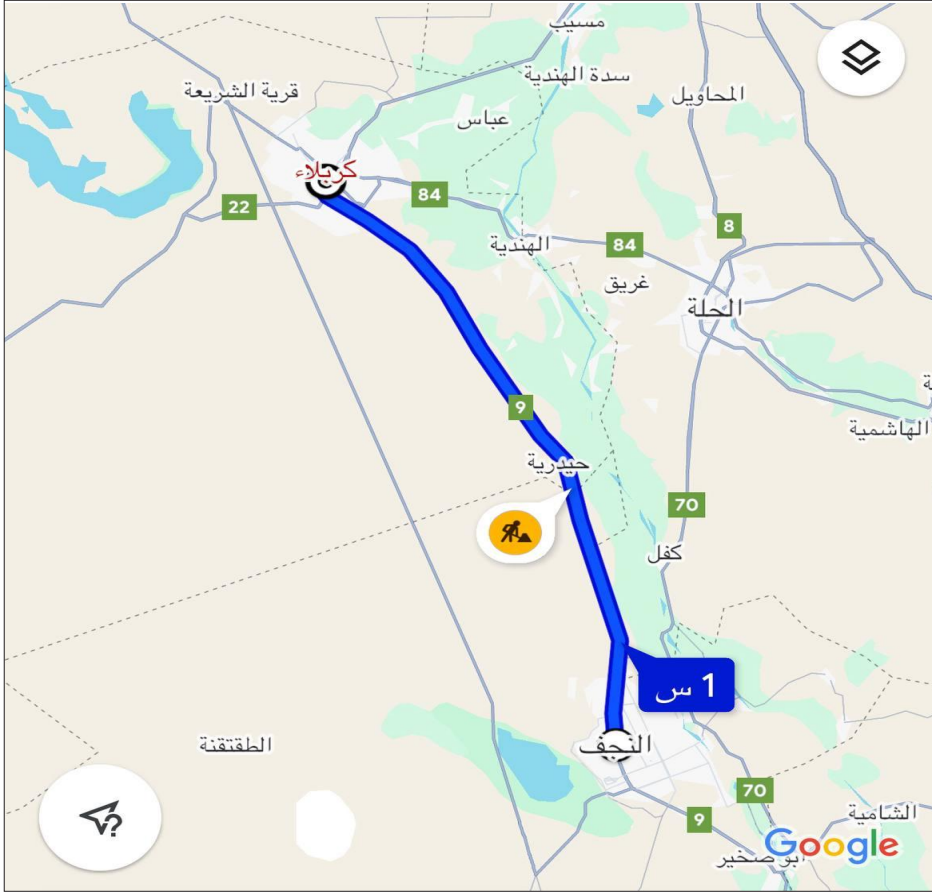
أما الحدود الزمانية فتتمثل في الفترة الزمنية الخاصة بإحياء زيارة الأربعين، وبشكل أكثر تحديداً، حيث تبلغ حركة الزائرين ذروتها، وتُسجّل خلالها أعلى كثافة بشرية على هذا الطريق. كما تمتد النظرة التحليلية لتشمل الفترة بين الاعوام ٢٠١٧ و٢٠٢٤، من أجل تتبّع التطورات المتراكمة في البنية المكانية والخدمية، والوقوف على طبيعة التغيرات في الفضاء الجغرافي لهذا المسار ضمن السياق التنموي العام. كما موضح في الخريطة (١)

خريطة (١) موقع محافظة كربلاء المقدسة من العراق



حسين سلام علي بشارة الغرابي، خصائص القوى العاملة ومشاريع التنمية المكانية للعبة الحسينية المقدسة في محافظة كربلاء المقدسة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٣، ص ٣٦.

خريطة (٢) طريق كربلاء - نجف



(.http://google Maps.com)، بلا تاريخ)

رغم تزايد الدراسات حول المواسم الدينية الكبرى عالمياً، وخصوصاً الحج، من حيث دورها في إعادة تشكيل الفضاء الحضري والبنية التحتية والتنمية المستدامة، فإن زيارة الأربعين لا تزال تُعالج غالباً من زوايا دينية أو اجتماعية أو أمنية، دون التطرق المعمق لأبعادها الجغرافية والتنموية.

كما أن معظم الأدبيات المنشورة تفتقر إلى مقارنة تحليلية منهجية بين الأربعين والمواسم الكبرى الأخرى، سواء من حيث حجم الحشود، أو نماذج الإدارة، أو الأثر المكاني طويل الأمد. وبذلك، تُعد هذه الدراسة محاولة لسدّ هذه الفجوة من خلال معالجة ظاهرة الأربعين بوصفها محفزاً لإعادة تشكيل الفضاء الجغرافي، ورافعة محتملة للتنمية المحلية، ضمن نموذج مجتمعي-شعبي يختلف عن النماذج المركزية كما في موسم الحج.

وتتميز هذه الدراسة بتقديمها زاوية تحليل جغرافي تنموي لم تُسلط عليها الأضواء في معظم الدراسات السابقة، ما يجعلها إضافة نوعية في حقل جغرافية الفضاءات الدينية، وانطلاقاً من أهمية بناء قاعدة مفاهيمية رصينة، يُقدّم هذا الجزء من البحث عرضاً للمفاهيم الأساسية المرتبطة بموضوع الدراسة:

١. مفهوم الفضاء الجغرافي:

تُبرز فكرة الفضاء الجغرافي عنصراً مركزياً في فهم العلاقة بين الإنسان وبيئته، وهي علاقة ليست فقط عاطفية مرتبطة بالانتماء والجذور، بل تشمل أبعاداً متعددة: نفسية، اجتماعية، ثقافية، سياسية واقتصادية. وتطرح المعرفة الجغرافية أسئلة تتجاوز "أين؟" و"متى؟" إلى "كيف؟" و"لماذا؟" تحدث الظواهر، وأهم من ذلك "كيف تحدث هذه الأشياء" داخل فضاء معين.

الفضاء الجغرافي والمكان مفهومان معقدان في الجغرافيا، حيث يُعرّف الفضاء الجغرافي بأنه جزء من الفضاء يعيش فيه الناس معاً، بينما المكان يُشير إلى ترتيب أو موقع له معنى اجتماعي أو زمني. الجغرافي "فرانكو فارينلي" يميز بين نوعين من المكان:

١. مكان لا يمكن استبداله دون أن يتغير كل شيء (يحمل خصوصية وهوية).
٢. مكان كموقع يمكن تبديله بآخر دون تغيير في المعنى (كالوزن في الميزان).

الفضاء الجغرافي إذاً هو المكان من حيث الموقع، بينما المكان بمعناه الوجودي يحمل هوية لا يمكن استنساخها. وقد اعتُبر مفهوم الفضاء جزءاً أساسياً في تطور الفكر الجغرافي منذ القرن السابع عشر، حتى أن الجغرافيا نفسها عُرفت بأنها "علم الأماكن" أو "العلم المكاني".

- الفضاء الجغرافي: هو الامتداد الذي يعيش فيه البشر ويتفاعلون ضمنه، ويشمل الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لعلاقة الإنسان بالمكان.

- المكان: هو جزء من الأرض له خصوصية وهوية غير قابلة للاستبدال، وقد يدل على الترتيب أو الموقع في الزمان أو النظام الاجتماعي.

- الفرق بين الفضاء الجغرافي والمكان: الفضاء هو الامتداد أو الموقع الذي يمكن تبديله، أما المكان فيحمل بعداً وجودياً وهوية لا يمكن استبدالها دون أن يتغير السياق بأكمله (نويف، ٢٠١٨)

٢. مفهوم إعادة تشكيل الفضاء :

يقصد بإعادة تشكيل الفضاء التغيرات المكانية والوظيفية التي تحدث في منطقة معينة بفعل عوامل بشرية أو طبيعية، وتؤدي إلى تبدل استعمالات الأرض أو تغير في البنية السكانية أو الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للمكان. وغالبًا ما تُقترن هذه الظاهرة بمناسبات أو تحولات كبرى، مثل المواسم الدينية أو الكوارث أو التغيرات التنموية.

٣. مفهوم التنمية :

أصبح مصطلح "التنمية" في الوقت الحاضر لا يقتصر على مجرد تحقيق معدلات نمو اقتصادي مرتفعة أو زيادة حصة الفرد من الناتج القومي، ولا يُحتزل في مظاهر التحضر السريعة، بل تطوّر ليأخذ بُعدًا أكثر شمولاً وعمقًا. فالتنمية المعاصرة تُعنى بجودة حياة الإنسان وبتعزيز قدرته على المشاركة الفاعلة في المجتمع. وفي هذا السياق، يُعد الإنسان المحور الأساسي والهدف الأسمى لجهود التنمية، بوصفه الثروة الحقيقية لأي أمة. ويتركز جوهر التنمية الحديثة على تنمية القدرات البشرية، وتوسيع الخيارات المتاحة أمام الأفراد، بما يُسهم في بناء مجتمعات أكثر ازدهارًا وإنصافًا. (بشير ابراهيم الطيف واخرون، ٢٠٠٩)، فيمكن تعريف التنمية هي عملية شاملة تهدف إلى تحسين مستوى المعيشة وجودة الحياة، من خلال تعزيز القدرات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والبيئية. (الجنابي، ٢٠١٩)، في هذا البحث، يتم تناول التنمية المكانية بوصفها شكلاً من أشكال إعادة توزيع الموارد والخدمات والبنى التحتية، بما يعكس التفاعل بين السكان والفضاء.

٤. مفهوم السياحة الدينية :

هي نوع من السياحة يرتبط بالزيارات ذات الطابع الروحي والطقوسي، وتشمل زيارة الأماكن المقدسة والمراقد والعتبات، وتؤدي دوراً مزدوجاً: روحي واجتماعي، وفي بعض الحالات اقتصادي وتنموي. بعضها يرتبط بأوقات محددة من السنة وبعضها يمتد على مدارها (الجنابي، الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، ٢٠١٧)، ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الزيارات الدينية لأغراض السياحة الدينية:-

أ. الزيارات اليومية الاعتيادية المرتبطة بشعائر الصلاة أو تلقي العلم، وهي زيارة يومية تشمل المبيت ولا تتطلب بالتالي اي خدمات عدا تلك التي يقدمها المركز الديني بحكم وظيفته.

ب. الزيارات الأسبوعية وترتبط بعطلة نهاية الأسبوع ويتخللها المبيت في المدن الدينية ليلة واحدة أو ليلتين.

ج. زيارات المناسبات، وترتبط هذه بالمناسبات الدينية المهمة كمواسم الحج والأعياد وقد تختلف من حيث الموسم والفعاليات حسب طبيعة المركز الديني. (واخرون، ٢٠١٦).

٥- البنية التحتية :

تشير البنية التحتية لطريق كربلاء - نجف إلى مجموعة المرافق والأنظمة الخدمية الممتدة على طول الطريق الرابط بين مدينتي مقدستين، والتي تهدف إلى تيسير حركة الزوار والمواطنين، لاسيما خلال مواسم الزيارة المليونية. وقد شهد هذا الطريق في السنوات الأخيرة تطورات نوعية تتماشى مع مفهوم البنية التحتية المستدامة، من خلال استخدام تقنيات حديثة في الرصف والبناء، وتحسين الخدمات العامة، بما يعزز من كفاءة النقل وسلامة المستخدمين، ويحد من التأثيرات البيئية والاجتماعية السلبية، مع توفير خدمات أكثر موثوقية وقدرة على الصمود في وجه الضغوط المتزايدة والظواهر الجوية القاسية (العموش، ٢٠٢٢).

المبحث الثاني

الأثر التنموي لزيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي

تُمثّل زيارة الأربعين إحدى أضخم المناسبات الدينية في العالم، حيث يسير ملايين الزائرين من مختلف المحافظات والدول إلى كربلاء مشياً على الأقدام، وخصوصاً عبر طريق النجف - كربلاء. هذا الحدث لا يمرّ دون أثر واضح في الفضاء الجغرافي، بل يتسبب في إعادة تشكيله سنوياً. وستتناول في هذا المبحث الأبعاد التنموية التي تُحدثها هذه الزيارة على طول هذا الطريق، مركزين على الجوانب: البنية التحتية، الخدمات، المواكب، النقل، والمزارات.

أولاً: تحولات في البنية التحتية

أدت زيارة الأربعين إلى تحفيز مشاريع تطوير واسعة في الطرق والخدمات، وخصوصاً على طريق النجف - كربلاء. كما موضح في الصورة (١) و(٢).

• تم تعبيد الطريق بطول ٨٠ كم وتحديدته بـ ١٤٥٢ عموداً ترقيماً لتيسير المسير وتنظيم المواقع.

صورة رقم (١) مشروع طريق كربلاء - نجف يدخل مرحلته الاخيرة باستخدام تقنيات حديثة



المصدر : <https://karbala.gov.iq/news/6185>

في إطار المساعي الرامية إلى تطوير البنى التحتية الحيوية في محافظة كربلاء المقدسة، باشرت الجهات المعنية تنفيذ المرحلة النهائية من مشروع تطوير وصيانة طريق كربلاء - نجف، تحت إشراف مباشر من محافظ كربلاء المهندس نصيف جاسم الخطابي. ويُعد هذا الطريق من المحاور الاستراتيجية المهمة التي تربط بين مدينتيها أهمية دينية واقتصادية، لاسيما في ظل الزيارات المليونية المتكررة. يتضمن المشروع فرش الطبقة الإسفلتية السطحية باستخدام تقنيات حديثة، أبرزها إدخال مادة "الجيوكرد" بين طبقة الإسفلت والطبقة الكونكريتية، وهي مادة متطورة تُستخدم لأول مرة في هذا السياق داخل المحافظة، وتهدف إلى منع ظهور التشققات، مما يساهم في إطالة العمر الافتراضي للطريق وتحسين كفاءته التشغيلية.

صورة رقم (٢) استخدام تقنيات حديثة لطريق كربلاء نجف



المصدر : <https://karbala.gov.iq/news/6185>

وقد أوضح مدير مديرية الطرق والجسور في كربلاء، المهندس وناس فيصل الدعيمي، أن العمل شمل مسبقاً تنفيذ طبقة كونكريتية مسلحة بسمك ٣٠ سم، باستخدام طبقتين من شبكة الـ B.R.C لتعزيز المتانة الإنشائية. كما يتضمن المشروع تنفيذ شبكات تصريف مياه الأمطار وأعمال البور كيبر والمقرنص، ضمن خطة متكاملة لتحسين البنية التحتية للطريق وضمان كفاءة الجريان السطحي للمياه، خاصة خلال المواسم المطيرة. (كربلاء، ٢٠٢٤).

وتُشكل هذه الأعمال جزءًا من توجه عام لتطبيق أحدث التقنيات العالمية في مشاريع البنى التحتية، بهدف تقديم خدمات مستدامة وتقليل الحاجة إلى الصيانة الدورية. وتبرز أهمية المشروع نظرًا لدوره في تسهيل حركة النقل بين محافظتي كربلاء والنجف، واستيعاب الارتفاع المستمر في أعداد الزائرين خلال المواسم الدينية الكبرى. وضعت خطط لمشاريع ضخمة، منها إنشاء قطار معلق بين النجف وكربلاء بسرعة ٢٤٠ كم/س لتسهيل نقل الزوار، مشيرًا إلى أن القطار سيتولى نقل ٢٥ ألف مسافر في الساعة الواحدة، وبالتالي فإنه سيسهم في امتصاص زخم الزيارات المليونية بين المحافظتين على مدار العام، ما يعكس تحوُّلاً نوعياً في استعمال الفضاء. (المعلومة، ٢٠٢٤).

شهد الطريق إنشاء محطات استراحة، مرافق صحية، أماكن مبيت مؤقتة، وتوسيع الأرصفة المخصصة للمشاة.

ثانياً: تنشيط الاقتصاد المحلي والخدمات

خلال موسم الزيارة الأربعينية، تتحول المدن والقرى الواقعة على طريق النجف - كربلاء إلى فضاءات اقتصادية حيوية، إذ تنتشر آلاف المواكب الخدمية التي تقدم الطعام، الشراب، المبيت، والخدمات الطبية للزائرين مجاناً. هذا النشاط، رغم طابعه غير الربحي، يُحرِّك السوق المحلية ويساهم في تنشيط الدورة الاقتصادية للمناطق المحاذية للطريق، كما نقلت قناة العالم عبر مراسلها استمرار تدفق الزائرين من داخل العراق وخارجه، بما في ذلك من دول عربية وإسلامية وأجنبية، رغم الظروف المناخية الصعبة وارتفاع درجات الحرارة. وفي السياق نفسه، أكدت وزارة الداخلية العراقية أن عدد الزوار الوافدين من خارج البلاد

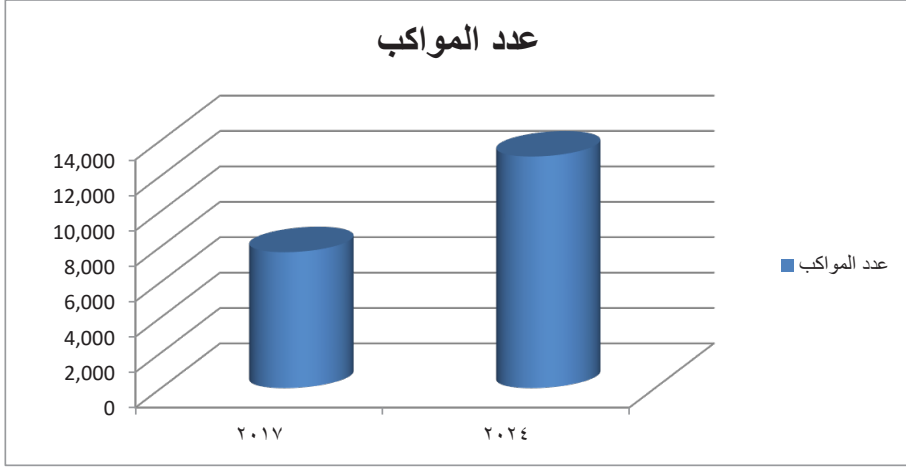
تجاوز مليوني زائر أجنبي حتى تاريخ إعداد التقرير (العالم، ٢٠٢٤)، وفقاً لبيانات الجدول (١)، فإن عدد المواكب على هذا الطريق قد شهد ارتفاعاً ملحوظاً، إذ ارتفع من ٧, ٦٨٠ موكباً في عام ٢٠١٧ (١٤٣٩هـ) إلى ١٣, ٠٨٤ موكباً في عام ٢٠٢٤ (١٤٤٦هـ)، وهو ما يمثل زيادة بنسبة ٧٠, ٣٪ تقريباً خلال سبع سنوات. هذه الزيادة اللافتة تعكس تطوراً في البنية التحتية الشعبية من جهة، وازدياداً في مستوى المشاركة والتنظيم من جهة أخرى، بما يشير إلى تنامي الوعي المجتمعي بأهمية تقديم الخدمة في هذا الحدث الديني الضخم.

الجدول (١) أعداد المواكب على طريق كربلاء - نجف

ت	السنة	العدد
١	٢٠١٧م-١٤٣٩هـ	٧, ٦٨٠
٢	٢٠٢٤م-١٤٤٦هـ	١٣, ٠٨٤

المصدر: موقع العتبة الحسينية المقدسة، وكالة شيعية ويفز الاخبارية، قسم الشعائر والمواكب الحسينية.

الشكل (١) أعداد المواكب على طريق كربلاء - نجف



المصدر : بالاعتماد على بيانات الجدول (١)

يمكن الاستدلال من هذه المقارنة أن الزيارة الأربعينية لا تقتصر أهميتها على البعد الديني، بل تمثل أيضًا نموذجًا لتنظيم شعبي واسع النطاق، تُدار فيه الخدمات من قبل المجتمع المدني، بما يُكمل دور الدولة. كما أن اتساع نطاق المواكب يعزز من قدرة الطريق على استيعاب الحشود، ويدل على وجود بنية تحتية غير رسمية متكاملة. المشاركة لا تقتصر على العراقيين؛ بل تُساهم دول أخرى مثل إيران، لبنان، الكويت، باكستان، وتركيا، الصين اما يخلق دينامية دولية داخل الفضاء المحلي. في إطار الشعائر الدينية المرتبطة بزيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، شهد الطريق الرابط بين النجف الأشرف وكربلاء المقدسة إقامة عدد كبير من المواكب الحسينية لخدمة الزائرين، والتي لم تقتصر على الزوار العراقيين فحسب، بل امتدت لتشمل مشاركات دولية تعكس البعد العالمي المتنامي للزيارة.

ومن بين هذه المواكب، برز موكب حسيني قادم من جمهورية الصين الشعبية، تولى خدمة الزائرين على طريق المشاة، مما أثار اهتماماً واسعاً لدى المشاركين والإعلام. كما موضح في الصورة (٣). (موقع العين برس، ٢٠٢٤).

صورة رقم (٣) موكب حسيني قادم من جمهورية الصين الشعبية



المصدر: موقع العين الإخبارية، موكب صيني على طريق المشاة.

كما سُجِّلت مشاركة مواكب شيعية من تركيا ضمت رجالاً ونساءً قدموا لتقديم مختلف أشكال الدعم والخدمة لزوار كربلاء. (تقرير، ٢٠٢٤) كما موضح في الصور (٤).

صورة رقم (٤) مواكب شيعية من تركيا



المصدر: وكالة أبنا، موكب شيعية تركيا على طريق النجف - كربلاء.

ويستدل من ذلك أن الطابع العالمي للزيارة الأربعينية لا يقتصر على حضور الزوار الأجانب، بل يتجلى كذلك في الانخراط النشط لمجتمعات شيعية من دول متعددة في تقديم الخدمات، مما يعكس وحدة الشعور الديني وعمق الروابط العقائدية العابرة للحدود. كما أن تنوع جنسيات المواكب المشاركة يعزز من فهم الفضاء الجغرافي للزيارة باعتباره مجالاً تفاعلياً مفتوحاً، تتداخل فيه الثقافات الدينية والخبرات التنظيمية من مختلف أنحاء العالم، الأمر الذي يدعم فرضية البحث حول إعادة تشكيل الفضاء عبر الديناميكيات الاجتماعية والشعبية.

ثالثاً: تطور وسائل النقل والخدمات اللوجستية

تُعدّ وسائل النقل أحد المرتكزات الأساسية في إنجاح زيارة الأربعين، لا سيما في المحاور الرئيسة التي تشهد كثافة بشرية عالية، ومنها محور كربلاء - النجف. لذا، كان من الضروري رصد وتحديد أنواع الآليات المستخدمة وأعدادها لتكوين صورة أوضح عن مستوى المشاركة المجتمعية والمؤسسية في دعم الزائرين.

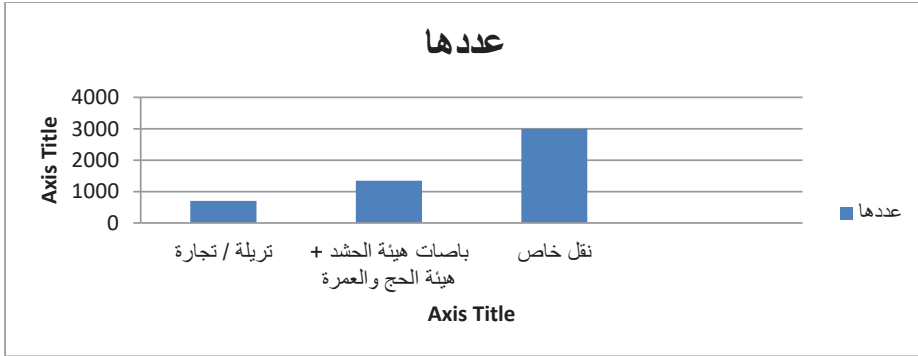
بناءً على البيانات الميدانية التي تم جمعها، يمكن تلخيص أنواع وأعداد آليات النقل كما هو موضح في الجدول الآتي:

الجدول (٢) نوع واعداد آليات النقل في محور كربلاء - النجف

نوع الآلة	عددها
تريلة / تجارة	٧٠٠
باصات هيئة الحشد + هيئة الحج والعمرة	١٣٥٠
نقل خاص	٣٠٠٠
المجموع	٥٠٥٠

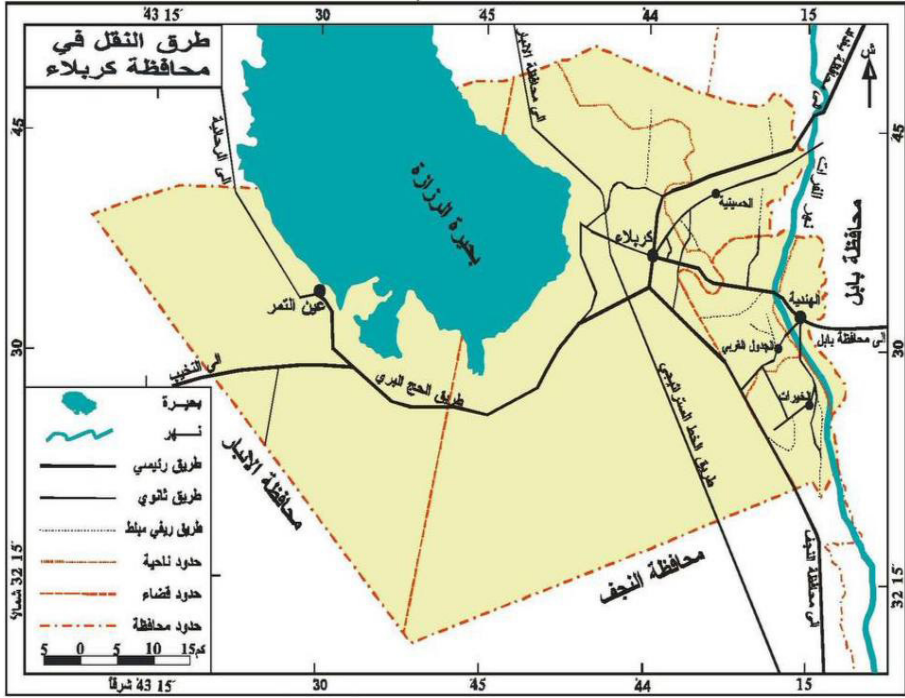
المصدر: شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الأربعين-مركز كربلاء للدراسات والبحوث،
النشرة الإحصائية السنوية لزيارة اربعينية الامام الحسين عليه سلام لسنة ٢٠٢٤، ص ٤٦-٤٧

الشكل (٢) نوع واعداد آليات النقل في محور كربلاء - نجف



المصدر: الباحثة بالاعتماد على بيانات جدول (٢)

خريطة (٣) طرق النقل في محافظة كربلاء



المصدر: (قاعدة بيانات الاحصائية لمركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٠٨)

يُلاحظ من البيانات أن النقل الخاص يحتل المرتبة الأولى من حيث العدد، إذ يبلغ حوالي ٣٠٠٠ وسيلة نقل، مما يعكس حجم الإسهام الكبير الذي يقدمه الأهالي والمتطوعون من مختلف المحافظات.

في المقابل، تظهر مساهمة الجهات الرسمية ممثلة بهيئة الحشد الشعبي وهيئة الحج والعمرة بما يقارب ١٣٥٠ آلية، وهو ما يعكس دعمًا تنظيميًا ولوجستيًا مهمًا.

أما الآليات التجارية (التريلات)، فرغم عددها المحدود نسبيًا (٧٠٠ آلية)، إلا أن دورها لا يقل أهمية، خصوصًا في نقل المؤن والمعدات والخدمات الداعمة.

كذلك يتم نقل الزائرين بواسطة النقل الخاص من ساحة الملحق الى محافظاتهم بينما النقل الحكومي يمارس مهامه من الساحة نفسها الى قضاء الحيدرية. وبالنسبة لمحطات الوقود فتوجد أربع محطات ضمن الحدود الإدارية لمحافظة كربلاء منتشرة بمسافات شبه منتظمة، فيما تتناثر محلات الصيانة بشكل عشوائي على الطريق وتغلق أبواب أغلبها اثناء فترة الزيارة. (جواد، ٢٠٢٠) يتضح أن نجاح النقل في محور كربلاء - النجف خلال زيارة الأربعين يعتمد بصورة أساسية على المبادرات الفردية والمجتمعية، مع دور فعال للجهات الرسمية، مما يعكس نموذجاً للتكامل في خدمة الزائرين.

رابعاً: الفضاء الديني والمزارات كمحركات مكانية

تعدّ مدينة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) للزائرين من أبرز مشاريع البنية التحتية التي أنشأتها العتبة الحسينية المقدسة عام ٢٠١٤، على الطريق الرابط بين كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، مقابل العمود رقم (١٠٦٦)، على مساحة تبلغ (٢٢ دونماً). ويأتي هذا المشروع ضمن جهود تنموية تهدف إلى استيعاب الأعداد المليونية من الزائرين المتجهين مشياً على الأقدام نحو كربلاء، خاصة خلال موسم زيارة الأربعين، ما يجعلها أحد النماذج البارزة لإعادة تشكيل الفضاء الجغرافي الديني وتحويله إلى فضاء حضري متعدد الوظائف (الغرابي، ٢٠٢٣) تتضمن المدينة مرافق خدمية متكاملة تشمل ثنائي بنايات منام حديثة مجانية، فضلاً عن مجمعات استثمارية وسويتات مخصصة للضيوف والطلبة، ومضيف بسعة تفوق (١٠٠٠) شخص، وجامع كبير، وخمسة مجمعات صحية تحتوي على (٨٠٠) وحدة صحية و(٢٠٠) حمام، إضافة إلى محطة لتصفية المياه، وحدائق، ومناطق ألعاب للأطفال، ومرافق تجارية. ويظهر هذا التنوع في المرافق مدى شمولية التصميم الذي يخدم الزائرين من مختلف الفئات، ويحول المدينة إلى محور خدمي دائم يتعدى موسمية الحدث الديني (الغرابي، ٢٠٢٣).

وتشير البيانات الصادرة عن إدارة المدينة إلى أن عدد الزائرين الذين تم استقبالهم خلال زيارة الربيع لعام ٢٠٢١ تجاوز (٨) ملايين زائر، بينما شهدت زيارة عام ٢٠٢٣ (١٤٤٥هـ) استقبال أكثر من (٤٨١,٣٥٠) زائراً بين ٦ و ٢٠ صفر فقط، حيث تم توفير (٤٦٢,٥٥٠) وجبة غذائية للزائرين و(٦٨٢,٥٩) وجبة للكوادر العاملة. كما جرى تقديم خدمات طبية لأكثر من (١٥,٥٦٨) زائراً، وتحويل (٥٧٩) حالة حرجة إلى المستشفيات. وتم إنشاء أكثر من (٢٠) خيمة مبيت إضافية، إلى جانب خدمات لوجستية كتصليح العجلات وكَيّ الملابس، وبرامج ثقافية وإرشادية موجهة (المسلمات، ٢٠٢٣) ولم تقتصر الوظيفة التنموية للمدينة على مواسم الزيارة، بل ظهرت مرونتها الوظيفية في أوقات الأزمات، إذ استخدمت كموقع لإيواء النازحين خلال سيطرة تنظيم داعش، ولاحقاً كمركز حجر صحي أثناء جائحة كورونا. ويدير هذه المدينة طاقم مكوّن من (٣٧٨) موظفاً من الجنسين، ما يعكس مساهمتها في خلق فرص عمل محلية وتفعيل قطاعات إدارية وخدمية متنوعة (الغرابي، ٢٠٢٣).

بناءً عليه، فإن مدينة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) تُمثل نموذجاً متقدماً لدمج الأبعاد الدينية بالخدمية والتنموية في الفضاء الجغرافي، وتُظهر كيف يمكن للبنية التحتية الدينية أن تتحول إلى رافعة تنموية مستدامة تعيد تشكيل المشهد المكاني في المناطق الواقعة على مسارات الزيارة الأربعينية (المسلمات، ٢٠٢٣).

صورة رقم (٥) بوابة مدخل مدينة الامام الحسن المجتبي عليه السلام



المصدر : الباحثة تم التقاطها بتاريخ ٢٠٢٤ / ١١ / ٣

زيارة الأربعين تُشكّل نموذجًا حيًا لإعادة إنتاج الفضاء الجغرافي عبر حدث ديني. إذ تؤثر في البنية التحتية، الأنشطة الاقتصادية، والنقل، وتُعيد تنظيم استخدامات الأرض والخدمات. هذه التأثيرات تمثل فرصة لإعادة التفكير في التخطيط التنموي، ليس فقط من منظور موسمي، بل كاستراتيجية لتطوير الفضاءات الحضرية.

المبحث الثالث

العمل الميداني وتحليل النتائج

في سياق دراسة أثر زيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي من منظور تنموي، يشكل هذا المبحث العمود الفقري للتحقيق الميداني، إذ يسلط الضوء على البيانات المستخلصة من الواقع عبر استبيان ميداني صُمم لاستقصاء آراء شريحة من السكان المحليين والمشاركين في الزيارة. ويهدف هذا الجزء من البحث إلى الوقوف على أبرز التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمكانية التي تفرزها الزيارة في المناطق

التي تمر بها، وتقييم مستوى الاستجابة المؤسسية والمجتمعية للتحديات المرتبطة بها. تم جمع البيانات من خلال توزيع استبيان على عينة مكونة من (٩٠) مشاركاً من مناطق متأثرة أو فاعلة في تنظيم الزيارة، حيث رُوعي تنوع الخلفيات الجغرافية والديموغرافية للمشاركين لتعزيز تمثيل النتائج ودقتها. وقد شمل الاستبيان سبعة محاور رئيسة تعكس الأبعاد المختلفة للزيارة، وهي: المعلومات العامة للمشاركين، البنية التحتية والخدمات، الأثر الاقتصادي، الأثر الاجتماعي، التحديات، الفضاء الجغرافي والتنمية، وأخيراً دور الدولة والمجتمع.

تكمن أهمية هذا المبحث في كونه يكشف عن الفجوة بين التخطيط الرسمي والاستجابة المجتمعية، ويبرز فرص التنمية المستدامة التي يمكن أن تتولد من حدث ديني ذي طابع جماهيري، كالزيارة الأربعينية. ومن خلال تحليل النتائج الكمية والنوعية، يسعى هذا الفصل إلى تقديم قراءة دقيقة للواقع التنموي والاجتماعي الذي تفرضه الزيارة، ومدى تأثيرها في تشكيل الفضاء الجغرافي على المدى القريب والبعيد.

في إطار البحث عن أثر زيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي من منظور تنموي، تم إجراء دراسة ميدانية بهدف استقصاء آراء السكان المحليين والمشاركين في الزيارة حول عدد من القضايا المتعلقة بالبنية التحتية، والآثار الاقتصادية والاجتماعية، والتحديات التنظيمية، والتحويلات المكانية. وقد جُمعت البيانات من خلال استبيان وُزِع على عينة بلغ عددها (٩٠) مشاركاً من مناطق مختلفة معنية بمرور أو تنظيم الزيارة. وقد قُسمت الاستبانة إلى سبعة محاور رئيسة لتغطية مختلف جوانب الظاهرة المدروسة، وسنقدم فيما يلي تحليلاً مفصلاً لأبرز النتائج.

صورة رقم (٦)، (٧)، (٨) زائرو الامام الحسين عليه السلام طريق نجف - كربلاء



ABNA24.com
Photo: Hadi Chehrghani



ABNA24.com
Photo: Hadi Chehrghani



المصدر: تقرير مصور. (٢٠٢٢) مشاية الأربعين الحسيني من النجف الأشرف نحو كربلاء المقدسة.

أولاً: المعلومات العامة للمشاركين

أظهرت البيانات أن نسبة الإناث في العينة بلغت (١, ٧١٪)، في حين شكّل الذكور (٩, ٢٨٪)، مما يعكس مشاركة نسائية واسعة في سياق الزيارة، وهو ما يشير إلى تنام في الدور المجتمعي والديني للمرأة. أما من حيث الفئات العمرية، فقد تركزت النسبة الكبرى في الفئة بين (٣١-٤٠ سنة) بنسبة (٥٠٪)، تليها فئة (٢٠-٣٠ سنة) بنسبة (٣٠٪)، وهو ما يشير إلى أن شريحة الشباب النشط اقتصادياً واجتماعياً هي الأكثر تفاعلاً مع الزيارة.

من ناحية التحصيل العلمي، شكّلت شريحة حملة الدراسات العليا النسبة الأعلى بواقع (٢, ٦٢٪)، تليها حملة شهادات البكالوريوس بنسبة (٩, ٢٨٪)، ما يعكس مستوى معرفياً مرتفعاً لدى المشاركين، يُضفي موثوقية على مخرجات الاستبيان. وتبيّن أن الغالبية العظمى من العينة (٨, ٧٧٪) هم من الزائرين المتكررين، مما يعزز قيمة خبراتهم وتقديراتهم لمختلف الجوانب المرتبطة بالزيارة. أما التوزيع الجغرافي، فقد تركزت النسبة الأكبر في محافظة كربلاء والنجف بنسبة تتجاوز (٤٣٪)، تليها محافظات بابل، واسط، وبغداد.

ثانياً: البنية التحتية والخدمات

أفاد (٣، ٦٣٪) من المشاركين بوجود تحسن نسبي في الخدمات العامة خلال فترة زيارة الأربعين، بينما عبّر (٦، ٢٥٪) عن تحسن واضح، في حين لم يلاحظ (٩، ٨٪) أي تغيير يُذكر. وأبرزت النتائج أن الطرق تحسنت بشكل ملحوظ (٣، ٤٣٪)، تلتها الكهرباء (١، ٢١٪)، والماء (٦، ١٥٪)، وخدمات النظافة (٤، ١٤٪). ومع ذلك، أشار أكثر من نصف المشاركين (٧، ٥٦٪) إلى أنهم لا يستخدمون البنى التحتية التي أنشئت لأغراض الزيارة في حياتهم اليومية، مما يعكس محدودية الاستفادة المستدامة منها.

هذا يشير إلى أن تحسينات البنية التحتية المرتبطة بالزيارة لا تزال مؤقتة بطبيعتها، ولا تُدمج بشكل كافٍ ضمن إطار الخدمات الدائمة التي تلبّي احتياجات السكان طوال العام. ومن ثم، تُبرز هذه النتائج أهمية تبني استراتيجيات تخطيطية مستدامة تضمن استمرار استثمار هذه التحسينات لخدمة المجتمع المحلي، وتعزيز فعالية استدامة التحولات المكانية. بالإضافة إلى ذلك، تستدعي هذه الملاحظة تطوير آليات تقييم دورية لمتابعة مدى استمرار استخدام وتحقيق فوائد البنية التحتية بعد انتهاء الموسم، وذلك لدعم فرضية إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي بصورة أكثر شمولية

ثالثاً: الأثر الاقتصادي :

أوضح (٦، ٥٥٪) من المشاركين أن الزيارة تسهم في توفير فرص عمل مؤقتة، خاصة في مجالات النقل والخدمات المرتبطة بالموكب. ومن جهة أخرى، وصف (٣، ٥٣٪) التأثير الاقتصادي بأنه "إيجابي"، و(٧، ٢٦٪) بأنه "إيجابي جداً"، في حين لم تتجاوز نسبة من رأوا أن التأثير سلبياً أو غير موجود سوى حدود هامشية.

ويُستدل من هذه الأرقام على أن الزيارة تمثل مصدر دخل موسمي للعديد من الأفراد والعوائل، مما يفتح المجال لإعادة التفكير بكيفية استثمار هذا النشاط الديني في تحفيز النمو المحلي المستدام.

رابعاً: الأثر الاجتماعي :

أبرزت النتائج أن لزيارة الأربعين بُعداً اجتماعياً واضحاً، حيث أكد (٩٠٪) من المشاركين أن الزيارة تسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية، سواء داخل الأسرة أو على مستوى المجتمع المحلي. كما اعتبر (٨٦,٧٪) من العينة أن تعاون الأهالي خلال فترة الزيارة كان "كبيراً"، مما يعكس ارتفاع منسوب التكافل الاجتماعي والتلاحم المجتمعي خلال هذه المناسبة.

وهذا يدل على أن الزيارة لا تقتصر على كونها حدثاً دينياً فحسب، بل تشكل أيضاً مناسبة لإعادة إحياء روح التضامن والتعايش داخل النسيج الاجتماعي.

خامساً: التحديات :

ظهرت نتائج الاستبيان المتعلق بالتحديات التي تواجه المنطقة أثناء فترة زيارة الأربعين أن التحدي الأكبر هو الازدحام المروري، حيث أشار إليه ٢, ٧٢٪ من المشاركين (٦٥ من أصل ٩٠)، مما يعكس ضغطاً كبيراً على البنية التحتية المرورية، ويفرض الحاجة إلى تنظيم مروري خاص يتلاءم مع حجم الحشود. يأتي في المرتبة الثانية تراكم النفايات بنسبة ٤٦,٧٪، وهو مؤشر على ضعف منظومة النظافة والخدمات البيئية خلال فترة الزيارة. أما ضعف الخدمات العامة (مثل المياه والكهرباء والصحة والمواصلات) فحصل على ٢٦,٧٪ من الردود، مما يشير إلى

وجود فجوة بين حجم الطلب المتزايد على الخدمات والقدرة الفعلية على تلبيتها. في حين أن المشاكل الأمنية لم تُذكر إلا بنسبة ٤, ٤٪، ما قد يشير إلى شعور عام بالأمان، رغم وجود بعض الهواجس الفردية. وبلغت نسبة الردود على خيار "أخرى" نحو ٣, ١٣٪، ما يدل على وجود تحديات فرعية أو محلية قد لا تشملها الخيارات العامة، وتتطلب دراسة نوعية لمعرفة تفاصيلها.

من الواضح أن التحديات المرتبطة بزيارة الأربعين ليست ظرفية فحسب، بل هي نتيجة طبيعية لتفاعل بشري مكثف ضمن إطار مكاني محدود، ما يستدعي استجابات تخطيطية مرنة ومبتكرة. ويمكن الحد من هذه التحديات من خلال عدة إجراءات:

١. للتخفيف من الازدحام المروري:

- وضع خطة نقل ذكية تعتمد على استخدام وسائل نقل جماعي منظم (باصات، قطارات).
- اعتماد طرق بديلة ومسارات مشاة تفصل بين السيارات والزوار.
- تعزيز استخدام التطبيقات الرقمية لتوزيع المسارات بشكل ذكي.

٢. لمعالجة مشكلة النفايات:

- إنشاء منظومة طوارئ للنظافة تعمل على مدار الساعة خلال فترة الزيارة.
- توزيع حاويات نفايات كافية وموزعة بذكاء على طول المسارات.
- إشراك المتطوعين والمجتمع المدني في حملات توعية للحفاظ على النظافة.

٣. لتحسين الخدمات:

- تعزيز التنسيق بين الدوائر الخدمية لتأمين إمدادات مستمرة للمياه والكهرباء والصحة.
- تفعيل المستشفيات والمراكز الصحية المتنقلة.
- إعداد خطط دعم لوجستي مسبق بالتعاون بين الجهات الحكومية والدينية.

٤. للتعامل مع التحديات الأمنية :

- تعزيز وجود العناصر الأمنية المدربة، لا لضبط الأمن فقط بل لتقديم المساعدة أيضاً.
- توفير نقاط إرشاد للزوار وتعزيز الإحساس بالأمان عبر فرق طوارئ مرئية.

سادساً : الفضاء الجغرافي والتنمية :

أشار (٤، ٥٤٪) من المشاركين إلى حدوث تغيير جزئي في استخدام الأراضي والفضاء خلال فترة الزيارة، بينما اعتبر (٩، ٢٨٪) أن هذا التغيير دائم، في حين لم يلاحظ (٧، ١٦٪) أي تغيير. أما بخصوص طبيعة هذا التغيير، فقد وصفه (٨، ٤٧٪) بالإيجابي، و(٤، ٤٤٪) اعتبروه مؤقتاً بلا أثر طويل الأمد، بينما رأى (٨، ٧٪) أن الأثر سلبي.

تدل هذه المؤشرات على أن الفضاء الجغرافي يشهد تحولاً وظيفياً خلال فترة الزيارة، سواء من خلال توسع استخدام الطرق، أو إقامة منشآت خدمية مؤقتة، أو إعادة تخصيص بعض الأراضي لأغراض الاستضافة، ما يبرز البعد المكاني للزيارة كمجال للدراسة والتخطيط الحضري.

سابعاً : دور الدولة والمجتمع :

قيّم نصف المشاركين (٥٠٪) أداء الجهات الحكومية خلال الزيارة بأنه "ضعيف"، في حين وصفه (٧، ٣٦٪) بأنه "متوسط"، ولم تتجاوز نسبة من اعتبر الأداء "جيداً" سوى (٣، ١٣٪). في المقابل، رأى غالبية المشاركين أن مساهمة المجتمع المحلي كانت "فعالة"، وهو ما يؤكد الدور المحوري للتنظيم الشعبي والتطوعي في إدارة الزيارة.

وتشير هذه النتائج إلى وجود فجوة بين الأداء الرسمي والمجتمعي، ما يدعو إلى تعزيز التنسيق بين الدولة والمجتمع المدني، وتحويل الجهود التطوعية إلى إطار مؤسسي مستدام يمكن البناء عليه مستقبلاً

أبرزت نتائج العمل الميداني أن زيارة الأربعين لا تقتصر على كونها مناسبة دينية كبرى، بل تشكل حدثاً ديناميكياً مركباً يترك أثراً ملموساً في مختلف الأبعاد التنموية والجغرافية والاجتماعية للمناطق التي تمر بها. وقد كشفت محاور الاستبيان عن مشاركة مجتمعية واسعة، خاصة من فئة الشباب والنساء، ما يعكس حيوية التفاعل الشعبي مع الزيارة.

أظهرت النتائج تحسناً نسبياً في البنية التحتية والخدمات، إلا أن هذا التحسن غالباً ما يكون موسميًا وغير مستدام، كما أشارت إلى وجود تأثير اقتصادي مباشر للزيارة في خلق فرص العمل وزيادة النشاط التجاري، إلى جانب دورها البارز في تعزيز التماسك الاجتماعي.

في المقابل، برزت تحديات حقيقية تتعلق بالازدحام والضغط على الموارد والخدمات، مما يستدعي تدخلاً مؤسسياً أكثر فاعلية. أما من حيث الفضاء الجغرافي، فقد تبين وجود تحولات مكانية مؤقتة أو دائمة، تعكس الأثر المكاني المتصاعد للزيارة.

كما سلّطت البيانات الضوء على ضعف أداء الجهات الحكومية مقارنة بالدور الفاعل للمجتمع المحلي، ما يعزز الحاجة إلى تعزيز الشراكة بين الطرفين وتحويل الجهد الشعبي إلى طاقة تنموية مؤطرة ومخطط لها.

تشكل هذه النتائج قاعدة تحليلية مهمة لتطوير السياسات المحلية، وتعزيز مفهوم التنمية المرتبطة بالهوية والمناسبات الدينية، بما يحقق توازناً بين البعد الروحي والبعد التنموي للزيارة الأربعينية

النتائج

١. تُظهر نتائج الدراسة انسجامًا مع نموذج "إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي حيث تؤدي زيارة الأربعين إلى تحولات عمرانية وخدمية مؤقتة ودائمة نتيجة التدفقات البشرية الضخمة.
٢. تتطابق هذه التحولات مع ما تشير إليه نماذج التنمية المعتمدة على السياحة الدينية، والتي تؤكد أن الفعاليات الدينية تحفز تطوير البنى التحتية وتنشيط الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.
٣. تسلط النتائج الضوء على أهمية دمج الظواهر المجتمعية، مثل المواكب والتنظيم الشعبي، ضمن خطط التنمية المكانية المستدامة لضمان تحقيق الأثر طويل الأمد.
٤. عند المقارنة مع مواسم دينية كبرى مثل الحج، يُلاحظ تشابه في التأثيرات المكانية والاقتصادية والاجتماعية، مما يعزز قابلية التعميم الجزئي للنتائج.
٥. تختلف زيارة الأربعين في اعتمادها على التنظيم الشعبي الطوعي بدرجة كبيرة، في مقابل سيطرة المؤسسات الرسمية على إدارة الحج، ما يعكس نموذجًا تنمويًا قاعديًا (من الأسفل إلى الأعلى).
٦. تؤكد هذه الخصوصية على ضرورة اعتماد نموذج تخطيطي مرن يتلاءم مع الديناميكية الاجتماعية والتنظيمية للزيارة، ويعزز من فاعلية استثمار نتائجها تنمويًا

التوصيات

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ميدانية وتحليلية، وبهدف تعزيز الدور التنموي لزيارة الأربعين في إعادة تشكيل الفضاء الجغرافي، توصي الباحثان بالتالي:

أولاً: توصيات قصيرة المدى (خلال سنة واحدة):

١. تفعيل خطة طوارئ متكاملة لإدارة النفايات خلال فترة الزيارة، تشمل توزيع حاويات كافية، وجدولة عمل فرق النظافة، وإشراك المتطوعين في حملات التوعية البيئية. (الجهات المقترحة: البلديات، وزارة البيئة، العتبات المقدسة، منظمات المجتمع المدني).

٢. تنظيم حركة المرور على طريق كربلاء || النجف من خلال فصل مسارات المشاة عن المركبات، وتحديد مسارات بديلة لتقليل الزحام (مديريات المرور، قيادة العمليات، الحكومات المحلية).

٣. إنشاء نقاط إرشاد وخدمات طبية أولية على امتداد الطريق، تديرها فرق طوارئ مدربة لضمان سلامة الزائرين ورفع مستوى الاستجابة السريعة. (وزارات: الصحة، الداخلية، الدفاع المدني، الهلال الأحمر).

٤. دعم الجهد الشعبي من خلال حملات تطوعية منسقة مع الجهات الرسمية، تضمن التكامل بين المواكب والمؤسسات الخدمية. (دائرة المنظمات غير الحكومية، العتبات، المتطوعون المحليون).

ثانياً: توصيات متوسطة المدى (من سنة إلى ثلاث سنوات):

١. إدماج زيارة الأربعين في خطط التنمية المستدامة، من خلال الاعتراف بها كحدث تنموي ديني واقتصادي في السياسات الرسمية والموازنات المحلية. (وزارة التخطيط، هيئة السياحة الدينية، المحافظات المعنية).

٢. تطوير منظومة نقل ذكية تعتمد على وسائل جماعية منظمة (باصات، خطوط سريعة، تطبيقات رقمية)، بما يسهم في تخفيف الضغط على البنية التحتية. (وزارة النقل، هيئة الحج والعمرة، القطاع الخاص).

٣. تأطير عمل المواكب الحسينية ضمن آليات مؤسساتية، من خلال برامج دعم وتأهيل وشراكات مع منظمات المجتمع المدني. (العتبات، نقابات المواكب، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية).

٤. إنشاء وحدة خاصة لمتابعة كفاءة البنية التحتية المرتبطة بالزيارة، وتقييم مدى استمرارية الاستفادة منها بعد انتهاء الموسم الديني. (ديوان الرقابة المالية، وزارة الإعمار والإسكان).

ثالثاً: توصيات طويلة المدى (أكثر من ثلاث سنوات):

١. تنفيذ مشروع القطار المعلق بين النجف وكربلاء كحل استراتيجي مستدام لتقليل الازدحام وتسهيل حركة الزائرين. (وزارة النقل، الهيئة الوطنية للاستثمار، شركات تنفيذ أجنبية وفق شراكات استراتيجية).

٢. التوسع في إنشاء مدن خدمية دائمة على غرار "مدينة الإمام الحسن المجتبي"، تضم خدمات الإيواء والصحة والمياه والأنشطة الثقافية. (العتبات، هيئة الاستثمار، الحكومات المحلية).

٣. تأسيس مركز وطني لتخطيط وإدارة الزيارات الدينية من منظور جغرافي وتنموي، بالشراكة مع الجامعات ومراكز البحوث والمجالس البلدية. (الأمانة العامة لمجلس الوزراء، وزارة التعليم العالي، مراكز الدراسات الجغرافية والتنموية).

١. امير كامل جواد. (كانون الثاني، ٢٠٢٠). التباين المكاني لخدمات النقل في زيارة الأربعين لسنة ٢٠١٧ وعلاقته بكثافة الزائرين. السبب العلمية المحكمة، صفحة ٢٨٧.
٢. بشير إبراهيم الطيف وآخرون. (٢٠٠٩). خدمات المدن: دراسة في الجغرافية التنموية (المجلد ١). طرابلس، لبنان.
٣. تقرير. (٢٠٢٤). موكب شيعة تركيا على طريق نجف كربلاء يخدم زوار الأربعين.
٤. تقرير مصور. (٢٠٢٢). تقرير مصور / مشاية الأربعين الحسيني من النجف الأشرف نحو كربلاء المقدسة.
٥. حسين سلام علي بشارة الغرابي. (٢٠٢٣). خصائص القوى العاملة ومشاريع التنمية المكانية للعتبة الحسينية المقدسة في محافظة كربلاء المقدسة (أطروحة ماجستير غير منشورة). جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية.
٦. (دون تاريخ). Google Maps. <http://google.com/maps>.
٧. صلاح نويف. (٢٠١٨). الأفكار والنظريات الجيوسياسية: من الفضاء الجغرافي إلى الفضاء السياسي (الإصدار الأكاديمية العربية). الدنمارك.
٨. عبد الزهرة علي الجنابي. (٢٠١٧). الجغرافيا العامة: الطبيعية والبشرية (المجلد الأول). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
٩. عبد الزهرة علي الجنابي. (٢٠١٩). التنمية المستدامة من منظور جغرافي (المجلد الأول). عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع.
١٠. عبد الزهرة شلش زامل العتاي وآخرون. (تموز، ٢٠١٦). التوجيهات المستقبلية لتنمية السياحة الدينية في مدينة كربلاء. صفحة ١٩٩.

١١. علي المسلماوي. (٩ سبتمبر، ٢٠٢٣). يتحدث عن حصيلة الخدمات التي قدمتها مدينة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام التابعة للعتبة الحسينية المقدسة.
١٢. قاعدة بيانات إحصائية لمركز كربلاء للدراسات والبحوث. (٢٠٠٨). تم الاسترداد من مديرية طرق وجسور محافظة كربلاء، بيانات غير منشورة: <https://c-karbala.com/ar/gegrafic-karbala/3218>
١٣. قناة العالم. (٢٠٢٤). رقم قياسي لعدد المواكب الحسينية على طريق كربلاء - نجف. تاريخ الاسترداد: ٦ ديسمبر، ٢٠٢٥.
١٤. موقع العين برس. (٢٠٢٤). على طريق المشاية: موكب صيني من النجف إلى كربلاء، فيديو هات. تاريخ الاسترداد: ٢٠٢٥، من: <https://alainpress.com/>
١٥. وفاء أحمد محمود العموش. (٢ تشرين الثاني، ٢٠٢٢). دور البنية التحتية في التنمية المستدامة. المجلة العربية للنشر العلمي، الصفحات ٥٣٣-٥٣٤.
١٦. وكالة المعلومة. (٢٠٢٤). تفصيل مشروع قطار كربلاء - نجف. تاريخ الاسترداد: ١٠ حزيران، ٢٠٢٥، من: <https://almaalomah.me/news/55635/>
١٧. الموقع الرسمي لمحافظة كربلاء / مشاريع محافظة كربلاء. (٢٠٢٤). <https://karbala.gov.iq/news/6185> تاريخ الاسترداد: ١١ تشرين الثاني، ٢٠٢٥.
١٨. (وكالة شيعية ويفز الاخبارية، قسم الشعائر والمواكب الحسينية، يعلن احصائية عدد المواكب الحسينية المشاركة في تقديم الخدمات لزوار الاربعينية، نشر بتاريخ ٢٠٢٤).

مسيرة زيارة الاربعةين في القرآن الكريم

الاستاذ الحافظ ضرار مجيد عبد مهدي التميمي
al.mahbob72@gmail.com

الملخص:

كُثِرَ الحديث عن شرعية وسند المسير في زيارة الأربعين بهذا الشكل وهكذا كيفية ولماذا حث الأئمة المعصوميين عليهم السلام على هذه الزيارة؟ مع العلم إن المعصومين عليهم السلام لا يتحدثوا عن شيء إلا وله دليل في القرآن الكريم وهو من أخرج الأسئلة في العقيدة. ويعتمد البحث على تفسير الآيات المطلوبة تفسيراً تحليلياً وعقلياً في البحث وفق ما توصل إليه العلوم الحديثة وبمفاهيم جديدة مقبولة والتركيز على سورة المعارج حيث إن أغلب المفسرين يصفون آياتها عند يوم القيامة في حين لها وجه آخر يصف الوضع الحالي والمستقبل القريب وبالأخص يصف مسيرة زيارة الأربعين وصفاً بلاغياً دقيقاً.

الكلمات المفتاحية: في سورة المعارج وصف مسيرة زيارة الأربعين وفي سورة يس وصف البيان الأول للإمام الحجة عجل وفي سورة القمر وصف مسيرة البيعة الكبرى لدولة الإمام المهدي عليه السلام

The Arbaeen Pilgrimage in the Holy Qur'an

Mr.Dhirar Majeed Abdul-Mahdi Al-Tamimi

Abstract

There has been much discussion about the religious legitimacy and basis of the procession during the Arba'een pilgrimage in its current form, and why the Infallible Imams (peace be upon them) encouraged this visitation. It is well-known that the Imams do not speak of anything without evidence from the Holy Quran. This issue is among the most challenging questions in Islamic theology. The research relies on an analytical and rational interpretation of relevant Quranic verses, aligned with modern scientific advancements and acceptable new concepts, with a focus on Surah Al-Ma'arij. While most interpreters describe its verses in the context of the Day of Judgment, it also has another dimension describing the current and near-future situation, specifically depicting the Arba'een procession with precise rhetorical eloquence.

Keywords: Surah Al-Ma'arij and the description of the Arba'een pilgrimage procession, Surah Ya-Sin and the description of the first declaration of Imam Mahdi (may Allah hasten his reappearance), Surah Al-Qamar and the description of the grand pledge of allegiance procession to the state of Imam Mahdi (may Allah hasten his reappearance).

المبحث الأول الأجداث:

جمع (جدث) وهو القبر في جميع معاجم اللغة العربية ولكن لها وجه آخر (إستعارة تمثيلية أو مجازياً) وربما شاء الله أن يخفي أمرها لوقيتها. حيث ان بعض أساتذة اللغة والمفسرين غير مقتنعين بأن الأجداث التي جاءت بالقرآن الكريم بمعنى القبر المادي لما في صفات القبر السكون والفناء في حين جاءت لفظة الأجداث تصف حالات الحركة والتنقل كما سبقتها(من) التبعيضية وبذلك يكون معناها المسكن أو البيت حيث يكون الإنسان في حالة الموت عند النوم.

المبحث الثاني:سورة المعارج

المعارج: أي المصاعد أو العلو والسمو بالتقرب الى الله تعالى بالعمل الصالح بالدنيا. **سأل سائل بعذاب واقع:** ويقال انه (النعمان بن الحارث) بعد بيعة الغدير ويقصد بها ولاية علي عليه السلام.

إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً: فيه وجه لظهور الإمام المهدي عليه السلام وإقامة دولته. **فلا أقسم برب المشارق والمغارب:** الشروق والغروب لا تتم الا بوجود الشمس والأرض المتحركة وهي في الحياة الدنيا والقسم هنا يدل على أن الحدث عالمي. **على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين:** هذه نبوءة ووعدها جاءت مع القسم للتعظيم والتأكيد على تغير المناصب ودحر ونهاية الحكام الطغاة وتحقيق العدل الإلهي في الأرض.

فذرهم يخوضو ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون: أي سيمتد حكمهم مدة طويلة الى اليوم الموعود لظهور الإمام المنتظر عليه السلام. وعلامة هذا اليوم.

يوم يخرجون من الأجداث: (هذه الآية تفسر الحدث الذي يسبق النبوءة وليس مكتملاً لما قبلها) يوم خروج الناس من بعض المساكن وكلمة يخرجون تدل على طواعية الخروج ودون اكراه لكون فيها فائدة كبيرة وفق زمن محدد ووجهة معلومة.

سراعاً: السرعة تعتمد على المسافة والزمن وهما كميتان دنيويتان كما تدل السرعة على خفة الحمل وتوفر ما يحتاجونه ويقين الرجوع الى المسكن (الحدث).

كأنهم الى نصب: أي إنهم يعرفون وجهتهم والمكان المقصود واضح وجلي وواسع واضيفت (كأنهم) الكاف: للتشبيه إنهم: للتأكيد لكون المكان ذا قدسية وشرف ومكانة أعظم من الأنصاب المدمومة كما لم يثبت وجود أنصاب في الآخرة.

يوفضون: من الإفاضة: أي الحركة السريعة المشابهة لحركة الماء المنحدر من العين أي العودة من حيث قدموا بعد إتمام الزيارة (فإذا أفضتم من عرفات) أي رجعتم ولا رجعة في الآخرة.

خاشعةً ابصارهم: لم يقل شاشعة الابتعاد عن المحارم وهي من صفات المؤمن حيث تتجلى العواطف والأحاسيس في البصر.

ترهقهم ذلة: ترهقهم أي تغشاهم وهم المؤمنون التقاة حيث ان ذلهم ذل تواضع ولين جانب وليس ذل مهانة وتقليل شأن. وهذا ما يلاحظ في زيارة الاربعين.

الاستنتاج:

يلاحظ قبل زيارة الأربعين بوقت يحده الموقع الجغرافي خروج المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام من بعض البيوت مسرعين فراداً أو جماعات وبمسارات مختلفة من جميع انحاء العالم ولهدف واحد وهو زيارة الإمام الحسين عليه السلام والعجيب في سيرهم تلاحظ علامات الخشوع تتجلى في ابصارهم والتذلل في دعائهم والتضرع الى الله تعالى وبعد اكمال مراسيم الزيارة يفيض (يرجع) الجميع الى بيوتهم بأمان. وبذلك تكون هذه المسيرة بمثابة نبوءة بقرب ظهور الإمام المنتظر عليه السلام لذا يجب التهيؤ واعداد العدة والعدد والتعبئة واخذ التدابير اللازمة لذلك تعالى.

المبحث الثالث: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث الى ربهم

ينسلون﴾ يس اه

النفخ: اخراج الهواء وهو الكلام.

الصور: ليس كما يشاع بانه قرن حيوان بل هو جهاز التسجيل حيث يسجل الصوت والصورة ويُنقل عبر الفضائيات الى انحاء العالم كل دولة بلغتها. **فإذا:** الفاء: حرف عطف اذا: فجائية.

من: تبعيضية وليست مكانية (لأن الرب هو الله ولا يحده مكان)

من الأجداث: من بعض البيوت أو المساكن.

الى ربهم: أي التقرب الى الله بالإمثال لنداء وتوجيهات الإمام الحجة عليه السلام.

ينسلون: يتسربون ويتسللون على شكل جماعات أو أفراد.

وبذلك يكون البيان الأول للإمام المنتظر عليه السلام حيث يخرج أعداد من المؤمنين بالمهدي عليه السلام بالتسلل والتحسس حول هذا الخبر ويلاحظ عليهم علامات الاندهاش والهلع والذهول والتسائل.

المبحث الرابع:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا * خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ خَرَجُوا مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مَهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرِينَ هَذَا يَوْمَ

عَسْرٍ * ﴾ القمر: ٦٨، ٧٠

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ: اعرض عنهم.

يوم يدع الداع: عندما ينادي الإمام الحجة عج ويأمر الناس بدين الله الحق. شيء نكر: النكر عكس المعرفة أمر لا يستهوي الحكام الطغاة والمجرمين فيكذبوه ويحاربوه بشدة.

خشعاً أبصارهم: لتكثير الخشوع وهو غض النظر الى المحارم.

يخرجون من الأجداث: أي البعض يتركون بيوتهم بإرادتهم وبدون إكراه. كأنهم: ك: للتشبيه أنهم: للتأكيد.

جراد منتشر: وهو وصف دقيق لشكل المشاركين وحجمهم وتصرفهم فالجراد يخرج من بيوتهم تحت الأرض بعد التفقيس والنمو بمجاميع ضخمة منتظمة ويتنقل بسلاسة وباتجاه ثابت ولمكان محدد ومن ثم يكمل دورته ويعود من حيث أتى وإذا نضرت الى سرب الجراد من مكان شاهق تحسبه كتلة من السيل في حركتها حيث يتغذى ويحدث ولا يبني ولا يُعمر علماً بأن الجراد حيوان طاهر حيث لا يأكل القاذورات.

-مهطعين الى الداعي: مستجيبين دعوته.

وهذه نبوءة تبشر بظهور دولة الإمام المنتظر عج سيدعو العالم الى مالا تهواه الملوك والطغاة فيحاربوه ولكن سرعان ما تتوافد اليه المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام بتظاهرات مليونية للبيعة والانضمام تحت لوائه يقدمون كالجراد المنتشر مستجيبين دعوته مما يجعل الحكام المجرمين يعترفون بقوة جيش الإمام المنتظر عج من حيث العدد والعدة وظهور الأسلحة والمعدات المتطورة فيقولون هذا يوم عسر.

هذا مختصر البحث الذي يحوي تفاصيل واسعة لما أورته ومن الله التوفيق وختاماً. أثبات الشيء لا ينفي ما عداه

كلمات مفتاحية: في سورة المعارج وصف مسيرة زيارة الأربعين وفي سورة يس وصف البيان الأول للإمام الحجة عج وفي سورة القمر وصف مسيرة البيعة الكبرى لدولة الإمام المهدي عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل ٨٩ هذا البحث يثبت مسيرة زيارة الأربعين في القرآن الكريم فقد كثر الحديث واختلفت الآراء حول شرعية وسند المسير على الأقدام في ذكرى زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في الاربعين وبهذه الكيفية المميزة والمثيرة للاعجاب من حيث الإعداد والإعلام والإهتمام ولكل وجهة نظر مع العلم أنّ أغلب الاحداث والنظريات العلمية والثقافية والفكرية القديمة منها والحديثة وجدّ لأغلبها ما له سند في كتاب الله الكريم او بأحاديث المعصومين (عليهم السلام) فكيف يحدث دولي أذهل العالم بدقة إعداده وتفصيله التي فاقت كل المهرجانات والكرنفالات الدولية من حيث لمساتها الانسانية والايمانية ولكونها باباً من أبواب التعبد والتقرب الى الله تعالى وبعيدة عن الفسق والفجور أو الأهواء فلا بد من دليل لهذا الحدّث الذي لا نظير له من حيث كثافة المشاركين والحركة المنسّقة والانضباط العالي ودقة التوقيت والخدمة المتناهية والضيافة الكريمة على طول الدرب وسعة الصدر الممزوجة بالأخلاق الحميدة.

إستحباب المشي لزيارة الحسين (عليه السلام)

هناك الكثير من الروايات الواردة في فضل زيارة الحسين (عليه السلام) يوم الأربعاء والتي ذكرها المحدثون في كتبهم حتى عقد الحر العاملي باباً أسماه (باب تأكيد إستحباب زيارة الحسين (عليه السلام) يوم الأربعاء من مقتله وهو يوم العشرين من صفر) وسائل الشيعة / ١٤ .

كما وردت الروايات في التأكيد على زيارة الامام الحسين عليه السلام مشياً على الاقدام وقد تضمنت تلك الروايات الاجر والثواب الذي يترتب على المشي لزيارة سيد الشهداء عليه السلام من غفران الذنوب واستجابة الدعوات وقضاء الحوائج ورفع الدرجات وما إلى ذلك حيث عقد صاحب الوسائل الحر العاملي لها باباً أسماه بـ (باب استحباب المشي الى زيارة الحسين عليه السلام وسائل الشيعة ٤٣٩: ١٤ باب ٤١

ومن المعلوم إن المعصومين عليهم السلام لا يتحدثوا بحديث إلا ولهم سند في كتاب الله الكريم

التمهيد:

كان التفسير في عهد نشوءه إنما يُتلقى شفاهاً ويُحفظ في الصدور ثم يتناقل نقل الحديث يدا بيد هكذا كان التفسير على عهد الرسالة وعلى عهد الصحابة والتابعين الأول أمّا في عهد تابعي التابعين فجعل يُضبط ويُثبت في الدفاتر والالواح وبذلك بدأ عهد تدوين التفسير الى جنب كتابة الحديث وذلك في أواسط القرن الثاني، حيث راج تدوين الاحاديث المأثورة عن السلف وكل هذا قبل النهضة الصناعية في أوروبا والتطور الهائل في العلوم كافة وكانت المعلومات المتوفرة لا تتناسب مع العلوم الحديثة وقد تتناقض معها ولذلك بنى المفسرون بعض تفاسيرهم على علوم زمانهم التي يشوبها الروايات المغرضة والموضوعة والخرافات والدجل وبعد استحداث وتطوير الأجهزة العلمية الميكانيكية والالكترونية والكيميائية والفيزيائية بشكل هائل ودقيق وغزو الفضاء والخوض في أعماق الأرض والبحار وتصوير أدق تفاصيل الحياة وتوثيقها مما فنّدت الكثير من النظريات والعلوم القديمة.

ولكن سبحان الله الغريب في الآيات القرآنية عند التدبر فيها وإعادة النظر في تفسيرها وَجَدُوا لها وجوهاً كثيرة تتماشى مع آخر ما وصل إليه العلم والمكتشفات الحديثة لأن القرآن يشمل في علومه علم ما كان وما يكون وما هو كائن وكيف لا والمدبر هو الله الخالق المبدع.

منهجية البحث

هذا البحث يعتمد على تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً وعقلياً حسب ما وصل إليه العلوم الحديثة وبمفاهيم جديدة مقبولة والتركيز على سورة المعارج حيث جاء في التفاسير بأن آياتها تصف مواقف يوم القيامة في حين أن لها وجه آخر يصف الوضع الحالي والمستقبلي القريب في الحياة الدنيا وقبل البعث والنشور كما يصف مسيرة زيارة الأربعين وصفاً بلاغياً دقيقاً ولذا يجب علينا التمعن والتدبر في معاني بعض الكلمات التي وردت في القرآن الكريم والبحث في الأوجه الأخرى في تفسيرها وبذلك ستكون لدينا صورة جديدة مطابقة للواقع ومصداق له.

المبحث الأول

1- الأجدات: القُبُور كَلَّ معاجم اللغة العربية تفسر ذلك إلا إذا كان لها وجه آخر (إستعارة تمثيلية أو مجازياً) وربما شاء الله أن يُخفي أمرها لوقتها حالها حال الكثير من الكلمات التي بدأ المجتهدون والفقهاء والباحثون استيعاب ضرورياتها. ولنأخذ آراء بعض الأساتذة:

أولاً؛ يقول الباحث الاسلامي الاستاذ الحاج عبود الخالدي في إحدى محاضراته المنشورة في موقع المعهد الاسلامي للدراسات المعاصرة / اكتوبر ٢٠١١، (٣) لفظ (الاجداث) لفظ غير مستخدم في منطِق الناس فالجذر العربي للفظ الأجدات هو (جَدَث) ولا يوجد له استخدام أو تصريف لفظي في لسان الناس قديماً أو حديثاً عدا ما نُقِل في لسان العرب أنَّ لفظ جَدَثُ يعني القَبْرُ إلاَّ أنَّ مَنْطِق الناس لا يَتَوَأَّم مع ذلك القصد فلم نسمع أنَّ أحداً سَمَّى القَبْرَ جَدَثًا.

إذن الجَدَث ليس القَبْر المادي في تُراب الارض ولن يكون الجَدَث حاوية الموت بل هو (سجن الزمن) الذي يحيا فيه المخلوق البشري وينتفخ نشاطه كلما طال الزمن في وَسْعَةِ حياته وهو يسعى في (الساعة) الباحث الاسلامي الاستاذ الحاج عبود الخالدي (٣) .

ثانياً؛ يقول الاستاذ د. حسام سعيد النعيمي (٤) حقيقة هم يقولون لما نأتي إلى معجمات اللغة أي معجم يعني من اللسان إلى الصحاح الواسعة والموجزة يقول لك: الجَدَثُ القَبْرُ فالأجدات القُبُور. لكن السؤال لماذا استعمل القرآن الأجدات هنا ولم يستعمل القبور؟ صحيح الأجدات هي القبور لكن نريد أن نعرف حقيقة كان بإمكان القرآن أن يقول (يخرجون من القبور) بدل ما يقولون (من الأجدات) طبعاً علماء اللغة يقولون القبر عام عند العرب كلمة قد يستعملها قبائل اليمن وقبائل العرب وما بينهما وقبائل الشام. أما الجَدَثُ فالأصل فيه أنه هُذَيْل. هُذَيْل قبيلة في وسط الجزيرة يعني من القبائل التي أُخِذَ منها العربية قُرَيْش أخذت من هُذَيْل وصارت تستعملها ونزل القرآن بها. لما نقول جَدَثُ وأجدات الثاء فيه نَفْخ بخلاف قَبْرٍ وقُبُورٍ فيها شِدَّةٌ فيها حركة لكن فيها شِدَّةٌ وليس فيها هذه الضوؤاء. { الاستاذ د. حسام سعيد النعيمي (٤) .

ثالثاً؛ يقول الأستاذ د. فاضل صالح السامرائي (٥) { الاستعمال في القرآن استعمال دقيق وغريب. الجَدَث الذي هو القَبْر هو مفرد أَجْدَاثِ الجَدَث هو قريب من لفظ (الجَدَثَة) هو صوت الحافر والحُفِّ حافر الفرس والحف صوت قدم البعير وغيره على الأرض وصوت مضغ اللحم أيضاً. ليست بينهما إلا التاء (جدث و جدثة) ربنا سبحانه وتعالى لم يستعمل الأجداث إلا عندما يخرجون من القبر سراعاً ﴿خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتْتَشِرٌ﴾ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ القمر (يَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ المعارج) (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ يس) ينسلون يعني يسرعون، نَسَلَ يعني أَسْرَعَ. لم يستعمل لفظ الأجداث إلا في خروجهم مسرعين وهذا يشبه صوت الحُفِّ وصوت الحافر عند العَدُوِّ وعند الركض، لَمَّا يَخْرُجُونَ مثل صوت الفرس لَمَّا تَرَكُضَ أو صوت الحف. لم يستعمل لفظ الأجداث إلا في هذه الحالة. وهنالك أمر آخر الجَدَثَة هو مضغ اللحم فاستعمل القبور في حالة الهمود والسكون والأجداث في حالة الإخراج والعَدُوِّ والسرعة مناسبة عجيبة. { (٥) الأستاذ د. فاضل السامرائي

مما سبق نستخلص من آراء كل من الأساتذة وغيرهم من الباحثين أنهم غير مقتنعين كون الأجداث هي القبور المادية. لأن القبر المادي يتصف بما يلي:

١. القبر هو الحفرة المغلقة على الجسد الميت والبعيدة عن الهواء المباشر (سواء كانت الحفرة في العراء أو في بيت أو تحت نُصْب)
٢. القبر يُدفن فيه الجسد الفاقد للروح، حيث يفقد الجسد كل خصائص الحياة كالنمو والحركة والارادة.
٣. الميت لا يحتاج لمقومات الحياة كالماء والهواء والطعام واللباس
٤. الميت قد يتعرض للتلف والتحلل بمرور الوقت، أو يكون جزءاً من جسم آخر (نظرية الأكل والمأكول)
٥. ومن المعلوم أن الروح عند الموت ستفارق الجسد، وعند البعث في يوم القيامة تحشر الأرواح بأشكال غير ماهي عليها الآن وحينها تنتهي قوانين الطبيعة الفيزيائية والكيميائية للأرواح (الصوت الضوء الإحتكاك اللمس الشم). لأن الأرواح ليس لها شكل مادي ولا صوت لها أثناء الحركة لكونها لطيفة التكوين.
٦. أما ما ورد في القرآن الكريم في لفظ الأجداث فتتصف بما يلي:
 ١. يأتي بعد لفظ الأجداث ما يدل على الحركة والتنقل والصوت.
 ٢. إنَّ الله شَبَّهَ الخروجَ من الأجداث بخروج الجراد (يخرج من حُفَرٍ بالأرض حيث هي بيوتهم الذي ينمون فيه).
 ٣. يلاحظ في الآيات الثلاثة دائماً تسبق لفظ الأجداث من التبعية مباشرةً وهذا غير وارد قبل لفظ القبور مما يتعارض مع البعث في الآخرة حيث يبعث الله الجميع كنفس واحدة.
- وبما أن الأجداث هي قبور ولكن بها حركة وصوت أي جسم مادي ولكن فيه روح وفي الحياة الدنيا و عليه لا يمكن أن يكون في حفرة أو تحت نصب الا إذا كان بها تهوية وماء وطعام ولباس وكل مقومات الحياة.

ولكون سياق الآيات التي ورد فيها الأجداث لا تتناسب مع حالة القبور وتفسير أحداثها دنيوية وليست في الآخرة.

لذا نستنتج أن الأجداث (مجازياً) تستعمل في بيان مشاهد وأماكن حضور ورقود الأحياء ولا ينطبق ذلك إلا في البيوت أو الخيام أو المغارات. وغيرها أي مكان يستعمله الإنسان للراحة والاسترخاء (قبور الأحياء) وبما أن الأحداث جماعية ولكن ليست كلية ولذلك لم تستعمل كلمة جَدَثٌ ولم يُستعمل أيُّ اشتقاق من اشتقاقاتها بل استعمل فقط أجداث واذيف لها من التبعية. بينما كلمة قَبْر لأنها عامة استعمل منها الفعل ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ عبس ٢١ واستعمل المفرد ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة ٨٤ ووردت لفظ القبور خمس مرات في آيات اخرى.

وقد شَبَّهَ الله البيوت مجازيا بالأجداث (استعارة تمثيلية) لكون الإنسان يتخذها للنوم والراحة والنوم نوع من أنواع الموت ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر ٤٢ كما إن كلمة بيت من أسماء القبر. وقد جاء في القرآن كلمات كثيرة بمعنى آخر مجازياً.

مثل: قَدْ سَمِعَ اللهُ. المجادلة ١ وَسَمِعَ هُنَا بِمَعْنَى إِسْتِجَابِ.

يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمُ الْفَتْحِ ١٠ الْيَدُ هُنَا بِمَعْنَى الْقُدْرَةَ وَالْقُوَّةَ وَالسَّلْطَةَ ...

وهناك الكثير من الامثلة.

المبحث الثاني: سورة المعارج
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ *
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا *
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ *
وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبْصِرُونَ مِنْهُمُ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بِبَنِيهِ *
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا *
لَأُطَىٰ * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ *
هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ *
هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ *
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ *
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْئِدَتِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ *
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ *
هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ *
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ * فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ *
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ *
كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ *
عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْنُهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ *
يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ *
يُؤْفَضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ * .

صدق الله ال علي العظيم، في سورة المعارج يكون المعنى واضحاً وجلياً وفق البحث والتفسير.

المَعَارِجُ: جمع (مَعْرَجٌ) وهو المصعد أو المكان الذي منه يصعدون بالتدرج أي العلو والسمو والتقرب الى الله تعالى بالعمل الصالح والدرجات والمواهب الملكوتية. (٦) أي الأعمال في الدنيا حيث تحتّم الأعمال يوم القيامة.

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ: وهو سؤال سائل متهكّم من الكفار ويدعى النعمان بن الحارث الفهري حول بيعة يوم الغدير والقصة معروفة ويؤيدها بعض المفسرين (٦).

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾: وفيه وَجْه (دعاء العهد) أن المقصود يوم ظهور الحجة ﷺ (٧).

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ: إنَّ الشروق والغروب لا تُتَمُّ الا بوجود الشمس وحركة الارض أي في الدنيا وقبل يوم القيامة وهذا يشير الى أن الحدث عالمي ويشمل كل الاتجاهات ومن بقاع الأرض كافة ومن غير اللائق أن يقسم الله بشيء ليس له علاقة بالموضوع.

عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ: هذا وعد ونبوءة على تغير المناصب الحاكمة الى الخيرين من المؤمنين وقد تكرر هذا الوعد في آيات كثيرة مثل: الآية ٥ و ٦ الاسراء، ولكن هنا جاء مع القَسَمِ للتعظيم والتأكيد.

فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ: أي سَيَمْتَدَّ حكمهم لفترات طويلة لحين ظهور علامات ذلك اليوم الموعود (زمن نهاية حكمهم) بداية حكم العدالة ومحاسبة الظالمين المتنفذين زمن الظهور.

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ: أي زمن خروج البعض مَمَّنَّ في البيوت (تم تفسيرها ص ٢) وإنَّ حالة الخروج تدل على كونهم يغادرون بإرادتهم غير مُرغمين بل كانوا في سباق للوصول الى مكان يعرفونه ويعلمون مكانه ومعاله فيه خير وفيه وفوائد وجوائز عظيمة ولو كان المكان الآخر فيه سوء وعذاب لما خرجوا بسرعة لالتفاف أرجلهم وتشنجهما من الرعب والذهول واثقلوا الى الارض مما يدعو الحاجة الى دَعَّهِم بقوة أي انَّ الحدث في الحياة الدنيا وليس في الآخرة.

سِرَاعًا: السرعة تعتمد على المسافة والزمن وهما كميتان دنيويتان تعتمدان على زمن حركة الأرض والمسافة (الازاحة) المقطوعة بين مكانين ماديين والسرعة كمية نسبية وهذا غير مذكور في وصف الآخرة وإنَّ حالة الاسراع دليل على خِفَّة أحمالهم ويقينهم بتوافر كلِّ ما يحتاجونه طيلة رحلتهم وإِنَّهم متيقنون من العودة لأجدانهم (اماكنهم) ودليل على دقة وحتمية الوصول لوجهتهم في الموعد المحدد لمكان معلوم المسافة والمعالم.

النُصْبُ: العلامات الواضحات كالأحجار أو الأعلام أو المشاهد المنصوبة هداية السائرين. (٦).

كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ أَيِ إِنْهُمْ يَعْرِفُونَ وَجَهْتَهُمُ وَالْمَكَانَ الْمُقْصُودَ وَاضِحٌ وَجَلِيٌّ
وَوَاسِعٌ وَأُضِيفَتْ (كَأَنَّهُمْ) الْكَافُ لِلتَّشْبِيهِ وَ أَتَتْهُمُ لِلتَّأَكِيدِ لِكُونَ الْمَكَانِ ذَا
قُدْسِيَّةٍ وَشَرَفٍ وَمَكَانَةَ أَعْظَمَ مِنَ الْإِنْصَابِ الْمَذْمُومَةِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ (إِلَى
نُصُبٍ) وَلِعَدَمِ ثُبُوتِ دَلِيلِ عَلِيٍّ وَجُودِ نُصُبٍ فِي الْآخِرَةِ فَالْحَدِيثُ دُنْيَوِيٌّ
وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ.

يُوفِضُونَ: مِنْ (الإِفَاضَةِ) أَيِ الْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ الْمَشَابِهَةِ لِحَرَكَةِ الْمَاءِ الْمُنْحَدِرِ مِنْ
الْعَيْنِ أَيِ الْعُودَةِ مِنْ حَيْثُ قَدِمُوا بَعْدَ إِتْمَامِ الْمَهْمَةِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿
فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴿ البقرة ١٩٨ أَيِ رَجَعْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ (٦) وَهُوَ خَيْرُ
دَلِيلٍ عَلَى كَوْنِ الْحَدِيثِ فِي الدُّنْيَا وَقَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا رُجُوعَ فِي الْآخِرَةِ
وَهَلْ مَكَانَ الْآخِرَةِ لَا يَكْفِيهِمْ فَيُفِيضُونَ؟ وَإِلَى أَيِّ يَرْجِعُونَ؟

خَاشِعَةٌ أَبْصَارِهِمْ: وَلَمْ تَرُدْ شَاخِصَةً أَبْصَارَهُمْ فَالْخُشُوعُ وَالذَّلَّةُ هُنَا مِنْ
صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِمًا أَنَّ الْعَوَاطِفَ وَالْمَشَاعِرَ وَالْأَحَاسِيسَ تَتَجَلَّى فِي الْبَصْرِ.

تَرَهَّقَهُمْ ذِلَّةٌ: تَرَهَّقَهُمْ أَيِ تَغَشَاهُمْ (٦) كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّقَاةَ «أَذَلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ». الْمَائِدَةُ ٥٤ أَيِ إِنَّ الْمَعْنِيْنَ هُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التُّقَاةَ
الْمُتَزَمِّينَ حَيْثُ إِنْ ذَلُّوا لَمْ يَتَوَاضَعُوا وَلَيْنَ جَانِبٍ وَلَيْسَ ذَلُّ مَهَانَةٍ وَتَقْلِيلِ شَأْنٍ.

نعم قد وردت نفس الصفات ولكن للكافرين ﴿ خَاشِعَةٌ أَبْصَارُهُمْ تَرَهَّقَهُمْ
ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ﴾ الْقَلَمُ ٤٣ حَسَبَ سِيَاقِ الْآيَةِ.

وهذا ما يُلاحظ في زيارة اربعينية الحسين عليه السلام أنَّ هناك رجال دين ومشايخ وسادة وأعيان يتفانون في خدمة الزوار والتبرك بهم وتلبية كل احتياجاتهم من مياه وطعام ومنام واستحمام وملابس وعلاج وكأن الزائر مَلِكٌ من الملوك.

النتيجة

نلاحظ في سورة المعارج: معنى اسمها العلو والسمو وذلك بالتقرب الى الله بالعمل الصالح في الحياة الدنيا حيث بدأت السورة المباركة بحدث عقائدي عظيم وهي قصة المشكك والمعارض علي ولاية امير المؤمنين علي عليه السلام يوم الغدير { ثم يوعد الله المؤمنين بالفرج بظهور الإمام المنتظر وما سيكون مصير الكافرين والمخالفين ثم ينتقل بالآيات (٧٦٥) وفيها يأمر الله المؤمنين بالصبر لحين ظهور الحجة عليه السلام { حسب ما ذكر في دعاء العهد } (٧) حيث ستكون اياماً صعبة وقاسية إلا على المؤمنين المذكورة صفاتهم في الآيات اللاحقة.

أي إن موضوع السورة موضوعاً عقائدياً يمتد من الإمام علي عليه السلام الى الحجة عليه السلام ثم يُقسم الله برب المشارق والمغرب بأنه سَيَنْفِذُ وَعَدَهُ فَيُغَيِّرُ الْحُكَّامَ الْفَاسِدِينَ وَيُمْكِّنُ فِي الْأَرْضِ أَنْاساً آخَرِينَ مُؤْمِنِينَ أَتْقِيَاءَ غَيْرِ الْحُكَّامِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ وَيَلْعَبُونَ بِالْحُكْمِ وَالدين وعلامة الظهور والتبديل ونهاية الظلم والجور هو خروج أفواج من البشر من الاجداث (قسم من البيوت) بشكل غير عادي بتظاهرة دولية عظيمة من مشارق الأرض ومغربها تهزُّ العالم وتقوي شوكة شيعة أهل البيت عليهم السلام وتجمع الموالين وتربطهم وتشحذ هممهم وتمهيئهم لاستقبال الامام الحجة عليه السلام حين الظهور أي إن الآيات ٤٣ و ٤٤ لاتصف الفاسدين المذكورين بالآية ٤٢، بل تصف طبيعة الأحداث التي تمهد وتسبق الظهور (المسيرة). وهذا جوهر البحث.

ولو تأملنا سياق زيارة الأربعين يُلاحظ وقبل الزيارة الأربعينية بوقت يحدده الموقع الجغرافي أَنَّ المؤمنين الموالين لأهل البيت عليه السلام يخرجون من بيوتهم مسرعين فراداً أو بشكل مجموعات أو أفواج وبمسارات مختلفة وهدف واحد ومن جميع أنحاء العالم وكأنهم على موعد مع الزمن والعجيب !! أَنَّ في مسيرهم تسمع ايقاعاً كَعَدْوِ الفرس أو خُفَّ البعير وصوت مضغ الطعام وعلامات الخشوع تتجلى في أبصارهم وفي أصوات الدعاء والتضرع الى الله ببركة الحسين عليه السلام وأهل البيت عليه السلام وفي القصائد التي تدعو للتقرب الى الله بالمدح والثناء ولتعجيل الفرج وإنَّ عدد المشاركين هائل بكل المقاييس ويزداد كل عام (تراهم من الجوّ كأنهم جراد منتشر) والعجيب أنَّ الجميع يغشاهم روح إيمانية وأخلاق عالية يصعب وصفها والتسامح الصفة الغالبة فلا تحصل أي مشاجرات إلا ماندر كما لا يحصل تراحم أو تدافع ورغم ازدياد العدد كل عام إلا أنَّ جميع المشاركين يجدون الوفير من الماء والطعام والنام والرعاية الصحية وبالمجان حيث تزداد المواكب المشاركة بالخدمات كل عام وبعد إكمال مراسيم الزيارة يفيض ويرجع الجميع بأمان الى بيوتهم وقد وجدوا مايركبون كل هذا يحدث بشكل عشوائي ودون تدخل أو تدبير الدولة إلاَّ بعض الامور الخدمية. ألم تَرى كيف تنطبق هذه التظاهرة المليونية مع وصف الله عز وجل ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ المعارج ٤٤، ٤٣ إنَّ ترتيبها وإعدادها بهذا الشكل المذهل للعقل والمنطق هو إعجاز رباني وآية كبرى ولمسة ربانية يقف العالم أمامها حائراً مذهولاً فسبحان الله القادر المدبّر المبدع الحكيم العليم.

أي أنّ المسير على الأقدام في زيارة الأربعين المليونية وبترتيبها بهذه الكيفية هي تظاهرة عظيمة وخير دليل على المصداق وهو سورة المعارج وهي النبوءة بقرب ظهور الامام المهدي عليه السلام واقامة دولة العدل المرتقبة وتغير النظام العالمي الظالم والمضطهد ولذا يجب علينا الإستعداد والتهيؤ وإعداد العدة والعدد وتعبئتهم وأخذ التدابير اللازمة لذلك.

علماً أنّ الحروب والظلم في العراق والشام أنشأت رجالاً وقادة قدوة مؤمنين مقاتلين أشداء. عكس الدول الاخرى إذ إنّ أغلب رجالهم متميعون فاسدون خلقياً أصحاب ملذات دنيوية زائلة. بينما الامام عليه السلام يُعد ويهياً جيشاً عقائدياً رجاله أشداء أقوياء ولذا إنّ التخلف العلمي الذي تعانيه الدول الإسلامية والعربية أمام التقدم العلمي الهائل في الدول الكبرى نعمة اخرى لأنّ معجزة الإمام هي العلم المذهل المعجزة الذي سوف تقلب موازين القوى وعندها سيُصدقه الغرب قبل العرب لمعرفة ميزان العلوم وماوصلت إليه التكنولوجيا الحديثة.

ملحوظة مهمة :

تشير الأحداث على الساحة العربية بأن القوات الأمريكية تتحشد بشكل غير طبيعي على الشريط الحدودي بين سوريا والعراق وتركيا وهذه المنطقة تسمى سابقاً بقرقيسيا كما جاء في الأحاديث (٨) ومن الجانب الروسي قامت القوات الروسية بتعزيز قواتها في سوريا وأوكرانيا واعلان حالة الطوارئ تحسباً لأي هجوم كما هددت بضرب القوات الأمريكية والغرب واسرائيل كما إنّ التوتر بين أمريكا وايران يزداد حدةً وكذلك في كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية والصين وتايوان كما

ان إسرائيل بدأت بحروب إبادة وتوسط بالمنطقة. وغيرها أي إن حرب عالمية ثالثة على وشك الوقوع.

لذا يرد سؤال / ١: لماذا وردت كلمة الأجداث في ثلاث آيات متفرقة ؟ وما الحكمة في ذلك ؟

وهنا يأتي الجواب: ورد في سورة المعارج « يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا. " هنا الحدث طبيعي وفيه سرعة في الحركة وتأخر الخشوع وفيه تعب وإرهاق وفي سورة يس " فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ. « هنا الحدث فجائي وليس فيه خشوع الأبصار و أمّا في سورة القمر « خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ. " هنا الحدث غير طبيعي وبشكل أوسع وقد تقدم عليهم شدة الخشوع مما يدل على أن اليوم (زمن الحدث) مختلف في الترتيب والتنسيق والمعنى.

ولمعرفة ذلك يتوجب البحث وإيضاح بعض المفردات التي وردت في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: النَّفْخ

الآيات التي ورد فيها نَفْخ:

١. ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ المؤمنون ١٠١
٢. ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ الحاقة ١٣
٣. ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ الأنعام ٧٣
٤. ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الكهف ٩٩
٥. ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ طه ١٠٢
٦. ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ النمل ٨٧
٧. ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ يس ٥١

٨. ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ ق ٢٠
٩. ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ النبأ ١٨
١٠. ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ الزمر ٦٨
١١. ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ آل عمران ٤٩
١٢. ﴿ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ المائدة ١١٠
١٣. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ الحجر ٢٩
١٤. ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ الأنبياء ٩١
١٥. ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة ٩
١٦. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ص ٧٢
١٧. ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ التحريم ١٢
١٨. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ﴾ الكهف ٩٦

من الآيات أعلاه نلاحظ أن النفخ جاء بثلاثة أنواع:

أولاً - النفخ بواسطة الصور كما جاء في الآيات (١ - ١٠).

ثانياً- النفخ المباشر بإطلاق الروح وبعث الحياة في الجسم المنفوخ كما جاء في

الآيات (١١ - ١٧)

ثالثاً- النفخ المباشر بإطلاق الهواء لإيقاد النار القوية وصهر الحديد كما جاء

في الآية (١٨).

جاء في المعاجم أن كلمة (صور) لها عدة معاني منها: القرن الذي ينفخ فيه

إسرافيل ، بوق ينفخ فيه أحد الملائكة وهو إسرافيل ، شئ كالقرن يُنفخ فيه صوت

الشيء عامة صوت كل حي وقال الكلبي: لا أدري ما الصور؟

نلاحظ تباين الآراء حول شكل الصور إنما يُجمعون على إنه آلة للصوت تعتمد على دفع الهواء وبما أن الصوت لا ينتقل في الفراغ وله ترددات محدودة المسافة وتردداته موجية مستعرضة وقد وصف الصور بالبوق أو القرن لأنها الآلة الصوتية الشائعة التي يعرفونها آنذاك حيث لم يُكتشف بعد مكبرات الصوت الألكترونية كما أن البوق أو قرن الحيوان مهما بلغ يبقى صوته منخفض مقارنة بالأجهزة الصوتية الحديثة عندها يتضح بأن الصور آلة تكبير وتضخيم الصوت أو جهاز إرسال الموجات التلفازية والراديوية الى أنحاء العالم عبر الفضائيات ومن ثم بثه بالأخبار بكل اللغات عبر الاثير وقد ورد في الحديث « وَنَدَاءٌ مِّنَ السَّمَاءِ حَتَّى يَسْمَعَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّ أَهْلِ لُغَةٍ بِلُغَتِهِمْ » (٩)

المبحث الرابع: الصيحة

الآيات التي ورد فيها الصيحة :

١. ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ يس ٤٩
٢. ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ هود ٦٧
٣. ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴾ هود ٩٤
٤. ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴾ الحجر ٧٣
٥. ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴾ الحجر ٨٣
٦. ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُتًا ﴾ المؤمنون ٤١
٧. ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ العنكبوت ٤٠
٨. ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ ق ٤٢

٩. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ يس ٢٩

١٠. ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ ص ١٥

١١. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ القمر ٣١

١٢. ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ المنافقون ٤

١٣. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس ٥٣

جاء في القرآن الكريم أن الصيحة نزلت كعقاب لأقوام خالفوا أمر ربهم وعصوا رُسُلهم ومن سياق الآيات تبين بأن للصيحة درجات وحدود وليست بدرجة واحدة وهي:

أولاً - الصيحة الشاملة لكل الكائنات ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يس ٤٩ أي نهاية الكون.

ثانياً - تكون محدودة التأثير أي محصور تأثيرها على مكان محدد ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ الحجر ٧٣ في حين كان هناك آخريين على الأرض لم يتأثروا بالصيحة.

ثالثاً - صيحة لا تُؤثر ابداً إلا على نفسية وشعور المنافقين وهي آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول الكريم ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾ المنافقون ٤

رابعاً - صيحة تؤدي الى الانتقال أو نقل الأشياء من مكان الى مكان آخر كما انتقل عرش بلقيس من مكانه ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس ٥٣

لقد إكتشف العلماء أنّ هنالك أنواع عديدة من الإشعاعات والموجات الصوتية والكهرومغناطيسية والكهروضوئية. في البر والبحر والجو لا تُحصى ولا تُعدّ حيث تم تسخير البعض منها في نقل الصورة والصوت والتحكم بالأجهزة عن بُعد وكذلك في توليد الكهرباء والحرارة وقطع المعادن. الخ وكذلك وجود موجات يمكنها شلّ الإنسان وقتله أو إتلاف أنسجته الجسدية دون الضرر بالطبيعة ومن التحليل العلمي يتضح بأن الصيحة نوع من أنواع الترددات أو الموجات أو الإشعاعات التي تؤثر على الكيان البشري فتأثر على نشاطة (موت الفجأة أو الشلل) أو الصيحة هو الكلام العالي والخشن أو الزجر أو نقل المادة.

المبحث الخامس:

تفسير ومناقشة الآية

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ يس ٥١

نُفِخَ فِي الصُّورِ: تم مناقشة الموضوع في ص / ٦٥ من البحث.

فَإِذَا: الفاء حرف عطف , إذا: مفاجأة.

مِن: تبعيضية وليست مكانية (لأن الرب هو الله ولا يحده مكان) والتقرب لا يتم إلا بالأعمال الصالحة.

مِنَ الْأَجْدَاثِ: ويعني أن بعضاً مِمَّن في الأجداث (البيوت أو المساكن) سيستجيبون للنداء وليس الكل وهذا يدل على أنّ الحدث في الدنيا وقبل يوم القيامة ويارادة الأشخاص وبدون إكراه.

إِلَى رَبِّهِمْ: أي التقرب الى الله بالامتثال لنداء وتوجيهات المنادي (النافخ في الصُّور) وفي ذلك عَمَل حَسَن وثواب وحسنات وهذا دليل على أَنَّ النَفخ في الدنيا وقبل يوم القيامة حيث تتوقف الاعمال بعد البعث.

يَنْسِلُونَ: مفرد (يَنْسِل) أي يتسربون ويتسللون على شكل مجموعات أو أفواج أو أفراد (٦)

لو كان النَّفخ يوم القيامة عندها يكون الكثير من الأموات متفسخين أو معدومي الجسد فما الحكمة في خروجهم بمجاميع أو أفراد ويمشون بسرعة ومن بعض الأجداث؟ وكيف ستحسب سرعتهم ولا يوجد شيء ثابت؟؟ ولماذا لم يقل يُبْعَثُونَ؟ إلا إذا كان النَفخ قبل يوم القيامة وفي الحياة الدنيا وللأحياء ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ الأنعام ٣٦ وبذلك يدل المعنى أَنَّ الصَّيْحَةَ هي دعوة لأمر يُقَرَّب الانسان الى الله وهي دعوة تصدم العالم عند سماعها.

إن هذه الآية لها وجه تكون فيها مكملة لما قبلها وما بعدها من الآيات وتدل على وقت قيام القيامة والميعاد أما الوجه الآخر في البحث فدلالته وقت ظهور الإمام الحجة المنتظر عج وإلقائه البيان الأول للعالم أجمع فيكونون في حالة ذهول. وإن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

وبذلك يكون النَفخ في الصور في سورة يس هو إذاعة البيان الأول للإمام الحجة ع

تفسير ومناقشة الآيات من سورة القمر ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ * خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكُفْرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ القمر ٨، ٧، ٦

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ: أي أعرض عنهم.

يَوْمٌ: ربما عَبَّرُوا عن الشِدَّة [١٠] والمقصود حُقبَة زمنية.

يَدْعُ الدَّاعِ: الدَّاعِ أي الداعية الذي يدعو الناس الى دين أو فكر مختلف أو جديد حيث سيظهر مَنْ يُحْت وَيَأمر الناس لأمر مهم وهو النداء الذي يطلقه الداع.

شَيْءٍ نُّكْرٍ: نُكْرٍ؛ ضد المعرفة (١٠) أمر لا يستهوي المتسلطين فيُنكروه ويكذبوه. **خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ:** خَشَعَ يبصره أي غَضَّه (١٠) وخشوع البصر عن النظر الى المحارم وليس البصيرة والبصر يحتاج الى الضوء وسلامة الاجهزة البصرية وهو دليل على كون المعنيين هم أحياء في الحياة الدنيا وهم المؤيدون للداعي **خُشَعًا:** لتكثير الخشوع وليس خاشعَةً.

يَخْرُجُونَ: أي يتركون أماكنهم بإرادتهم ودون إكراه. ولم يقل: يُخْرَجُونَ.

مِنَ الْأَجْدَاثِ: البعض وليس جميع مَنْ فِي الْأَجْدَاثِ (البيوت).

كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ: وهو وصف دقيق لشكل المشاركين وحجمهم وتصرفهم أما في انتشار الجراد وحركته " فالجراد يخرجون من مساكنهم تحت الأرض (بعد التفقيس والنمو) بمجاميع ضخمة منتظمة ويتنقل بسلاسة وبتجاه ثابت ولمكان محدد وزمن معين ومن ثم يكمل دورته ويعود لنفس

المكان حيث يتغذى وينام وينمو دون ان يعمل أو يطور أو يبني وتراه يسير على سطح الارض واحياناً يطير لمسافات محدودة وعند النظر اليه من مكان شاهق تحسبه كتلة ضخمة كالسيل في حركتها " والعجيب أنّ الجراد لا يأكل القاذورات والنجاسات وهو من الحشرات الطاهرة. لاحظ قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّتَشِيرٌ ﴾ كَأَنَّهُمْ: ك (للتشبيه) أَنَّهُمْ (للتأكيد) أي طبيعة وفعاليات حركة الجراد في حالة إنتشاره ولم يقل: كَجَرَادٍ مُّتَشِيرٍ أي بصورة انتشار الجراد فقط.

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ: مستجيبين دعوته. (٦)

وهذه نبوءة تدل على ظهور شخص سيدعوا العالم الى تأسيس دولة الحق عندها يظهر له أنصار ينتظرونه ومطمئنون له فيخرجون بتظاهرة مليونية للتأييد والمبايعة كأنهم جراد منتشر وهذا الأمر لا يهواه أكثر الحكام ويثيرهم فيظهر له أعداء لا يؤمنون به فسيرتعبون ويخافون من الايام القادمة فيحاربونه بكل قوتهم. كما وهي مطابقة لروايات ظهور الامام الحجة المنتظر عليه السلام. ولو كانت الصيحة للبعث وليوم القيامة فَمَنْ يُنْكِرْهُ؟ ولماذا؟ ومن اللذين سيتولى عنهم؟

نستنتج من الآيات الثلاثة السابقة:

أَنَّ لَفْظَ مِنَ الأَجْدَاثِ فِي سُوْرَةِ المَعَارِجِ تَتَحَدَّثُ وَتَصِفُ المَسِيرَةَ المِليونِيَّةَ بِذِكْرِ الزِّيَارَةِ الأَرْبَعِيْنِيَّةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ تَظَاهِرَةِ تَتَضَرَّعُ فِيهَا الجُمُوعُ الحَاشِدَةُ إِلَى اللّهِ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام وَأَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام بِالعَفْوِ والغَفْرَانِ وَبتَعْجِيلِ الفَرْجِ (لكون أهل البيت عليهم السلام باب من ابواب الرحمة واستجابة الدعاء).

أما في سورة يس فتتحدث عن وقت ظهور الحجة ﷺ وصدار بيانه الأول حيث نلاحظ وجود إذا الفجائية وشدة الذهول والترقب أفقدهم الخشوع.

وفي سورة القمر يكون وصف للجموع الحاشدة التي تستقبل وتبايع الحجة ﷺ أي بعد الظهور إن شاء الله حيث يخرج المؤمنون من بيوتهم بجموع لا حصر لها كالجراد وهم مفعمون بالخشوع والأمل للمبايعة والولاء.

لذا يرد سؤال / ٢: زيارة الأربعين قديمة فما الذي استجد الآن ؟

وهنا يأتي الجواب: يقول المؤرخ والباحث طه الربيعي: (١١) ﴿ إِنَّ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ لَهَا تَارِيخٌ مَوْغَلٌ فِي الْقِدَمِ وَ قَدْ شَهِدَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ أَقْسَى حَدَثٍ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَعْنَفِ وَاقِعَةٍ بَيْنَ قَوَى الْخَيْرِ وَ قَوَى الشَّرِّ إِنْتَهَتْ بِاسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ وَ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْعَاشِرِ مِنْ مُحْرَمِ الْحَرَامِ سَنَةِ (٦١ هـ الموافق سنة ٦٨٠م) فَسَلَّطَ التَّارِيخُ نَتِيجَةَ هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُؤَلَّمَةِ أَضْوَاءَهُ عَلَيْهَا وَأَصْبَحَ الْحَدِيثُ عَنْهَا ذَا شَجُونٍ لِأَنَّ هُنَاكَ مَأْسَاءً لَمْ تَعْرِفْهَا الْبَشَرِيَّةُ فِي تَارِيخِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ ﴿ (١١)

ويوضح الربيعي: (١٣) ﴿ إِنَّ مَوْضُوعَةَ السَّيْرِ عَلَى الْأَقْدَامِ اتِّجَاهَ قَبْرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ حَدِيثِ عِلَامَاتِ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا ذَكَرَهَا « الصَّلَوَاتُ الْإِحْدَى وَالْخَمْسُونَ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ وَالتَّخْتُمُ بِالْيَمِينِ » وَالْعِلَامَةُ فِي زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ هِيَ السَّيْرُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ الْمَسِيرَ يُعَدُّ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا الْإِسْلَامُ وَ قَدْ وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي مَسْجِدَ (قبا) كُلَّ سَبْتٍ مَاشِيًا أَوْ رَاكِبًا. وَهُنَاكَ حَدِيثٌ آخَرَ يَذْكُرُ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي

يمنحه الله ﷺ للمصلي الذي يسير إلى المسجد البعيد من منزله وكذلك الأجر العظيم الذي يُمنح لطالب العلم الذي يقطع المسافات البعيدة سيراً على الأقدام لتلقي العلم .
وجابر الأنصاري الذي يُعدّ من صحابة رسول الله ﷺ أول من زار قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وُبعد مرور أربعين يوماً من شهادته .

ومنذ ذلك الوقت أخذ العراق يشهد في كل عام مواكب كبيرة رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً وهي تنطلق سيراً على الأقدام متوجهة إلى كربلاء ومن جميع المدن العراقية . (١١)

ويقول الربيعي: (١١) ؛إنه وعلى الرغم من القمع و محاولة منع الناس من إتيان مشهده وزيارته في الاربعين في العصر الأموي وتفاوت ذلك في العصر العباسي بحسب علاقة الحكام العباسيين بالطالبيين فإن الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) والعارفين حقهم وكرامتهم ظلّوا يَفِدُون إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وإحياء هذه المناسبة إلى أن هُدِمَ القبر ومُنِعَ الناس من الاقتراب من ذلك الموضع الشريف وبعد موت المتوكل أعيد بناؤه وأخذ الناس يزورونه زرافات زرافات إلى عهد النظام العثماني الذي حاول بعض الولاة ممن حكموا العراق أن يمنعوا مراسيم هذه الزيارة وخاصة الوالي (علي رضا) الذي نجح نوعاً ما بمنعها إلى وفاته وأنعشت هذه الزيارة وحاول بعض الولاة الذين حكموا من بعده السير على خطاه في محاربة ومنع و قمع مراسيم هذه الزيارة إلى أن محاولاتهم بائت بالفشل ولم تسلم مراسيم هذه الزيارة من محاربة أنظمة الحكم التي خلفها الاستعمار البريطاني للعراق على الرغم من خفتها إلا إنّها كانت تجري بشكل مستمر ويتوافد آلاف الزائرين إلى كربلاء لإتمام هذه الزيارة حتى العام ١٩٦٣ . وبعد الانقلاب الأسود

الذي قاده عبد السلام عارف على رفيقه وصديقه عبد الكريم قاسم حاول النظام الجديد منع هذه الحشود من أداء الزيارة مستخدماً في ذلك بعض الحجج المفتعلة وبعد مقتل عبد السلام عارف بحادث الطائرة المعروف تسلم شقيقه عبد الرحمن عارف مقاليد السلطة في العراق فعادت هذه الحشود إلى سابق عهدها وأخذت تتنفس أنسام الحرية الجديدة وأخذت المواكب الحسينية التي كانت تأتي إلى كربلاء من المحافظات الجنوبية تزداد وبصوت عالٍ: أنصار اجينه لكربله. راياته منشوره غصباً على خشوم العِدّه. لحسين اجينه انزوره { (١١)

ويمضي الربيعي بقوله: (١١)؛ استمرت بعد ذلك هذه الزيارة وحشودها المليونية تتوافد في كل عام وأصبح الزوار يتزايدون عاماً بعد آخر. وتشير الإحصائيات إلى أنّ عدد الزوار يوم الأربعاء سنة ١٩٦٨ بلغ أكثر من نصف مليون زائر وارتفع عددهم في بداية السبعينيات إلى نحو مليون زائر حتى بدأت سلطات نظام البعث المباد بمحاولات عقيمة لمنع الزوار من أداء زيارة الأربعين خوفاً من النقمة وتحسباً من الثورة ضد الظلم والطغيان وقد ذهب في سبيل ذلك آلاف المؤمنين بين شهيد ومسجون ومعدّب على أيدي أذلام النظام السابق المقبور وبعد القضاء عليه وانتهياره على يد قوات التحالف عام ٢٠٠٣ م انفسح المجال للمسلمين لزيارة الإمام الحسين عليه السلام بكل حرية حتى وصلت أعداد الزائرين في زيارة الأربعين خلال السنوات التي أعقبت ٢٠٠٣ إلى أكثر من سبعة ملايين زائر جاء أغلبهم من مدن العراق المختلفة وكذلك من الدول العربية والإسلامية وخاصة من إيران والهند وباكستان والبحرين والكويت والسعودية وغيرها. المؤرخ والباحث طه الربيعي. (١١).

- ونحن في منتصف القرن الخامس عشر الهجري نلاحظ إن المسيرة الأربعينية توسعت بشكل هائل لا يصدق وتحولت لتظاهرة مذهلة كل المشاركون يدعون ويتضرعون الى الله القدير بتعجيل الفرج وظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فقد وصل السَّيْلُ الزُّبِّيُّ وضاعت الامور والفساد أصبح واضح وجلي لدرجة أن السياسي في الدولة يتبجح ويعترف في القنوات الفضائية وأمام الملاء بسرقة الدولة دون حياء ولا استحياء والسلطة الحقيقية بيد الأجانب ينهبون خيرات البلد نهباً ويسلطون بعض على بعض والسلطة الشكلية باسم القادة الشيعة مما يدعو ظهور الأمام الشيعي الحقيقي لتحقيق العدالة ولرفع الشبهه عن النظام الشيعي العادل أكما وأصبحت اسرائيل في أوج جبروتها تحرك العالم من طرف خفي والحكام العرب رفعوا أقنعتهم وراحوا يحاربون كل من لا ينحني لإسرائيل وغدو يلهثون ويؤيدون ويجلسون جنباً الى جنب مع ساسة العدو الإسرائيلي المغتصب وبإسم الربيع العربي دمروا مصر والعراق والشام والمغرب العربي وتم سيطرة بني اسرائيل على حكم الأرض للمرة الثانية بعد أن أفسدوا ودمروا الحرث والنَّسْلَ وخاصة تدمير الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم وبذلك وجب إنهاء الدولة الإسرائيلية وتأسيس حكومة دولة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً فقد ظهر الفساد في البر والبحر، والجو (الأنترنت والفضائيات) والعياذ بالله.

فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ

أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ لِيَسْؤُرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلُوا تَبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿ الإسراء ٥-٩ و عليه يتضح أن المسيرة المليونية على الأقدام بذكرى زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام نبوءة بقرب ظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام إن شاء الله.

لذا يرد سؤال / ٣: ماهو زمان الآيات ٨ - ١٨ من سورة المعارج وهنا يأتي

الجواب:

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿ ٨ ﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿ ٩ ﴾: هو زمن ظهور القنابل الذرية والهايرو جينية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل التي تدمر وتحرق الارض والبحار والسماء وتحدث عن الحرب العالمية القادمة وقد تكون حرب قرقيسيا وكما جاء في سفر زكريا / الاصحاح ١٤ « فينشق جبل الزيتون من وسطه نحو الشرق ونحو الغرب واديا عظيمها جدا» (١٢)

يُبْصِرُونَهُمْ: يَبْصُرُ الْمَلَائِكَةُ الْكُفَّارَ وَمَا قِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى 'يَبْصُرُ الْمُؤْمِنُونَ أَعْدَاءَهُمْ (٦) أي إن جيش الامام الحجة عليه السلام يرصد تحركات أعدائه كما تفعل الطائرات الحديثة من تصوير أدق الاشياء من الجو وفي الظلام وهذا ما لم يكن معروف إلا في الزمن القريب. بعد اختراع النواضير الليلية.

يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ: عند خسارة العدو للمعركة والانهيار النفسي للعدو يتمنى الإفتداء بأحبائه وكل ما يملك علماً أن أي شخص لا يفتدي إلا بما لديه وما يملكه وهو في الحياة الدنيا أما في الآخرة فلا يملك الا نفسه فيفتر حتى من أحبائه وأقربائه. كما جاء في سورة عبس (٣٤-٣٧) أما سبب عدم ذكر الافتداء بالوالدين لكون القادة المجرمين لا يشاركون والديهم في السلطة لموتهم

أو كبر سنهم ولذلك كانوا ينحوهم عن السلطة أو يقتلوهم واعتياديا يقربون أولادهم وأزواجهم وأقربائهم وعشيرتهم (وبشرط الولاء المطلق) ويزجوهم بالمناصب ال عليا وقيادة المعارك.

كَلَّا إِنَّهَا لَنظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةَ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَن أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ وهي من جرّاء إستخدام القنابل والأسلحة الحديثة الفتاكة وقد استخدم الكيان الإسرائيلي في معارك غزة قنابل تذيب الأشخاص فلا تبقي لهم أثر وكما جاء في سفر زكريا / الاصحاح ١٤ « لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم وعيونهم تذوب في أوقابها ولسانهم يذوب في فمهم » (١٢) أما نار الآخرة والعياذ بالله فلا تنزع اللحم المشوي بل تحافظ عليه بتجديد الجلد الخارجي حال نضوجه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء ٥٦ .

١. كتاب التفسير في عهد التدوين/ محمد هادي معرفة ج ٢ ص ٥٣٢.
٢. كتاب الله يتجلى في عصر العلم/ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين اترجمة. د. الدمرداش عبد المجيد/ دار القلم - بيروت - لبنان.
٣. د. عبود الخالدي الباحث القرآني/ أمين جمعية علوم القرآن / العراق.
٤. د. حسام سعيد محمود النعيمي/ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة.
٥. د. فاضل صالح السامرائي/ استاذ في جامعة الشارقة لمادة النحو والتعبير القرآني. مقابلة في قناة روائع العربية/ ٢٠١٣.
٦. كتاب تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي/ اعداد كمال مصطفى شاکر/ مطبعة كلبرك - ايران - قم/ ط ٥.
٧. كتاب مفاتيح الجنان / دعاء العهد/ الشيخ عباس القمي.
٨. كتاب الكافي/ ٨/٢٩٥ الإختصاص للشيخ المفيد/ ص ٢٥٥- غيبة النعماني / ص ٢٧٨ ص ٣٠٣.
٩. الارشاد ج ٢ ص ٣٦٨؛ كمال الدين ص ٣٣٠ باب ٣٢ حديث ١٦.
١٠. كتاب مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر الرازي/ دار الرسالة - الكويت/ ١٩٨٣ م.
١١. موقع الكاظمة المقدسة في الفيسبوك/ ٢٥ نوفمبر ٢٠١٥.
١٢. الكتاب المقدس - العهد القديم/ سفر زكريا / الاصحاح ١٤.



الاربعين

ALARBA'IN

Semi-Annual Scientific Journal

Concerned with Publishing
The Research and Studies in Human Sciences

Issued by
The General Secretariate
of AL- Hussein Holy Shrine
Karbala Center for Studies and Research

Vol.4, 4th year , March 2026 A.M - Ramadan 1447 A.H
Supplement (4) A special issue of the ninth International
Conference for the Ziyarte Al Arba'een